مصادر
نهج البلاغة (عليه السلام)
وأسانيده

تأليف
السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب

الجزء الثاني

دار الأضواء
بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الأضواء

الغبيره - شارع عبد الله الحاج - بناية الروضة
ص.ب، ٢٥/٤٠ - برقياً: الغبيره - حسنكو

كتاب وتأريخ

تفضل الاستاذ الكبير ، والكاتب البليغ الدكتور باقر عبد الغني عميد كلية اللغات في جامعة بغداد ، فأتحفنا بهذا الكتاب ننشره في مطلع هذا الجزء اعتزازاً به وله جزيل الشكر ، وجميل الثناء .

بغداد : ١٩٦٨/١١/٥ .
سماحة العلامة الجليل السيد عبد الزهراء المحترم .
السلام عليك . وبعد :

كان أول عهدي بـ (نهج البلاغة) يوم كنت تلميذاً في الصف الأول المتوسط كان بين يديّ أقرأه ولا أفقه منه شيئاً ، وشببت وشبّ شغفي به دليل عقيدة لم ينحت الدهر منها ذرة — إن شاء الله — ورائد فكرة تتكسر الافكار من كل مهب على حدها ، وريع هوى شيعي يحيي الخواطر ، ويشرح الصدر . وينعش الوجدان .

فلئن أطلت الوقوف عند كتابك أيها السيد الجليل ، ذلك أنه شعب ندى من شعاب (النهج) ورافد من روافده الثرة ، يملأ صدري بالرواء ، وعواطفي بالصفاء ، ويشد ما لا يحل ولا يفل من عقد الولاء للامام بديع النهج .

كان أول ما وفقت اليه — زاد الله توفيقك — أن تصديت لبحث أصيل جزيل النفع ، جليل الأثر فرسمت له خطة علمية تتجلى معالمهـــا في تنسيق الفصول والأبواب ، وتنضيد المادة ، ودقة الانسجام بين ما تنتهي منه ،وما تمهد له ، بشكل يحقق وحدة الموضوع، وتكامل أجزائه، فكان أن تراصت نتائج البحث ، وتلاءمت خلاصاته بما يضمن له الرجحان في موازين البحوث الرصينة .

ثم سمت بك همتك — شد الله ازرك ، وأجزل أجرك — فوفرت مادته الغزيرة من (مصادر) زكيتها بأمانة الباحث ، و (أسانيد) دعمتها بحجة الناقد وأخبار وروايات نفضت عنها الشك بقوة المتثبت ، ولا شك أن المعنيين بحقل البحوث والدراسات سيقفون على ما بذلته من جهد وصبر وأنت تجمع مادة الكتاب وسيعرف ذوو الاصابة منهم ما انتهيت اليه من أصيـــل الرأي ، وواضح الحجة ، وسليم الخلاصة . وسيقرّ لك أهل الانصاف والذمة العلمية بعدالة الميزان ، وسلامة المقياس ، وبراعة العرض ، وألمعية الاستنتاج، ونزاهة الحكم ، وصراحة الفصل ، ودقة الأحكام .

ولن تكدّر صفو اعجابي وتقديري ملاحظات ما هي من صميم الجانب العلمي من الكتاب ولكنك قد تراها مفيدة من حيث العرض المادي له ، منها :

كنت اوثر أن تطبع نصوص (النهج) بحرف أوضح[1] وأن تأخذ الصفحة كلها الى أن تنتهي . ثم يفرد عنوان لرواتها ويرتبون بأرقام، وأرى ان يُشار الى المصدر مع تفصيلاته في الحاشية دون أن يتخلل ذكره الحـــديث ، وان يلتزم بنهج واحد من هذا الباب فقد ذكرت المصادر وتفصيلاتها ثم اقتصرت

---

(١) ليس الدكتور الباقر بأول من آخذني بذلك فقد سبقه الى ذلك جماعة من العلـــماء والادباء وقد تلافينا ذلك في هذه الطبعة .

على ذكرها مع الاحالة على الحاشية في وقت واحد وفي صفحة واحدة (ج٢/ ٦٨) كما آمل أن لا يغفل ذكر أرقام الصفحات من المراجع كما وقع مثلا ص ١٨٤ من (قسم الرسائل) عند الاشارة الى (العقد الفريد) وكما حصل في مواطن أخرى .

وما دام الكتاب ينصب في فكرته الاساسية على أسانيد (النهج) فلعل الأخ الكريم يشاركني الرأي في افراد فهرس خاص برجال السند .

وختاماً وددت لو أن حديثي كان كله تهنئة لك على الجهد الضخم ، والحصيلة الرائعة فلا أملك ما أعبر به عن تقديري وتهنئتي غير دعاء حار الى الله تعالى أن يزيد في توفيقك ، وأن يجزيك عالماً ينفع الناس بعلمه ، ومعلماً لا يمل درسه ، ولا يطوى له كتاب .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

المخلص

باقر عبد الغني

وافانا بهذا التأريخ الشاعر الفاضل صاحب القصائد الذهبية المنقوشة على الأبواب الذهبية في مشهد الكاظمين عليهما السلام والحرم الزينبي في دمشق السيد علي رضا الهندي ننشره على هذه الصفحة شاكرين لطفه.

في العلم كان فراغ … وقد سددت فراغه
بخير سفر جليل … مصادرا وصياغه
نور الهدى فيه ارخ … (ونور نهج البلاغه)

١٣٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٥ – ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلّٰهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ، وَٱلدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا ٱلْفَنَاءُ[1] وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا ٱلْجَلاَءُ. وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ، وَٱلْتَبَسَتْ بِقَلْبِ ٱلنَّاظِرِ[2]، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ ٱلزَّادِ، وَلاَ تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ ٱلْكَفَافِ[3]، وَلاَ تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْبَلاَغِ.

---

(١) منيت: قدر لها، والجلاء: الخروج من الاوطان.

(٢) التبست: اختلطت به محبة وعلقة.

(٣) الكفاف: ما يكف الانسان عن السؤال: والمراد به القوت.

قال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) : م ١ ص ٢٥١ : اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على فصلين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، أحدهما : حمد الله والثناء عليه إلى قوله : ولا تفقد له نعمة ، والفصل الثاني: من ذكر الدنيا إلى آخر الكلام ، وأحدهما غير مختلط بالآخر ، ولا منسوق عليه ، ولكن الرضي رحمه الله تعالى يلتقط كلام أمير المؤمنين عليه السلام التقاطاً ، ولا يقف مع الكلام المتوالي ، لأن غرضه ذكر فصاحته عليه السلام ، ولو أتى بخطبه كلها على وجهها لكانت أضعاف كتابه الذي جمعه .

والأمر كما ذكر ابن أبي الحديد ، فإن ما نقله الرضي من كلامه عليه السلام في هذا الموضع ملتقط من خطبة له عليه السلام خطبها في عيد الفطر ، وأولها :« الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . الأنعام : ١ » لا نشرك بالله شيئاً ولا نتخذ من دونه ولياً، و(الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الغفور الرحيم . سبأ : ١ و ٢) (كذلك الله لا إله الا هو اليه المصير . المؤمن : ٣) (والحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم . الحج : ٤) .

اللهم ارحمنا برحمتك ، واعممنا بمغفرتك إنك أنت العلي الكبير والحمد لله غير مقنوط من رحمته ... الخ .

وفي هذه الخطبة أيضاً ما رواه الرضي عليه الرحمة من كلامه عليه السلام في الخطبة التي مرت برقم (٢٨) باب الخطب والتي أول ما اختار الرضي منها قوله عليه السلام « إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ... » كما أشار الى ذلك الشيخ ميثم بن علي البحراني في (شرح نهج البلاغة) ج٢ ص ٤١ و ١١٧ . والخطبة هذه رواها بتمامها قبل الرضي الصدوق في كتاب (من لا يحضره

الفقيه) : ج١ ص ٣٢٧ كما رواها بتمامها بعد الرضي شيخ الطائفة في (مصباح المتهجد) : ص : ٤٥٨ بسند ذكره هناك عن أبي مخنف .

٤٦ — ومن كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير الى الشام

اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ ٱلسَّفَرِ[1] ، وَكَآبَةِ ٱلْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ ٱلْمَنْظَرِ فِي ٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ وَٱلْوَلَدِ . اَللّٰهُمَّ أَنْتَ ٱلصَّاحِبُ فِي ٱلسَّفَرِ وَأَنْتَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي ٱلْأَهْلِ ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ ؛ لِأَنَّ ٱلْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ صَاحِباً ، وَٱلْمُسْتَصْحَبَ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً .

قال الرضي رحمه الله : وابتداء هذا الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفـّاه امير المؤمنين بأبلغ كلام وتممه احسن تمام من قوله : « ولا يجمعهما غيرك » الى آخر الفصل .

★ ★ ★

تعليق الرضي هذا مثبت في نسخة ابن ابي الحديد ساقط من اكثر نسخ (نهج البلاغة) .

---

(١) وعثاء السفر : مشقته اخذاً من الوعث وهو المكان السهل كثير الرمل الذي يتعب فيه الماشي ويشق عليه ، والكآبة : الغم وسوء الحال ، والانكسار من الحزن .

وصدر هذا الكلام ـ كما يقول الرضي ـ مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1] وتممه أمير المؤمنين عليه السلام من قوله : « ولا يجمعهما غيرك » ... الخ .

وهذا الدعاء دعا به أمير المؤمنين عليه السلام بعد وضع رجله في الركاب من منزله بالكوفة متوجهاً الى الشام لحرب معاوية وأصحابه رواه كلّ من أعثم الكوفي في (الفتوح) : ج٢ ص ٤٦١ ، ونصر بن مزاحم في كتاب (صفين) وذكره غيره من رواة السير[2] .

قال نصر : لما وضع علي عليه السلام رجله في ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفّين قال : باسم الله ، فلما جلس على ظهرها قال : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون) اللهم إني أعوذ بك .. الى آخر الفصل وزاد فيه نصر بعد قوله عليه السلام: وكآبة المنقلب (والحيرة بعد اليقين) [3] .

وفي كتاب : « دعائم الإسلام » للقاضي النعمان : ج١ ص ٣٤٧ ، قال : وعن علي عليه السلام أنه كان اذا برز للسفر قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده ، وأن محمداً عبده ورسوله، الحمد لله الذي هدانا للاسلام ، وجعلنا من خير أمة أُخرجت للناس ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد ، اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمستعان على الأمر اطو لنا البعيد ، وسهل لنا الحزونة ، واكفنا المهم ، إنك على كل شيء قدير .

---

(١) انظر : (تهذيب اللغة) للأزهري : ج٣ ص: ١٥٣ مادة : « وعث » و (رياض الصالحين) للنووي : ص ١٩٧ الحديث ٩٧٥ .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م ١ ص ٢٧٧ .
(٣) صفين ١٣٢ .

٤٧ - ومن كلام له عليه السلام
في ذكر الكوفة

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ ٱلْأَدِيمِ ٱلْعُكَاظِيِّ(١)، تُعْرَكِيْنَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِيْنَ بِالزَّلَازِلِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءً إِلَّا ٱبْتَلَاهُ ٱللهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

هذا الكلام تصوير لما ينال الكوفة من العسف والخبط، وقد وقع ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام ومن خصائص الكوفة التي ذكرها عليه السلام في هذا المكان أن كل جبار من الجبابرة الذين يقصدونها بسوء لا بد ان يبتلى بشاغل، أو يرمى بقاتل.

ومن الجبابرة الذين ارادوا بها السوء زياد بن أبيه، روى أنه كان جمعهم في المسجد لسب علي عليه السلام والبراءة منه، ويقتل من يعصيه في ذلك، فبينما هم مجتمعون إذ خرج صاحبه فأمر بالانصراف، وقال: ان الامير مشغول عنكم، وقد كان قد رمي في تلك الساعة بالفالج (٢).

ومنهم: الحجاج وقعت الاكلة في جوفه فمات من ذلك (٣).

---

(١) العكاظي نسبة الى عكاظ - كغراب - وهو سوق تقيمه العرب في الصحراء بين نخلة والطائف يجتمعون فيه ليتعاكظوا أي يتفاخروا، والاديم العكاظى المستحكم الدبغ، وتعركين من عركتهم الحرب اذا مارستهم، والنوازل: الشدائد، والزلازل: المزعجات من الخطوب.

(٢) مجمع البحرين مادة: جبر.

(٣) مروج الذهب: ٢ - ١٧٣.

ومنهم : خالد بن عبدالله القسري ضرب حتى هلك من الضرب وصودرت أمواله وقتل ابنه يزيد وجر ا بأرجلهما في شوارع الكوفة ثم رمي بجيفتيهما الى الكلاب [1] .

وكان خالد منحرفاً عن امير المؤمنين عليه السلام يسبه على المنبر ويقول اللهم « كذا » من علي بن أبي طالب ابن عم محمد بن عبد الله وزوج ابنته فاطمة وأبو الحسن والحسين ثم يقول : هل كنيت ؟ ودخل عليه جعدة بن هبيرة المخزومي وبين يديه نبق يأكل منه فقال له : إذا شتمت علياً فلك بكل نبقة دينار ، وكان يقول : لخالد ابن امي أفضل من علي بن أبـي طالب وخالد هذا رجل من رجاله ، وذكر المدائني : أنه أمر ابن شهـاب أن يكتب له السيرة فقال له ابن شهاب : انه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب؟ قال : لا الا أن تراه في قعر جهنم ، ذكر ذلك أبو الفرج الاصفهاني وبهذا تعرف كيف تلاعب خالد وأضرابه من الولاة بالتاريخ الاسلامي .

ولا عجب أن يكون خالد كذلك فأنا أذكر لك ملخص ما ذكره ابو الفرج من أحواله : (أ) أصله من يهود تيماء . (ب) : كان جده يزيد بن أسد مع معاوية يوم صفين وكان يجيد تنميق الكذب حتى لقب بخطيب الشيطان ، ثم نشأ ابنه عبد الله فسلك منهاجه ثم نشأ خالد ففاق الجماعة . (ج) كان يتخنث في صغره وكبره ، ويعمل عمل قوم لوط. (د) انه دعيّ وابن زنا . (هـ) كان في بادىء أمره قواداً يجمع بين عمر بن ابي ربيعة وصويحباته . (و) كان زنديقاً ، يسمى بئر زمزم ام الجعلان ويوهم في كلامه أن الوليد بن عبد الملك أفضل من رسول الله وإبراهيم الخليل عليهما السلام ، ويقول : والله لو أمرني امير المؤمنين « الوليد » ان انقض الكعبة حجراً حجراً لنقضتها حتى أنقلها إلى الشام ، لأمير المؤمنين « الوليد » أكرم على الله

---

(١) انظر تاريخ الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ١٢٠ ، و الاغاني : ١٩ / ٦٣.

من أنبيائه (ز) كان يولي المجوس والكفار على المسلمين ويهدم المآذن ويشيد البيع لأن امه كانت نصرانية، فاذا أذن المؤذن أمر بالنواقيس فضربت، ذلك غيض من فيض مناقبه ! التي ذكرها ابو الفرج في الاغاني ١٩ / ٦٣ . وهو لا يتهم في حق مثله .

أما من رماهم الله من الجبارين بقاتل فهم كثير وأحوالهم مشهورة .

وقد روى هذا الكلام قبل الشريف الرضي — أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحق بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه في كتاب (البلدان ص ١٦٣ قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام للكوفة : ويحك يا كوفة واختك البصرة كأني بكما تمدّان مدّ الأديم ، تعركان عرك العكاظي الا أني أعلم فيما أعلمني الله عز وجل أنه ما أراد بكما جبار سوءاً الا ابتلاه الله بشاغل.

ولا يضر هذا التفاوت اليسير بين رواية (البلدان) و (النهج) بعد إثبات أن هذا الكلام مروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قبل ولادة الشريف الرضي رحمه الله تعالى .

ورواه — بعد الشريف الرضي — الزمخشري في الجزء الاول من « ربيع الأبرار » باب البلاد والديار .

٤٨ — ومن خطبة له عليه السلام

عند المسير الى الشام

الْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ (١) . وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا

---

(١) وقب : دخل ، وغسق : اشتدت ظلمته . وخفق النجم : غاب .

مُكَافِئَ الْإِفْضَالِ .

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي [1] وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي . وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ [2] فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ [3] .

(أَقُولُ يَعْنِي عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمِلْطَاطِ هَاهُنَا السَّمْتَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ وَهُوَ شَاطِئُ الْفُرَاتِ . وَيُقَالُ ذٰلِكَ أَيْضًا لِشَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَأَصْلُهُ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . وَيَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ الْفُرَاتِ وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الْعِبَارَاتِ وَعَجِيبِهَا) .

* *

هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة ، ومتوجهاً إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ذكرها جماعة من أصحاب السير ، ذكر ذلك ابن ابي الحديد . في (شرح النهج) م١ ص٢٨٧.

وانظر كتاب « صفين » لابن مزاحم ص ١٣١ و ص ١٣٢ .

---

(١) المقدمة : ما يتقدم الجيش للاستكشاف .

(٢) اكناف جمع كنف وهو الجانب

(٣) الأمداد جمع مدد، وهو ما يمد به الجيش لتقويته

٤٩ — وَمِن كلامٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلام

الحَمْدُ للهِ ٱلَّذي بَطَنَ خَفِيَّاتِ ٱلأُمورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلامُ ٱلظُّهُورِ [١]، وَٱمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ ٱلْبَصِيْرِ، فَلا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ [٢]، سَبَقَ فِي ٱلْعُلُوِّ فَلا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرُبَ فِي ٱلدُّنُوِّ فَلا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ. فَلا إسْتِعْلاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي ٱلْمَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ ٱلْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ ٱلَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلامُ ٱلْوُجُودِ [٣] عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي ٱلْجُحُودِ، تَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يَقُولُ ٱلْمُشَبِّهُونَ [٤] بِهِ وَٱلْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

---

(١) بطن الخفيات: علمها. يقال: بطنت الأمر: علمت باطنه، وكنى بأعلام الظهور عن آياته الدالة على وجوده.

(٢) أي لا يمكن من لم يره بعينه أن ينكره لدلالة كل شيء عليه سبحانه. ولا سبيل لمن أثبت وجوده أن يحيط علماً به تعالى شأنه.

(٣) أعلام الوجود الدالة على اقرار الجاحد لا تحصى منهـا لجوء الجاحد اليه سبحانه عند الشدة.

(٤) المشبهون الذين شبهوه تعالى بشيء من مخلوقاته.

نقل هذا الكلام شيخنا المجلسي رفع الله درجته في كتاب « الروضة » من (البحار) ج ٦٧ ص ٣٠٤ عن (نهج البلاغة) وعن كتاب « عيون الحكم والمواعظ » لعلي بن محمد بن شاكر الواسطي المتوفى سنة (٤٥٧) بحرف واحد.

وذكر ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ١ ص ٢٩١ عند شرح قوله عليه السلام في هذا الكلام (فلا عين من لم يره تنكره .. الخ) قال : وقد روي هذا الكلام على وجه آخر ، قالوا في الكلام : (فلا قلب من لم يره ينكره ، ولا عين من أثبته تبصره) وفي ذلـك دلالة على أن هناك من روى هذا الكلام غير الشريف الرضي ولكن ابن أبي الحديد لم يذكره ، وفي قوله : قالوا دليل على أن رواته جماعة فتأمل !

٥٠ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ ٱلْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ [١] ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ ٱللهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا [٢] عَلَى غَيْرِ دِينِ ٱللهِ فَلَوْ أَنَّ ٱلْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ ٱلْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى ٱلْمُرْتَادِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ٱلْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ ٱلْبَاطِلِ لَانْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ ٱلْمُعَانِدِينَ [٣] وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ وَمِنْ

---

(١) المراد بالفتن هنا الآراء الباطلة والاحكام المبتدعة .

(٢) أي يتابع عليها رجال رجالا .

(٣) المرتادين : الطالبين . واللبس : الشبهة بالامر .

هـــذَا ضِغْثٌ[1] فَيُمْزَجَانِ ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي ٱلشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ ٱللهِ ٱلْحُسْنَى .

★ ★

رواه قبل الشريف الرضي :

آ ـ البرقي في (المحاسن) : ١ / ٢٠٨ في كتـاب (مصابيح الظلم) بسنده عن الحسن بن علي بن فضال بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال : « إنما بدء وقوع الفتن » الخ .

ب ـ الكليني في (اصول الكافي): في باب البدع والرأي والمقائيس عن الحسين بن محمد الأشعري بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قـال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « إنما بدء وقوع الفتن .. » الخ .

ورواه أيضاً في (روضة الكافي) : ص ٥٨ .

ج ـ ابن واضح في (التاريخ) : ٢ / ١٣٦ قال : وانصرف الامـام علي عليه السلام إلى الكوفة ـ أي بعد التحكيم ـ فلما قدمها قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ان أول وقوع الفتن » الخ. باختلاف بسيط في بعض الالفاظ .

د ـ التوحيدي في (البصائر والذخائر) ص ٣٢ قـال : قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : «إنّ الحق لو جاء محضاً لما اختلف فيه ذو حجا، وإن الباطل لو جـاء محضاً لما اختلف فيه ذو حجا ولكن أخـذ ضغث من هذا، وضغث من هذا » .

ولسنا بحاجة إلى تعداد من رواه بعد الرضي رحمه الله .

---

(١) الضغث : قبضة من الحشيش مختلطة فيها الاخضر واليابس .

٥١ – ومن خطبة له عليه السلام

لما غلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات بصفّين ومنعوهم المـــاء

قَدِ ٱسْتَطْعَمُوكُمُ ٱلْقِتَـــالَ [١] فَقِرُّوا عَلى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ، أَوْرَوُّوا ٱلسُّيُوفَ مِنَ ٱلدِّمَاءِ تُرْوَوْا مِنَ ٱلْمَاءِ ، فَٱلْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ ، وَٱلْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ ، أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ ٱلْغُوَاةِ [٢] ، وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَرَ [٣] حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ ٱلْمَنِيَّةِ .

قـــال نصر بن مزاحم : حدّثنا عمرو بن شمر ، عن جابر : خطب علي عليه السلام يوم الماء فقال : « أما بعد ، فانّ القوم قد بدؤكم بالظلم ، وفاتحوكم بالبغي ، واستقبلوكم بالعدوان واستطعموكم القتال حين منعوكم الماء فأقروا على مذّلة ، وتأخير مهلة ... » الفصل الى آخره [٤] .

---

(١) استطعموكم القتال كلمة مجازية معناهـــا طلبوا القتال منكم ، كأنه جعـــل القتال شيء يستطعم .

(٢) اللمة ـ بضم اللام ـ واذا كانت الميم مخففة فالمراد جماعة قليلة ، واذا كانت مشددة فالقصد الاصحاب بالسفر .

(٣) عمس الخبر ـ بالتخفيف والتشديد ـ ابهمه وهو به عارف والاغراض جمع غرض وهو الهدف ، والقرار : الثبات ، والمحلة : المنزلة .

(٤) انظر : « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد : م١ ص ٣٢٩ .

٥٢ ـ ومن خطبة له عليه السلام

أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ(١). فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا(٢) وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْوًا. وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا(٣). فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ ٱلْإِدَاوَةِ. أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ ٱلْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا ٱلصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ(٤). فَأَزْمِعُوا عِبَادَ ٱللهِ ٱلرَّحِيلَ(٥) عَنْ هٰذِهِ ٱلدَّارِ، ٱلْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا ٱلزَّوَالُ. وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا ٱلْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ

---

(١) تصرمت: انقطعت وآذنت: أي أعلمت بذلك، وتنكر معروفها: جهل منها ما كان معروفاً. حذاء ـ بالحاء المهملة ـ: مسرعة، وتروي بالجيم أي منقطعة.

(٢) تحفزهم: تدفعهم وتسوقهم. وتحدرهم بالموت ـ بالراء ـ أي تحوطهم بـه، وتروى «تحدو» ـ بالواو ـ أي تسوقهم بالموت إلى الهلاك مؤكدة لها.

(٣) أمر الشيء: صار مراً، وكدر: تعكر.

(٤) السملة ـ محركة ـ بقية الماء في الحوض. والاداوة: المطهرة. والمقلة ـ بفتح الميم والسكون ـ: حصاة يضعها المسافرون في اناء ثم يصبون الماء فيه ليغمرها فيتناول كل واحد مقدار ما غمرها، يفعلون ذلك اذا ارادوا قسمة الماء عند قلته. والتمزز: الامتصاص قليلا قليلا. والصديان: الصادي، ولم ينقع: لم يرو.

(٥) ازمعوا الرحيل: أي عزموا وأجمعوا عليه.

عَلَيْكُمُ ٱلْأَمدُ فَوَٱللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ ٱلْوُلْهِ ٱلْعِجَالِ[١] . وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ ٱلْحَمَامِ[٢] وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ ٱلرُّهْبَانِ[٣] . وَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ ٱلْتِمَاسَ ٱلْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ٱرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ[٤] لَكَانَ قَلِيلًا فِيما أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ ، وَٱللهِ لَوْ ٱنْمَاثَتْ قُلُوبُكُمْ ٱنْمِيَاثًا[٥] وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي ٱلدُّنْيَا مَا ٱلدُّنْيَا بَاقِيَةٌ[٦] مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ — وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ — أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ ٱلْعِظَامَ وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ .

هذا مختار خطبة خطب بها عليه السلام في أحد أعياد الأضحى ، وأولها «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، الحمد لله على ما هدانا» وهي خطبة نقلهـا الصدوق في « الفقيه » : ج ١ ص ٣٢٩ ، كما نقلها الشيخ الطوسي في (المصباح) ص ٤٦١ قال : روى أبو مخنف عن عبد الرحمن بن

---

(١) الوله : جمع واله . ووالهة : كل أم فقدت ولدها والعجال : النياق التي فقدت فصائلها.

(٢) هديل الحمامة : صوتها عند فقدان إلفها .

(٣) الجؤار : الصوت المرتفع والمراد به التضرع . والمتبتل : المنقطع للعبادة .

(٤) الرسل ـ هنا ـ الحفظة أي الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد .

(٥) انماثت : ذابت .

(٦) أي مدة بقائها .

جندب عن أبيه : أن علياً عليه السلام خطب يوم الأضحى ، وذكر الخطبة وفيها ما اختار السيد الشريف في (نهج البلاغة) ، كما ذكر طرفاً منها أبونعيم في « الحليـــة » ج ١ ص ٧٧ بسنده عن بكر بن خليفة ، وأملى الشيخ المفيد طرفاً منها في المجلس العشرين من أماليه ص٨٧باسناده المتصل بمجاهد فتأمل .

٥٣ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية

وَمِنْ كَمَالِ ٱلْأُضْحِيَةِ ٱسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا [١] وَسَلامَةُ عَيْنِهَا . فَإِذَا سَلِمَتِ ٱلْأُذُنُ وَٱلْعَيْنُ سَلِمَتِ ٱلْأُضْحِيَةِ وَتَمَّتْ . وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ ٱلْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى ٱلْمَنْسَكِ [٢] .

---

(١) استشراف اذنها : طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع ، او نقصان الخلقـــة كالصماء « وهي معدومة الاذن خلقة » بناء على رأي بعض الفقهاء بلزوم استيفاء الاضحية لشروط الهدي ، وقيل : المراد بالاستشراف التأمل والتفقد ففي الحديث عن علي عليه السلام : «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأضاحي باستشراف العين والاذن ... » الحـــديث ، وفسر ذلك في القاموس بالتفقد والتأمل لئلا يكون فيهما نقص وعلى هذا تصح رواية « الفقيه » (استشراف اذنها وعينها) ، وفسر ابن ابى الحديد الاستشراف بمعنى آخر قال : استشراف اذنها ارتفاعها وانتصابها واذن شرفاء اي منتصبة وليس في هذا التفسير مـــا يوافق صفات الأضحية في أقوال الفقهاء .

(٢) عضباء القرون : مكسورته ، وتجر رجلها أي عرجاء .

قال الرضي رحمه الله : والمنسك هنا : المذبح .

هذا الكلام تابع للخطبة السابقة ، ولذا ليس في النسخة التي عليهـا شرح ابن أبي الحديد — وهي أصح النسخ — كلمة « ومن كـلام له عليـه السلام » بـل كان الفاصل بينهما كلمة (ومنهـا : في ذكر يوم النحر وصفة الاضحية) امّا ووروده تحت عنوان خاص في سائر النسخ فالمظنون بل المقطوع به أنه من سهو النساخ تعرف ذلك بمراجعـة (من لا يحضره الفقيه) : ج ١ ص ٤٦١ ، و (مصباح المتهجد) : ص ٤٢٩ ، فإن الصدوق وشيخ الطائفة عطـّر الله مرقديهما رويا هذا الكلام في الخطبة السالفة — كما قدمنا — وفي المصدرين : « ومن تمام الأضحية استشراف اذنها ، وسلامة عينهـــا ، وإذا سلمت العين والاذن تمت الاضحية ، وإن كانت عضبآء القرن ، أو تجر برجلهـا إلى المنسك [فلا تجزي] وإذا ضحيتم فكلوا واطعموا واهدوا واحمدوا الله على مـــا رزقكم من بهيمة الانعام » الخطبة .

وفي (الفقيه) استشراف عينها واذنها ، وكلمة « فلا تجزي » ليست في (المصباح) .

٥٤ — ومن خطبة له عليه السلام

في ذكر البيعـــة

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا (١) قَـــدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا (٢) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَو

(١) تداكوا . ازدحموا ، والهيم : العطاش ، والورد : شرب الماء .
(٢) المثانى : جمع مثناة ـ بكسر الميم وفتحها ـ وهو الحبل يثنى ويعقل به البعير .

بَعْضَهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ . وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰذَا ٱلْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ ٱلْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ ٱلْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ ٱلْعِقَابِ ، وَمَوْتَاتُ ٱلدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ ٱلْآخِرَةِ .

تقدم منا الكلام على مصادر هذه الخطبة عند القول في مصادر الخطبة رقم (٢٦) . ونضيف إلى ذلك أن صاحب « العقد الفريد » روى طرفاً منها في الجزء الرابع وابن الأثير فسر غريبها في (النهاية) : ج ٢ ص ١٢٨ مادة دكك وما في هذه الخطبة هو الأمر الواقع حتى أخذ أبو مخنف قوله عليه السلام « فتداكوا على تداك الابل الهيم يوم وردها » فقال عند صفته لبيعة الناس أمير المؤمنين عليه السلام : إن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله لينظروا من يولونه أمرهم حتى غصّ المسجد بأهله ، فاتفق رأي عمار ، وأبي الهيثم بن التيهان ، ورفاعة بن رافع ، ومالك بن عجلان ، وأبي أيوب خالد بن يزيد على إقعاد أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان أشدهم تهالكاً عليه عمار ، فقال لهم : أيها الأنصار قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه ، وأنتم على شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم ، وإن علياً أولى الناس بهذا الأمر لفضله وسابقته .

فقالوا : رضينا به حينئذ ، وقالوا بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين : أيها الناس إنا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله ، وإن علياً من علمتم وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه ، ولا أولى به .

فقال الناس بأجمعهم قد رضينا ، وهو عندنا على ما ذكرتم وأفضل .

وقاموا كلهم وأتوا علياً عليه السلام فاستخرجوه من داره وسألوه بسط يده فقبضها [1] ، فتداكوا عليه تداك الابل الهيم على وردها حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً فلما رأى منهم ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس — إلى أن قال — فنهض الناس معه حتى دخل المسجد فكان أول من بايعه طلحة فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي : تخوفت أن لا يتم له أمره لأن أول يد بايعته شلاء ، ثم بايعه الزبير وبايعه المسلمون بالمدينة إلا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحسان ابن ثابت وعبد الله بن سلام ..الخ.

نقل ذلك ابن أبي الحديد في(شرح نهج البلاغة)م١ ص ٣٤٠ من كتاب « الجمل » لأبي مخنف .

٥٥ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد استبطأ أصحابه اذنه لهم في القتال بصفّين

أَمَّا قَوْلُكُمْ : أَكُلُّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ ٱلْمَوْتِ فَوَٱللهِ مَا أُبَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى ٱلْموتِ أَوْ خَرَجَ ٱلْموْتُ إِلَيَّ ، وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : شَكًّا فِي أَهْلِ ٱلشَّامِ فَوَٱللهِ مَا دَفَعْتُ ٱلْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا

---

(١) وهذه العبارة أيضاً مأخوذة من كلامه عليه السلام « وبسطتم يدي فكففتها » انظر « نهج البلاغة » : ٢/٢٤٩ .

أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِي بِي وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي[1]، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا.

★ ★

قال ابن أبي الحديد: لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه، واستمالة لقلوبهم، وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم، مكث أياماً لا يرسل الى معاوية ولا يأتيه من عند معاوية أحد، واستبطأ أهل العراق أذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا الى أطراف الشام لنتخذها وطناً!؟ إإذن لنا في القتال فإن الناس قد قالوا. قال لهم عليه السلام: ما قالوا؟ فقال منهم من قال: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام. فقال عليه السلام: ومتى كنت كارهاً للحرب قط!؟ إنّ من العجب حبي لها غلاماً ويافعاً وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاذ العمر، وقرب الوقت، وأما شكي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً فما وجدت يسعني إلا القتال أو أن أعصي الله ورسوله، ولكني استأني بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة، فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس)[2].

فأنت ترى أن الحديدي ذكر السبب في قول أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الكلام، كما ذكر الكلام الذي رواه الرضي بصورة لا تختلف عنه معنى وإن اختلفت معه في بعض الالفاظ. ثم أن ورود ما هو بهذا المعنى عنه شيء عليه السلام كثير.

---

(١) عشا الى النار يعشو: استدل عليها ببصر ضعيف.

(٢) الشرح م٢ ص ٣٤٧.

٥٦ – وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا . مَا يَزِيدُنَا ذٰلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيًّا عَلَى ٱللَّقَمِ (١) وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ ٱلْأَلَمِ ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ ٱلعَدُوِّ ؛ وَلَقَدْ كَانَ ٱلرَّجُلُ مِنَّا وَٱلْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ ٱلْفَحْلَيْنِ ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا (٢) أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ ٱلْمَنُونِ ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى ٱللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا ٱلْكَبْتَ (٣) وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا ٱلنَّصْرَ حَتَّى ٱسْتَقَرَّ ٱلْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ ، وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ (٤) وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ ، وَلَا ٱخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ . وَأَيْمُ ٱللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً (٥) ، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً .

---

(١) اللقم : الجادة الواضحة . والمضض : لذع الألم وبرحاؤه .

(٢) التصاول: أن يحمل كل واحد من القرنين على صاحبه، والتخالس: التسالب والانتهاب.

(٣) الكبت : الاذلال.

(٤) الجران : مقدم عنق البعير ، وتبوأت المنزل : نزلته .

(٥) يقال لمن أسرف في الأمر : لتحتلبن دماً ، وأصله الناقة يفرط في حلبها فيحلب الحالب دماً ،

هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في قصة ابن الحضرمي لما قدم البصرة من قبل معاوية ومعه كتاب منه إليهم – وذلك بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر – يدعوهم الى نبذ طاعة علي عليه السلام ونكث بيعته ، ويسألهم معاونته على الطلب بدم عثمان . فلما قرأ عليهم الكتاب قال معظمهم : سمعنا وأطعنا ، واستولى على البصرة وجبى خراجها.

وكان أمير البصرة يومئذ زياد بن أبيه قد استخلفه عبدالله بن العباس وقدم على علي عليه السلام إلى الكوفة يعزيه عن محمد بن أبي بكر رحمه الله. فرحل زياد من قصر الامارة واستجار بالازد ومعه بيت المال ، وكتب الى ابن عباس بالأمر ، فرفع ابن عباس كتابه الى أمير المؤمنين عليه السلام ، فخطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بخطبة منها ما اختاره الرضي هنا، ثم أرسل جارية ابن قدامة السعدي إلى البصرة في جماعة ، فلما وصلها انضم إليه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام هناك ، فناهض جمع ابن الحضرمي واضطره الى دار من دور البصرة في عدد من أصحابه ، فحرّق جارية الدار عليهم فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلا من أصحابه، وثاب الناس بعد الى طاعة أمير المؤمنين عليه السلام وسمي جارية محرّقاً من يومئذ في قصة مشهورة نقلها ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ١ ص ٣٤٨ – ٣٥٥ مفصلا عن الواقدي وإبراهيم ابن هلال الثقفي . وكلاهما متقدمان على الرضي كما لا يخفى .

وروى نصر بن مزاحم بسنده عن الشعبي أن علياً قال يوم صفين وقد أقرّ الناس بالصلح : «إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا الى الحق » الى أن قال عليه السلام : « ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا »[1] .. الى آخر ما اختاره الرضي .فيظهر من هذا أن أمير المؤمنين عليه السلام قال هذا الكلام في غير موطن .

---

(١) صفين : ص ٥٢٠

ورواه الزمخشري في الجزء الرابع من (ربيع الابرار) في بـاب القتل والشهادة ..

وعلى كل حال فإنّ هذا الكلام معروف النسبة اليه عليه السلام، ومرويّ في كتب العلماء قبل الرضي وبعده .

٥٧ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لاصحـــابه

أَمَا إِنَّه سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ ٱلْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ ٱلْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَٱلْبَرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا ٱلسَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ، وَأَمَّا ٱلْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى ٱلْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى ٱلْإِيمَانِ وَٱلْهِجْرَةِ .

في هذا الكلام إخبار منه عليه السلام بما يكون قبل كونه، باعلام من الله وتعليم من رسول الله ﷺ والرجل الموصوف بهذا الكلام هو معاوية بن أبي سفيان — كما يذهب الى ذلك أكثر شارحي (نهج البلاغة) ومفسروا هذا الكلام في سائر كتب الأخبار، لأنه كان موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً يقعد بطنه اذا جلس على فخذيه، وهذا ما دعاه لأن يخطب جالساً .

وقد سبق رسول الله علياً صلوات الله عليهما بجل ما قاله في هذا الكلام فقد روى الثقفي في (الغارات) بسنده عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سيظهر على الناس رجل من امتي عظيم السرم، واسع البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، يحمل وزر الثقلين ، يطلب الإمارة يوماً فاذا أدركتموه فابقروا بطنه ، قال : وكان في يد رسول الله ﷺ قضيب وقد وضع طرفه في بطن معاوية [1] .

ونقل أبو عثمان الجاحظ في كتاب (السفيانية) عن جلام بن جندب الغفاري: أن أبا ذر قال لمعاوية في جملة كلام دار بينهما : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا ولى الامة الأعين الواسع البلعوم ، الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الامة حذرها منه »[2] .

وأما قوله عليه السلام : فاقتلوه ولن تقتلوه ، فإنه نظير قوله تعالى : (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)[3] وهو من دلائل إمامته صلوات الله عليه إذ تضمن الأخبار عن الحال في المستقبل بأنهم لا يقتلونه ، ولن تفيد النفي المؤبد ، وذلك ما وقع ، فإن معاوية لم يقتل بل مات على فراشه ، وأما أمره بقتله فانه عليه السلام أمر بذلك عملاً بقول رسول الله ﷺ .

كما أخرج نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) وابن عدي ، والعقيلي والخطيب ، والمناوي من طريق أبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن مسعود مرفوعاً : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » وفي لفظ : « يخطب على منبري فاقتلوه » ، وفي لفظ : « يخطب على منبري فاضربوا عنقه » ، وفي لفظ أبي سعيد : فلم نفعل ولم نفلح وقال الحسن (البصري) فما فعلوه ولا أفلحوا .

---

(١) شرح ابن ابي الحديد : م ١ ص ٣٧٣ .
(٢) الغدير : ٨ - ٣٠٤ .
(٣) البقرة : ٢٤ .

راجع : كتاب (صفين) ٢٤٣ ، ٢٤٨ ط مصر ، (تاريخ الطبري) : ١١ — ٣٣٧ . تاريخ الخطيب ١٢ — ١٨١ (شرح ابن أبي الحديد » م : ١ — ٣٤٨ ، (كنوز الدقائق للمناوي) ص ١٩ ، (اللآلىء المصنوعة) ١ — ٤٢٤ و ٤٢٥ (تهذيب التهذيب) : ٢ — ٤٢٨ [1] .

ثم حرفت هذه الكلمة النبوية عن موضعها فأبدلت التاء المثناة من فوق بالباء الموحدة من تحت ، وأضافت اليها الأيدي ! الأمينة على ودائع العلم ما شاء لها الهوى حتى صارت كذا : « إذا رأيتم معاويـــة يخطب على منبري فاقبلوه فإنه أمين مأمون » وجاء من لم يدر بهذا التحريف فعلق على الحديث النبوي الشريف بقوله : إن معاوية هذا غير معاوية بن أبي سفيان ، بل هو معاوية بن تابوت رأس المنافقين، وكان حلف ان يتبول ويتغوط على منبره[2].

ولشيخنـا الاميني رحمه الله تعالى تعليق لطيف على اسطورة معاوية بن تابوت ، قال : هل عندك خبر بتاريخ معاوية بن تابوت ؟ وأنه أي ابن بي هو ؟ ومتى ولدته ام الدنيا ؟ وأنى ولد ؟ وأين ولد ؟ ومن رآه ، ومن سمـع منه ؟ ومن الذي أوحى خبره الى أبي بكر بن أبي داود « راوي الحديث » وهل هو أبر يمينه أو حنثها ؟ وهل رآه أصحاب النبي ﷺ على منبره فقتلوه؟ أو لم ير حتى اليوم ؟ ولم ير قط الى آخر الابد .

فأما هذا الكلام : فانه مستفيض عن أمير المؤمنين عليه السلام قبل الشريف رحمه الله ولكن اختلفوا في حديث البراءة فمنهم من روى أنه عليه السلام قال : (فلا تتبرأوا مني) ومنهم من قـال : انه لم يقل . فروى ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب (الغارات) بسنده عن محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: خطب علي عليه السلام على منبر الكوفة فقال . سيعرض عليكم سبي ، وستذبحون عليه ،

---

(١) الغدير : ١٠ ص ١٤٦ .

(٢) انظر الغدير ١٠ ص ١٤٢ و « النصائح الكافية » ص ٣٦ .

فإن عرض عليكم سبي فسبوني ، وإن عرض عليكم البراءة مني فإني على دين محمد ﷺ ، ولم يقل فلا تتبرؤا مني .

وروى أيضاً بسنده عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : قال علي عليه السلام : والله لتذبحن على سبي – وأشار بيده الى حلقه – ثم قال : «فان أمروكم بسبي فسبوني وإن أمروكم أن تبرأوا مني فاني على دين محمد ﷺ» ، ولم ينههم عن إظهار البراءة [1] .

وروى مثل ذلك الكليني في (الكافي) والعياشي في تفسير قوله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)[2] . كما روى ذلك الحميري في (قرب الاسناد) .

وفي (أنساب الاشراف) للبلاذري ص١١٩ ط مؤسسة الاعلمي بيروت في ترجمة علي عليه السلام بسنده عن شهاب مولى علي عليه السلام « وانكم مستعرضون على سبي والبراءة مني فسبوني ولا تتبرؤا مني » .

وفي رواية الحاكم في (المستدرك) : ٢/٣٨٥ (إنكم ستعرضون على سبّي فسبّوني فإن عرضت عليكم البراءة فلا تبرأوا مني فإني على الإسلام) .

وروى شيخ الطائفة في موضعين من أماليه (الأول ص ٢١٤) و (الثاني) ص ٣٧٤ بسندين ذكرهما هناك .

وللاختلاف في الرواية اختلفت أحكام الفقهاء من الامامية في هذه المسألة.

قال شيخنا المجلسي عطر الله مرقده : «الأخبار في البراءة من طرق الخاصة والعامة مختلفة والأظهر في الجمع بينها ان يقال : بجواز التكلم بها عند الضرورة الشديدة ، وجواز الامتناع عنه وتحمل ما يترتب عليه ، وأما أيّهما

(١) شرح النهج الحديدي : م ١ – ٣٧٢ .
(٢) النحل : ١٠٦ .

أولى ففيه إشكال ، بل لا يبعد القول بذلك في السب أيضاً ، وذهب إلى ما ذكرناه في القول بالبراءة جماعة من علمائنا .

قال : وأما نسبة ابن أبي الحديد إليهم جميعاً من تحريم القول بالبراءة فلعلّه اشتبه عليه ما ذكروه من تحريم الحلف بالبراءة اختياراً فإنهم قطعوا بتحريم ذلك وإن كان صادقاً ولا تعلق له بأحكام المضطر .

قال : وقال الشهيد الثاني في (القواعد والفوائد)[1] التقية تبيح كل شيء حتى إظهار الكفر ، ولو تركها حينئذ أثم إلا في هذا المقام (أي في قتل مسلم كما أشار اليه قبل هذا) ومقام التبري من أهل البيت عليهم السلام فإنه لا يؤثم في تركها . قال : وخصوصاً إذا كان ممن يقتدى به»[2] .

وعلق بعض الفضلاء على قول المجلسي بما يأتي :

«لا يخفى إنه لا يستفاد من الرواية جواز التبري مطلقاً عند التقية فإن التبري أعم من القلب واللسان ، والتبري بالقلب لا يجوز ، بل لا يجبر الإنسان بالامر القلبي أصلاً ، أما التبري باللسان دون القلب فعند التقية يجوز وبما ذكرنا يجمع بين الروايات الناظرة الى جواز السب والتبري وعدم جوازهما »

وفي « نهاية ابن الأثير » : ١ / ١١٢ و « لسان العرب » : ١٤ / ٣٢٢ و « تاج العروس » : ٨ / ٢٠٦ : ذكروا في حديث علي عليه السلام (لا يذهب أمر هذه الامة إلا على رجل واسع السرم ، ضخم البلعوم) .

وبما مرّ تعرف اشتهار هذا الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قبل الرضي وبعده ، والاختلاف في اللفظ لا يضر بعد الاتفاق على المعنى ، فإن أمراً ذا

---

(١) راجع « القواعد والفوائد » ص ٢٦٣ وسفينة البحار مادة : وقى .

(٢) البحار : ج ٣٩ ص ٣٢٩ .

بال مثل هذا الأمر يستحيل أن لا يخبر علي عليه السلام به الامة في مواطن اخرى لتأخذ حذرها ، وتعرف موقفها منه ، فعلى ما قدمنا يكون إنه عليه السلام قال مراراً ولذا اختلفت الالفاظ واتفق المعنى ، وإني لأعتقد أن الاختلاف الشديد فيما روي من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلماته – كما أشار إليه الرضي في مقدمة النهج – راجع إلى هذا ، فإن المصلحة العامة قد تقتضي أن يكرر أمير المؤمنين عليه السلام بعض المعاني والألفاظ في عدة مواطن فتجيء بصور مختلفة .

٥٨ – ومن كلام له عليه السلام

كلم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ (١) ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ ، أَبَعْدَ إِيمَانِي بِٱللهِ ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ ٱللهِ أَشْهَدُ عَلَىٰ نَفْسِي بِٱلْكُفْرِ ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ! فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ وَٱرْجِعُوا عَلَىٰ أَثَرِ ٱلْأَعْقَابِ ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَإِثْرَةً (٢) يَتَّخِذُهَا ٱلظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً .

قال الرضي رحمه الله تعالى : (قوله عليه السلام « ولا بقي منكم آبر » يروى بالباء والراء من قولهم رجل آبر للذي يأبر النخل أي يصلحه . ويروى «آثر» وهو الذي يأثر الحديث أي يرويه ويحكيه ، وهو أصح الوجوه عندي .

---

(١) الحاصب : الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهي صغار الحصى .

(٢) الاثرة - هنا - الاستبداد بالفيء والغنائم .

كأنه عليه السلام قال : (لا بقي منكم مخبّر) . ويروى « آبز » بالزاي المعجمة وهو الواثب . والهالك أيضاً يقال له آبز) .

في عرض الرضي رحمه الله تعالى لاختلاف الوجوه في رواية « آبر » دليل على أن هذا الكلام مشهور بين الرواة . هذا وقد رواه قبل الرضي الطبري في (التاريخ) : ج٦ ص٤٨ في حوادث سنة (٣٧) من أوله الى « وما أنا من المهتدين » في جملة كلام له عليه السلام كلم به الخوارج لما زعموا أنه أخطأ في قبول التحكيم ، فشرطوا في العودة الى طاعته أن يعترف بأنه كفر ثم آمن .

وفي رواية الطبري (وابر) بالواو بعد ألف ثم باء بعدها راء قال في (القاموس) يقال : ما به وابر أي أحد .

ورواه أيضاً ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٢٤ من قوله « أبعد ايماني بالله » إلى « وما أنا من المهتدين » .

وكذلك سبط ابن الجوزي في (تذكرة خواص الامة) : ج ص١٠٠ .

أما قوله عليه السلام : « ستلقون بعدي ذلاً شاملاً » إلى آخر الفصل فرواه قبل الرضي الطبري في (المسترشد) ص ١٦٢ .

وفسر ابن الأثير في (النهاية) كلمة « آبر » بجميع وجوه رواياتها في مواضعها من كتابه .

وقال ابن أبي الحديد في (الشرح) م١ ص ٣٨٠ : وهذه المخاطبة لهم ، وهذا الدعاء عليهم ، وهذا الاخبار عن مستقبل حالهم وقد وقع ذلك ، فإن الله تعالى سلّط على الخوارج بعده الذل الشامل ، والسيف القاطع ، والإثرة من السلطان ، وما زالت حالهم تضمحل حتى أفناهم الله وأفنى جمهورهم ، ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة وبنيه الحتف القاضي والموت الزؤام .

٥٩ — وقال عليه السلام

لما عزم على حرب الخوارج ، وقيل له : انهم قد عبروا جسر النهروان .

مَصَارِعُهُمْ دُونَ ٱلنُّطْفَةِ . وَٱللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ [١] وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ .

قال الشريف : « يعني بالنطفة ماء النهر ، وهو أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جماً ، وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه [٢] .

ولما قتل الخوارج قيل له : يا أمير المؤمنين : هلك القوم بأجمعهم .

قال عليه السلام :

كَلَّا وَٱللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ ٱلرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ ٱلنِّسَاءِ . كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِيْنَ .

روى هذا الكلام أبو العباس المبرد في (الكامل) : ج ٢ ص ١٢٠ قال :

---

(١) قال الشيخ محمد عبده : ما نجى منهم الا تسعة تفرقوا في البلاد ، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين الا ثمانية .

(٢) يعني في الخطبة (٤٨) .

(٣) قرارات النساء : يعني الارحام ، ونجم : ظهر وطلع .

وقد قال علي ، وقيل له : إنهم يريدون الجسر ، فقال : لن يبلغوا النطفة ، وجعل الناس يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكون ، ثم قالوا : قد رجعوا يا أمير المؤمنين ، فقال : « والله ما كَذبت ولا كُذبت » ثم خرج اليهم في أصحابه ، وقد قال لهم : « ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة » فقتل من أصحابه تسعة وفلت منهم ثمانية .

وقال البيهقي في (المحاسن والمساوىء) : ص ٣٨٥ في باب محاسن الصدق: ومنهم — أي ومن المعروفين بالصدق — علي بن أبي طالب — رضي الله عنه ، قال لأصحابه يوم النهروان : « شدوا عليهم ، فوالله لا يقتلون منكم عشرة ولا ينجو منهم عشرة » فشدوا عليهم ، فوالله ما قتل من أصحابه تمام عشرة ولا نجا منهم عشرة ، ثم قال : « اطلبوا ذا الثدية » فطلبوه فقالوا : لم نجده ، فقال : « والله ما كذبت ولا كُذبت » ، والله لقد أخبرني رسول الله ﷺ : إنه يقتل مع شرّ جيل ، يقتلهم خير جيل » .

ثم دعا ببغلة رسول الله ﷺ فسار حتى وقف على قليب فيه قتلى فقال : « اقلبوا القتلى واطلبوه بينهم » فاذا هو سابع سبعة ، فلما أخرجه قال : « الله أكبر لولا أن تتكلوا فتتركوا العمل لأخبرتكم بما جعل الله عز وجل لمن قتلهم على لسان نبيّه ﷺ » .

وفي «مروج الذهب» للمسعودي : ج ٢ / ٤١٦ : وأخبره الرسول — وكان من يهود السواد — أنّ القوم قد عبروا نهر طراراستان وهذا النهر عليه قنطرة تعرف بقنطرة طراراستان ، بين حلوان وبغداد من جادة خراسان[1] ، فقال علي : والله ما عبروا ولا يقطعونه ، حتى نقتلهم بالرّميلة دونه ، ثم تواترت عليه الأخبار بقطع هذا النهر ، وعبورهم هذا الجسر وهو يأبى ذلك ، ويحلف

(١) هذا من أعمال بعقوبة ولا يزال هناك نهر يعرف بهذا الاسم ويسمونه خريسان

أنهم لم يعبروه ، وأن مصارعهم دونه ، ثم قال : « سيروا الى القوم فوالله لا يفلت منهم عشرة ؛ ولا يقتل منكم عشرة » فسار علي فأشرف عليهم وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على حسب مـا قاله لأصحابه، فلما أشرف عليهم قــال : الله أكبر صدق رسول الله ﷺ ، ووقف عليهم بنفسه فدعاهم الى الرجوع والتوبة فأبوا ورموا أصحابه .. الخ .

واني لأستحسن جداً تعليق ابن أبي الحديد على هذا الكلام حيث قال : « هــذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره ، ونقل الناس كافــة له ، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب ، والأخبار على قسمين أحدهما الأخبار المجملة والأعجاز فيها نحو أن يقول الرجل لأصحابه : إنكم ستنصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً ، فان نصر جعل ذلك حجة له عند أصحابه ، وسماهــا معجزة ، وان لم ينصر قال لهم : تغيرت نياتكم ، وشككتم في قولي فمنعكم الله نصره ، ونحو ذلك من القول ، ولأنه قد جرت العادة أن الملوك والرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر والنصر ، ويمنعونهم الدول، فلا يدل وقوع ما يقع من ذلك على أخبار عن غيب يتضمن إعجازاً . والقسم الثاني في الأخبار المفصلــة عن الغيوب مثل هذا الخبر فانه لا يحتمل التلبيس لتقييده بالعدد المعين في أصحابــه ، وفي الخوارج ، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان . وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله ﷺ وعرفه رسول الله ﷺ من جهة الله سبحانه ، والقوى البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا،ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره بمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافية لقوى البشر ، غلا فيه من غلا حتى نسب الى أن الجوهر الإلهي حل في بدنه كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام،وقد أخبره النبي ﷺ بذلك فقال : « يهلــك فيك رجلان محب غالٍ ، ومبغض قالٍ وقال له تارةً اخرى : « والذي نفسي بيده لولا أني أشفق أن يقول طوائف من امتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً

لا تمرّ بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك »[1] .

روي أن شاباً من أصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام بما حكم به من أمرهم وسار الى النهر لبيان صدق حكمه : والله لاكونن قريباً منه فان كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان رمحي بين عينيه ، أيدعي علم الغيب ؟ فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه وأخبره بذلك وطلب منه أن يغفر له ، فقال عليه السلام: « ان الله هو الذي يغفر الذنوب جميعاً فاستغفره » .

وقال عليه السلام

لاَ تَقْتُلُوا ٱلْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ ٱلْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ ٱلْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ .

قال الرضي رحمه الله :« يعني معاوية وأصحابه ».

لم نجعل لهذا الفصل رقماً لأن أغلب طبعات (النهج) جعلته وما قبله تحت رقم واحد لأنهما في معنى واحد وإن اختلف المقامان فأردنا أن لا تختلف أرقام كتابنا هذا .

وقد عثرت على روايتين عنه عليه السلام تفسران هذا الكلام :

(الأولى) رواها الصدوق في (علل الشرائع) : ص ٢٠١ ، والشيخ في (التهذيب) : ج ٢ ص ٤٨ عن جعفر الصادق عن أبيه عليهما السلام ، قال :

---

(١) شرح نهج البلاغة : م ١ ص ٤٢٥ .

ذكرت الحرورية [١] عند علي عليه السلام فقال : إن خرجوا على إمام عادل أو جماعـــة فقاتلوهم ، وإن خرجوا على إمام جائر فلا تقاتلوهم فان لهم في ذلك عقالا .

(الثانية) عن جعفر الصادق عن آبائه عليهم السلام ، قال : لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أهل النهروان قال: « لا يقاتلهم بعدي إلا من هم أولى بالحق منه » .

وهذا إخبار منه عليه السلام على أن أئمة الجور الذي حاربوا الخوارج بعد أمير المؤمنين عليه السلام أكثر باطلاً من الخوارج وليس بنهي منه عن قتالهم .

وتروى بوجه آخر « لا يقاتلهم بعدي إلا من هو أولى بالحق منهم » [٢] .

ولما طلب معاوية من الحسن بن علي عليهما السلام أن يخرج لمحاربة الخوارج امتنع ، فقال معاوية : أوليسوا هم أعداءك وأعدائي ؟ قال عليه السلام : « نعم يا معاوية ولكن ليس من طلب الحق .. » الخ [٣] .

والظاهر أنه أخذها من كلام ابيه سلام الله عليهما .

---

(١) الحرورية : الخوارج نسبه الى موضع يقال له حروراء كانت فيه الوقعة .

(٢) التهذيب ، م ٢ ص ٤٨ .

(٣) علل الشرائع « الباب ١٥٧ » عن كتاب (الفاروق بين الأباطيل والحقوق) لمحمد بن بحر الشيباني .

٦٠ — ومن كلام له عليه السلام

لمـــا خوّف من الغيلة [١]

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّـةً حَصِينَةً [٢] ، فَـإِذَا جَـــآءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي فَحِينَئِذٍ لاَ يَطِيشُ السَّهْمُ ، وَلاَ يَبْرَأُ الْكَلْمُ [٣] .

أول هذا الكلام رواه ابن كثير في (البداية والنهاية) : ج ٨ ص ١٢ عن كتاب (القدر) لأبي داود وأبو داود [٤] توفي قبل الرضي بنحو مائـــة وثلاثين عاماً .

ورواه بعد الرضي جار الله الزمخشري في باب القتل والشهادة من (ربيـــع الأبرار) بتفاوت يدل أنه منقول عن غير (نهج البلاغة) والآمدي في (غرر الحكم) ص ٨٩ في حرف الألف فيما ورد عنه عليه السلام بلفظ إنّ المشددة.

والسبب في هذا الكلام أنه عليه السلام خوّف من غيلة ابن ملجم — لعنه الله ، مراراً ، فقد ظهرت منه إمارات تدل على أنه ينوي ذلك .

---

(١) الغيلة ـ بالكسر ـ الاغتيال أي القتل على حين غرة من المقتول .

(٢) الجنة ـ بضم الجيم ـ ما يستتر به الانسان من درع وغيره ، وأسلمته : تخلت عنه .

(٣) طاش السهم : انحرف عن الغرض ، والكلم : الجراح .

(٤) هو سليمان بن الأشعث بن اسحق السجستاني صاحب كتاب (السنن) المشهور توفي سنة ٢٧٥ .

ذكروا أن ابن ملجم قال قبل أن يضرب علياً وكان جالساً في بكر بن وائل إذ مُرّ عليه بجنازة أبجر بن جابر العجلي أبي حجّار وكان نصرانياً والنصارى حوله واناس مع حجار لمنزلته فيهم يمشون في جانب فقال ابن ملجم : مـــا هؤلاء ؟ فاخبر الخبر فأنشأ يقول :

لئن كان حجّار بن أبجر مسلماً   لقد بوعدت منه جنازة أبجر
وان كان حجار ابن أبجر كافرا   فما مثل هذا من كفور بمنكر
أترضون هذا أن قيساً ومسلماً   جميعاً لدى نعش فيا قبح منظر
فلولا الذي أنوي لفرقت جمعهم   بأبيض مصقول الدياس مُشتّهر
ولكنني أنوي بذاك وسيـــلة   إلى الله او هذا فخذ ذاك أوذر(١)

ويروى أنه عليه السلام كان يخطب مرة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول : والله لأريحنهم منك ، فلما انصرف عليه السلام أتوا به ملبّباً (٢) فأشرف عليه السلام عليهم وقال : ما تريدون ؟ فأخبروه بما سمعوا منه ، فقال عليه السلام : خلوا عنه : « وإن عليّ من الله جُنة ...»إلى آخر ما رواه الرضي .

وروي أن الأشعث بن قيس لقي ابن ملجم متقلداً سيفه فقـــال له : ما يقلدك السيف وليس بأوان حرب ؟ قال اريد أن أنحر جزور القرية (٣) .

ومن هنا كانت الصلة بين الأشعث بن قيس وابن ملجم واستمرت الى ليلة مقتل أمير المؤمنين عليه السلام إذ كان تلك الليلة عينه ورقيبه وهو القـــائل له

---

(١) تاريخ الطبري : ٦ / ٨٤ حوادث سنة ٤٠ .

(٢) يقال : لبب فلان فلاناً : أي جمع ثيابه عند نحره وصدره ثم جره .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ٢ ص ١٥٦ و١٥٧ .

يحرضه على قتل أمير المؤمنين إذ ناداه تلك الليلة : النجآء النجآء بحاجتك فقد فضحك الصبح [1] .

وسيأتي ما هو في معنى هذا الكلام (في باب الكلمات القصار) في الحكمة رقم (٢٠١) والحكمة رقم (٣٠٦) .

٦١ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا . وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا [2] ، ٱبْتُلِيَ ٱلنَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ [3] ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ ، وَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ كَفَيْءِ ٱلظِّلِّ ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ [4] ، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ .

لا شك أن هذا الفصل من خطبة له عليه السلام أطول مما ذكر ، التقط منها منها الرضي ما اختاره هاهنا . وأنا أورد لك ما ذكره الآمدي في (غرر

---

(١) مقاتل الطالبيين : ص ٣٣ .

(٢) تقدير الكلام ان الدنيا لا يسلم من عقاب ذنوبها الا فيها ولا تكون السلامة الا بأمرين عمل صالح وتوبة كاملة ، وكل عمل قصد به المكلف الدنيا لا ينجيه شيء منه في الاخرة .

(٣) ما أخذوه منها لها كالمال لا يعمل به صالحاً وما أخذوه لغيرها كالمال يعمل صالحاً .

(٤) سابغاً ممتداً سائراً للارض ، وقلص : انقبض .

الحكم) في حرف الألف تحت حرف (إنّ) المشددة ، لترى التفاوت بين رواية الرضي والآمدي ، وتلاحظ الزيادة في رواية الأخير لتقطع أن لكل واحد منهما مصدراً غير مصدر صاحبه ، ثم أضف على ذلك أنّ الآمدي ذكر في مقدمة كتابه أنه حذف الاسانيد خشية من كلفة التطويل .

إن الدنيا دار لا يسلم منها إلا بالزهد فيها ، ابتلي الناس بها فتنة ، فما أخذوا منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه ، وما أخذوا منها لغيرها قدموا عليه ، وأقاموا فيه ، وانها عند ذوي العقول كالظل بينا تراه سائغاً حتى قلص ، وزائداً حتى نقص ، وقد أعذر الله سبحانه اليكم في النهي عنها وأنذركم وحذركم منها فأبلغ .

وروى صاحب (الغرر) أول هذا الفصل في حرف الألف تحت ألف الاستفتاح فراجع ص ١٠ و٨٨ و١٩٩ .

٦٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَٱتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ اللهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ (١) ، وَٱبْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ (٢) ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ

(١) أي سابقوها بالاعمال قبل حلولها .

(٢) ابتاعوا اي اشتروا الباقي وهو نعيم الآخرة بالفاني وهو نعيم الدنيا .

جُدَّ بِكُمْ (١) . وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ (٢) وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا (٣) . وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا . فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى (٤) . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ (٥) . وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ : ـ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ـ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ (٦) وَإِنَّ قَادِماً يَقْدِمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً (٧) فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، قَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا ، وَيُمَنِّيهِ

---

(١) الارتحال : الانتقال ، والمراد منه لازمه وهو الزاد الذي لا بد منه للراحل ، وجد بكم أي أسرع بكم مسترحلكم وأنتم لا تشعرون .

(٢) أي تأهبوا له ، وأظلكم قرب منكم كأنه ألقى عليكم ظله .

(٣) كونوا قوماً اذا استنامتهم الغفلة صاح بهم صائح الموعظة فانتبهوا

(٤) سدى : عبثاً .

(٥) المراد بالغاية الاجل ، وكل لحظة تمر فهي نقص بالامد بيننا وبين الاجل ، وكل ساعة تهدم ركناً منه وما كان كذلك فهو قصير .

(٦) المراد بالغائب الموت ، ويحدوه ، يسوقه، والاوبة ،القدوم.

(٧) القادم : الموت وتحرزون : تحفظون .

ٱلتَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا ، حَتَّى تَنْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا[1] فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً ، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُه إِلَى شِقْوَةٍ ، نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ[2] وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ .

* *

قد نثر الآمدي فقرات من هذه الخطبة بحسب مواضعها من « الغرر والدرر » وأنا أنظم لك هنا ما نثره هناك مع تعقيب كل فقرة برقم الصفحة التي سطرت فيها ، ثم لاحظ التفاوت اليسير بين الروايتين لتعرف اختلاف المصدرين .

« ترحلوا فقد جدّ بكم ، واستعدوا للموت فقد أظلكم (١٥٤) كونوا قوماً صيح فانتبهوا ، كونوا قوماً علموا أن الدنيا ليست بدارهم فاستبدلوا (٢٤٦) إن غاية تنقصها اللحظة ، وتهدمها الساعة لحرية بقصر المدة ، وإنّ غائباً يقدم عليك بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة(١٠٥) تزودوا من الدنيا ما تحوزون به أنفسكم غداً وخذوا من الفناء للبقاء (١٥٥) اهـ » .

ويظهر مما اختاره سبط ابن الجوزي في تذكرته : ص ١٤٥ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن في هذه الخطبة فقرات لم يذكرها الرضي في (النهج) فإنه

---

(١) تنجم : تطلع على حين غفلة .

(٢) تبطره : تطغيه وتقصر به ، تمنعه .

روى بعد قوله عليه السلام : « وأن غائباً يحدوه الجديدان لحري بسرعة الأوبة » هذه الفقرات : (فرحم الله عبداً سمع حكماً فوعى ، ودعي الى إخلاص نفسه فدنى ، واستقام على الطريقة فنجا ، وأحب ربه ، وخاف ذنبه ، وقدم صالحاً ، واكتسب مذخوراً ، واجتنب محذوراً ، ورمى غرضاً ، وأحرز عوضاً ، كابر هواه ، وكذب مناه ، وجعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عدة وفاته ، ركب الطريق الغراء ، ولزم المحجة البيضاء ، اغتنم المهل ، وبادر الاجل ، وتزود من العمل .

هذا وقد ذكر السبط في كتابه أنه لا يذكر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلا ما اتصل إليه إسناده ، وإنما حذف بعض الأسانيد طلباً للاختصار .

٦٣ — ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً[١] ، فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً ، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا ، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ[٢] . وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ ، وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ ، وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ ، وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ ، وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ

---

(١) أي كما أن ذاته ـ جلت عظمته ـ لا يطرأ عليها التغيير كذلك أوصافه ثابتة له معاً لا يسبق منها وصف وصفاً ، فهو أول وآخر وظاهر وباطن وهكذا في سائر صفاته تعالى أزلا وأبداً .

(٢) وصف غير الله بالوحدة تقليل الا الله سبحانه فوصفه بالوحدة تنزيه .

وَ كُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ ٱلْأَصْوَاتِ ، وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا [1] ، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ ٱلْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ ٱلْأَجْسَامِ ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ ظَاهِرٌ [2] ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ عَلَىٰ نِدٍّ مُثَاوِرٍ [3] ، وَلَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ ، وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ ، وَلَـٰكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ [4] لَمْ يَحْلُلْ فِي ٱلْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالُ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ [5] لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ٱبْتَدَأَ ، وَلَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَلَا وَلَجَتْ [6] عَلَيْهِ

(١) يصم ــ بفتح الصاد ــ مضارع صم أي يصاب بالصمم ، ويصمه مضارع اصم أي يفقده السمع .

(٢) أما كونه سبحانه ظاهرا بمعنى أن ادلة وجوده جلية واضحة ومعنى انه تعالى باطن اي غير مدرك بالحواس الباطنة ، اما غيره فهو ظاهر بالنسبة اليه سبحانه لا يخفى عليه شيء من أموره، وكونه باطنا فلانه لا يعلم ما يعلمه الله تعالى منه .

(٣) تشديد السلطان: تقويته، والند: النظير، والمثاور: المواثب والمحارب والمكاثر : المفاخر بالكثرة ، وتروى بالباء أي مفاخر بالكبر والعظمة ، والمنافر المحاكم في الرفعة والحسب .

(٤) مربوبون أي مملوكون ، وداخرون : أذلاء خاضعون .

(٥) بائن : منفصل .

(٦) يؤده : يثقله وذرا اي خلق ، وولجت : دخلت .

شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ ، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ ، الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ ، وَالْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ .

خطب عليه السلام بهذه الخطبة حين استنهض الناس لحرب معاوية في المرة الثانية كما في (التوحيد) للصدوق ص ٢٩ فانه روى بعضها بتفاوت مع رواية الرضي في موضعين من كتابه (التوحيد) ص ٢٩ و ص ٦٢ .

ورواها بعد الرضي علي بن محمد بن شاكر الليثي الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ) بصورة لا تختلف عن رواية الشريف الرضي .

ونقل الآمدي جملاً من هذه الخطبة في (غرر الحكم) : ص ٢٣٨ تدل بما أذكره لك من صورتها أنه قد انفرد بمصدر مع زيادة لم تأت في رواية الشريف ، فروى مثلاً : « كل عزيز غير الله سبحانه ذليل » و « كل قوي غير الله سبحانه ضعيف » و « كل مالك غير الله سبحانه مملوك » وهكذا تراه جاء بلفظ الجلالة ظاهراً في كل العبارات مع أنه في « النهج » في كلّها ضمائر تعود الى اللفظ المقدس في قوله عليه السلام «الله الذي لم تسبق له حالٌ حالاً».

أما الفقرات التي رواها زائداً على ما في « النهج » فهي : « كل سر عند الله سبحانه علانية » و « كل غالب غير الله سبحانه مغلوب » و « كل طالب غير الله سبحانه مطلوب » كما روى الفقرة الآتية بهذه الصورة : « كل قادر غير الله سبحانه مقدور » مع أنها وردت في « النهج » : « كل قادر غيره يقدر ويعجز [1] » .

---

(١) لانه تعالى قادر لذاته ، وغيره قادر لامر خارج عن ذاته ، والعجز على من عداه غير ممتنع ، وعليه سبحانه مستحيل .

٦٤ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين(١)

مَعَاشِرَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱسْتَشْعِرُوا ٱلْخَشْيَةَ ، وَتَجَلْبَبُوا ٱلسَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَىٰ ٱلنَّوَاجِذِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَىٰ لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ ، وَأَكْمِلُوا ٱللَّامَةَ وَقَلْقِلُوا ٱلسُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا ، وَٱلْحَظُوا ٱلْخَزْرَ وَٱطْعُنُوا ٱلشَّزْرَ ، وَنَافِحُوا بِالظُّبَا ، وَصِلُوا ٱلسُّيُوفَ بِالْخُطَا ، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ ٱللهِ ، وَمَعَ ٱبْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَعَاوِدُوا ٱلْكَرَّ ، وَٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱلْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي ٱلْأَعْقَابِ ، وَنَارٌ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَٱمْشُوا إِلَى ٱلْمَوْتِ مَشْيًا سُجُحًا ، وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا ٱلسَّوَادِ ٱلْأَعْظَمِ ، وَٱلرِّوَاقِ ٱلْمُطَنَّبِ ، فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ ، فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا ، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً ، فَصَمْدًا صَمْداً ، حَتَّىٰ يَنْجَلِيَ لَكُم عَمُودُ ٱلْحَقِّ ﴿ وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾.

(١) سيأتي شرح هذه الالفاظ بعد قليل .

هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير في كثير من الروايات .

وفي رواية نصر بن مزاحم: أنه خطب في أول أيام اللقاء والحرب بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلاثين [1] .

وعلى كل حال فإنّ هذا الكلام متواتر عنه ، مشهور النسبة إليه سلام الله عليه نذكر من نقلته قبل الرضي وبعده :

١ – ابن قتيبة في « عيون الاخبار » : م ١ ص ١١٠ قال :

وذكر ابن عباس علياً فقال : ما رأيت رئيساً يوزن به ، لرأيته يوم صفين وكأن عينيه سراجا سليط وهو يحمّس أصحابه إلى أن انتهى إليّ وأنا في كثف فقال : معشر المسلمين استشعروا الخشية .. الخ .

٢ – نصر بن مزاحم – على ما حكاه ابن أبي الحديد – قال : قال نصر حدثنا عمر بن سعد قال : حدثني عبد الرحمن عن أبي عمرو عن أبيه : أنّ علياً عليه السلام خطب في ليلة هذا اليوم فقال : معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة ، وعضوا على النواجذ ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام .. الفصل بطوله [2] .

٣ – استشهد الجاحظ في « البيان والتبيين » : ج ٢ ص ٢٤ بفقرة من هذه الخطبة قال : وقال علي كرم الله تعالى وجهه : (عضوا على النواجذ من الأضراس فإنه انبى للسيوف عن الهام) .

٤ – فرات بن إبراهيم بن فرات وكان في عهد الامام الرضا عليه السلام في

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد : م١ ص٤٧٩ .

(٢) شرح النهج للحديدي : م١ ص٤٨٣ .

تفسيره رواهـــا بالصورة التي رواها صاحب كتاب (بشارة المصطفى) كما سيأتي .

٥ — البيهقي في « المحاسن والمساوي » ص ٤٥ .

٦ — ابو جعفر محمد بن محمد بن القاسم الطبري من علماء القرن السادس في كتاب (بشارة المصطفى) ص ١٧٢ ، قال أخبرنا الشيخ العفيف أبو البقـاء إبراهيم بن الحسن البصري رحمه الله قراءة عليه في صفر سنة عشر وخمسمائـة بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قال : حدثني الشيخ أبو طالب محمد بن الحسين بن عتبة ، قال : حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن مخلد المداري ، قال : حدثنا أبو الفضل محمد بن عبدالله بن محمد بن المطلب الشيباني في شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائـة ببغداد في نهر الدجاج في دار الصيداوي المنشد ، قال : حدثنـــا محمد بن أبي الصهبان الباهلي ، قال : حدثنا احمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبان بن عثمان الاحمر (١) عن أبان بن تغلب (٢) عـــن

---

(١) هو أبان بن عثمان الاحمر البجلي الكوفي البصري أصله من الكوفة فكان يسكنها تارة ، والبصرة اخرى وقد أخذ عنه أهلها امثال ابي عبيدة معمر بن المثنى ، وأبي عبدالله محمد بن سلام ، واكثروا الحكاية عنـه في النسب ، واخبار الشعراء ، وأيام العرب ، وروى عن أبي عبد الله الصادق وابي الحسن الكاظم سلام الله عليهما ، وقد اجمعوا على تصحيح ما يصح عنه .

(٢) أبان بن تغلب (كتضرب) كوفي ثقة جليل القدر ، عظيم المنزلة لقي زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام وروى عنهم ، وكان له حظوة عندهم وروى عن ابـان بن محمد بـن ابان بـن تغلب قال : سمعت ابي يقول : دخلت مع ابي على ابي عبدالله عليه السلام فلمـا بصر به امـر بوسادة فالقيت له وصافحه واعتنقه وساءله ورحـب به ، وقال له الباقر عليـه السلام : اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني احب ان يرى فـي شيعتي مثلك ، وكان رحمه الله مقدما في كل فن من العلـم في القرآن والفقه الحديث والادب والنحو واللغة سمع من العرب وحكى عنهم ، وكان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الخلق ، واخليت له سارية النبي صلى اللـه

عكرمــة مولى ابن عباس ، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال : عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ما كشفت النساء ذيولهن عن مثله ، لا والله ما رأيت فارس [محرباً] [1] يوزن به لرأيته يوماً ونحن معه بصفين ، وعلى رأسه عمامة سوداء ، وكأن عينيه سراجــا سليط [2] تتوقدان من تحتها ، يقف على شرذمة شرذمة يخطبهم ، حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم، وطلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء ، عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب ، فاقشعر الناس لها لما رأوها ، وانحاز بعضهم إلى بعض ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : فيما الخنع [3] والنخع — يا أهل العراق — هــل هي إلا أشخاص ماثلة [4] فيها قلوب طائرة لو مستها سيوف أهــل الحق لرأيتموها كجراد بقيعة سفته الريح [1] في يوم عاصف ، ألا فاستشعروا الخشية،وتجلببوا السكينة[2] ، وادرعوا الصبر،وغضوا الاصوات،

عليه وآله ، وروى ان الصادق عليه السلام قال له : ناظر اهل المدينة فاني احب ان يكون مثلك من رواتي ورجالي . مات رحمه الله سنة (١٤١) وقال الصادق عليه السلام لما أتاه نعيه : ام والله لقد اوجع قلبي موت ابان .

(١) في الاصل محدثا والتصحيح عن « المحاسن والمساوي » واعلهــا : مجربــا .

(٢) السليط : الزيت .

(٣) النخع والخنع : الذل والخضوع .

(٤) الماثلة : القائمة او المتمثلة المشبهة بالانسان وتروى المائلة مــن الميل وهو العدول عن الحق . فيها قلوب طائرة اي كانت تخفق من الخوف.

(٥) سفت (بالتخفيف) الريح التراب : ذرته ، والقيعــة : الارض المستويــة .

(٦) استشعر : لبس الشعار وهو ما يلي البدن من الثياب ، وتجلبب لبس الجلباب : وهو ما تخمر المرأة به ثيابها من فوق ، والخشية : الخوف من الله تعالى ولكونها غاشية قلبية عبر عنها بالاستشعار ، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة لانها عارضة تظهر على البدن ، وعبر عن الصبر بالدرع .

وقلقلوا الأسياف في الاغماد قبل السلة[١] وانظروا الخزر، واطعنوا الشزر[٢]، كافحوا بالظبا ، وصلوا السيوف بالخطا [٣] ، والنبـال بالرماح ، وأعيدوا الكرّ ، واستحيوا من الفر ، فانـه عار في الاعقاب ، ونار يوم الحساب ، فطيبوا عن أنفسكم نفساً [٤] ، وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً [٥] ، فانكم بعين الله عز وجل ،ومع أخي رسول الله ﷺ ، وعليكم بهذا السرادق الادلم ، والرواق المظلم ، فاضربوا ثبجه [٦] ، فان الشيطان راقد في كسره ، نافشاً حضنيه ، مفترشاً ذراعيه ، قـد قدم للوثبة يداً ، وأخر للنكوص رجلاً [٧] ، فصمدا صمداً [٨] ، حتى ينجلي لـكم عمود الحق [٩] ، (وأنتم الأعلون والله معكم ولن

---

(١) مخافة ان تستعصي من الخروج عند السل .

(٢) الخزر ــ محركة ــ النظر كانـه من احد الشقين وهو علامـة الغضب . والشزر ــ بالفتح ــ الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً .

(٣) الظبا جمع ظبة : حد السيـف وقوله عليـه السلام : (وصلوا السيوف بالخطا) اذا قصرت سيوفكم عن الوصول الى اعدائكم فصلوهـا بخطاكـم .

(٤) اي ابذلوا نفوسكم عن رضى وطيب خاطر .

(٥) السجح « بضمتين » : السهل اللين .

(٦) السرادق : الفسطاط التي تمد حول البيت ، والادلـم الاسود وهو صورة ومعنى كالمظلم ويريد بالرواق مضرب معاوية ، وكان معاوية في مضرب عليه قبة عالية قد كلله بالثياب والارائك ، وجعل في وسطه منبرا جلس عليه ، وحوله صناديد اهل الشام ، والثبج الوسط وثبـج الانسان ما بين كاهله الى ظهره .

(٧) الكسر « بكسر الكاف » جانب الخباء ، والشيطان هنا يحتمـل وجهين : احدهما ان يعنى به الشيطان والثاني ان يعنى به معاويـة وهـو اظهر للقرينة التي تؤيده وهو قوله عليه السلام: (وقد قدم للوثبة يدا . الخ) .

(٨) صمدت لفلان : اي قصدت له .

(٩) اي يسطع نوره وضوءه .

يترِكم أعمالكم) [1] ، ها أنا شاد فشدّوا . (بسم الله حم لا ينصرون) .

ثم حمل عليهم أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام حمله وتبعته خويلة [2] لم تبلغ المائة فارس، فأجالهم فيها جولان الرحى المسرحة بثفالها[3] ، فارتفعت عجاجة منعتني النظر ، ثم انجلت فأثبت النظر فلم نر إلا رأساً نادراً ، ويداً طائحة ، فما كان بأسرع من أن ولوا مدبرين(كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) [4] فاذا أمير المؤمنين قد أقبل وسيفه ينطف [5] ووجهه كشقة القمر ، وهو يقول : (قاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم) [6] .

قال عكرمة : وكان ابن عباس رضي الله عنه يحدث فيقول : أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بقتال الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين انتهى .

وإنما نقلت الحديث بكامله لاستحساني له ولعلّ القارىء الكريم يستحسنه مثلي .

٧ — القاضي القضاعي في « دستور معالم الحكم » ص ١٢٤ وفسر غريب الخطبة هناك .

٨ — ابن عساكر في «تاريخ دمشق» مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق : م ١٢ الورقة ١٨٢ في ترجمة الامام علي عليه السلام وفسر غريبه .

---

(١) لن يترِكم : لن ينقصكم وهاهنا مضاف محذوف تقديره جزاء اعمالكم ، وهو من كلام الله تعالى رصع به خطبته عليه السلام .

(٢) تصغير خيل

(٣) الثفال جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الدقيق ، وسمى الحجر الاسفل من الرحى ثفالا بها .

(٤) المدثر : ٥٠ و ٥١ ، والمعنى كأنهم حمر وحش نافرة من القسورة وهو الأسد : وقيل الرماة ورجال القنص .

(٥) ينطف : يقطر .

(٦) التوبة ١٢ .

٦٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في معنى الانصار

قَالُوا : لَمَّا ٱنْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنْبَاءُ ٱلسَّقِيفَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا قَالَتِ ٱلْأَنْصارُ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ . فَهَلَّا ٱحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ ؟

قَالُوا : وَمَا فِي هٰذا مِنَ ٱلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : لَوْ كَانَتِ ٱلْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ ٱلْوَصِيَّةُ بِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : فَماذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟

قَالُوا ٱحْتَجَّتْ بِأَنَّها شَجَرَةُ ٱلرَّسُولِ ﷺ .

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱحْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضاعُوا ٱلثَّمَرَةَ[١] .

* *

---

(١) أراد بالشجرة : شجرة النبوة . والثمرة آل البيت عليهم السلام .

روى صدر هذا الكلام النويري في (نهاية الإرب) : ج ٨ ص ١٦٨ وما ذكره الرضي في هذا الموضع يشتمل على امور :

١ – وصية رسول الله صلى الله عليه وآله بالأنصار .

٢ – قول الأنصار يوم السقيفة : « منا أمير ومنكم أمير » .

٣ – احتجاج قريش عليهم بأنهم شجرة الرسول صلى الله عليه وآله .

٤ – قول أمير المؤمنين عليه السلام : احتجوا بالشجرة ، وأضاعوا الثمرة . يريد بالثمرة أهل البيت عليهم السلام .

(١)

أمـا وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله بالأنصار فقد أخرجها البخاري ومسلم في مسنديها عن أنس بن مالك ، قال: مرّ أبو بكر والعباس رضي الله تعالى عنهما بمجلس من الأنصار في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يبكون؟ فقالا : ما يبكيكم ؟ قالوا ذكرنا محاسن رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلا على النبي صلى الله عليه وآله وأخبراه بذلك، فخرج صلى الله عليه وآله وقد عصب رأسه بحاشية بردة (وفي البخاري : برد) فصعد المنبر – ولم يصعده بعد ذلك اليوم – فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي ، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم .

(صحيح البخاري : ٢ : ٣١٤ صحيح مسلم الحديث ١٩٤٩)

(٢)

وقولهم : (منا أمير ومنكم أمير) قد تواتر في كتب السير والتواريخ ، والصحاح والمسانيد ، والتراجم والأدب ، وإجمال ما ذكروه : أنّ معظم الأنصار كان رأيهم أن لا تكون البيعة إلا لعلي عليه السلام فلما رأوا طمع قريش فيها : وظهرت لهم إمارات ذلك أرادوها لأنفسهم فاجتمعوا في سقيفة بني

ساعدة ، وأخرجوا سعد بن عبادة وهو مريض وقالوا : « نولي هذا الأمر بعد محمد سعد بن عبادة » ثم إنهم ترادّوا الكلام بينهم فقالوا: « فان أبت مهاجرة قريش ، وقالوا : نحن المهاجرون ، وصحابة رسول الله الأولون ، ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده ؟ » فقالت طائفة منهم : « فانا إذاً نقول : « منا أمير ومنكم أمير » . فقال سعد بن عبادة : « هذا أول الوهن » [1] .

(٣)

وسمع أبو بكر وعمر ذلك فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن الجرّاح ، وجماعة آخرون منهم المغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن عوف واجتمعوا مع الأنصار في السقيفة يتنافسون على الإمارة ، وأراد عمر أن يتكلم فمنعه أبو بكر عن الكلام فتكلم أبو بكر وذكر سابقة المهاجرين بالرسول دون جميع العرب ، وقال : « هم أول من عبد الله في الأرض ، وآمن بالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم في ذلك إلا ظالم » ثم ذكر فضيلة الأنصار وقال بعد ذلك : « فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الامراء وأنتم الوزراء » فقام الحباب بن المنذر قال . « يا معشر الانصار املكوا عليكم أمركم فان الناس في فيئكم وظلكم ولم يجترىء على خلافكم ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنكم أمير » .

انظر الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ١١ وما نقله ابن ابي الحديد في اوائل م ٢ من شرحه على نهج البلاغة عن كتاب السقيفة لابي بكر الجوهري

---

(١) انظر الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ١١ .

ونرى ان من نافلة القول تكثير المصادر على اثبات قول الانصار « منا أمير ومنكم أمير » .

(٤)

أما إنهم احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة ، فهو من الامور الثابتة التي لا تحتاج إقامة الأدلة وتكثير الشواهد وقد تكرر ذلك منه عليه‌السلام وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في الحكمة رقم (١٩٠) عند قوله عليه‌السلام : « واعجبا أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة ؟ » فالى هناك والله الموفق .

٦٦ — ومن كلام له عليه‌السلام

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه فقتل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ ، وَلَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ ، بِلَا ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ[1] ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً ، وَكَانَ لِي رَبِيباً .

كان عليه‌السلام قد ولى محمد بن أبي بكر مصر ، فلما اضطرب الامر عليه بعد صفين وقوي أمر معاوية طمع في مصر . وقد كان عمرو بن العاص بايعه على أن يكون معه في قتال علي ، ويكون مصر له طعمة ، فبعثه اليها بعد صفين

(١) لما يتوهم من المدح لعتبة .

في ستة آلاف فارس ، وقد كان فيها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمان ، وكانوا يزعمون أنّ محمداً قتله فانضافوا الى عمرو ، وكان معاوية كتب الى وجوه مصر ، إما إلى شيعته فبالترغيب ، وأما إلى أعدائه فبالترهيب ، وكتب محمد بن أبي بكر الى علي عليه السلام بالقصة يستمده بالمال والرجال ، فكتب إليه يثبته ويعده بذلك بأسرع ما يمكن، فجعل محمد يدعو أهل مصر الى قتال عمرو ، فانتدب معه أربعة آلاف رجل فوجه منهم ألفين مع كنانة ابن بشر لاستقبال عمرو ، وبقي هو في ألفين ، فأبلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسناً وقتل من عسكر عمرو خلقاً كثيراً ، ولم يزل يقاتل حتى قتل رحمه الله ، فلما قتل تفرق الناس عن محمد . وأقبل عمرو يطلب محمداً فهرب منه مختفياً ، فدخل عمرو فسطاطه . وخرج معاوية بن حديج الكندي ، وكان من امراء جيش عمرو ، في طلب محمد فظفر به ، وقد كاد يموت عطشاً، فقدمه فضرب عنقه ، ثم أخذ جثته فحشاها في جوف حمار ميت وأحرقه . وقد كان علي عليه السلام وجه لنصرته مع مالك بن كعب الى مصر نحو من ألفي رجل ، فسار بهم خمس ليال ، وورد الخبر الى علي بقتله وأخذ مصر فجزع عليه السلام عليه جزعاً ظهر أثره في وجهه ثم قال : رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً وقد اردت .. الفصل [1] .

وروى ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب(الغارات) قال : روى المدائني أن علياً قال : « رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً لقد أردت أن اولي المرقال هاشم بن عتبة [2] مصر فانه والله لو وليها لما خلا لابن العاص وأعوانه العرصة

---

(١) انظر (شرح نهج البلاغة) لابن ابي الحديد : م ٢ ص ٢١ — ٣٨ و (شرح نهج البلاغة) للشيخ ميثم البحراني ١٨٦ و ١٨٧ .

(٢) هاشم بن عتبة بن ابي وقاص كان من افاضل الصحابة وكان شيعة لامير المؤمنين ومن قوله لامير المؤمنين عليه السلام : « والله ما احب ان لي ما على الارض مما اقلت وما تحت السما مما اظلت واني واليت عدوا لك أو عاديت وليالك » . =

ولا قتل إلا وسيفه بيده بلا ذم لمحمد فقد أجهد نفسه فقضى ما عليه » .

قال المدائني : وقيل لعلي عليه السلام : لقد جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين ، قال : « وما يمنعني ! إنه كان لي ربيباً وكان لبنيّ أخاً وكنت له والداً أعده ولداً » .

فالناقل لهذا الكلام الثقفي،والراوي له المدائني وكلاهما أقدم من الرضي بزمان ليس بالقصير وقد اشتملت هذه الرواية على ما نقله الرضي ولا ضير من التفاوت النزر بين النقلين ، ولعل ما سقط من ألفاظ في رواية المدائني من سهو النساخ .

ورواه الطبري في « التاريخ » ج ٦ ص ٦٣ في حوادث سنة ٣٦ بتفاوت يسير عما في « النهج » والبلاذري في ترجمة علي عليه السلام من (أنساب الاشراف) ص ٤٠٤ ط الاعلمي .

= وكان على ميسرة امير المؤمنين عليه السلام يوم صفين وكان يحب الشهادة بين يديه ودعا له امير المؤمنين بقوله : « اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك » قاتل يوم صفين هو وعمار معا وكان عمار يقول له يومئذ : « تقدم هاشم تحت ظلال السيوف والموت تحت اطراف الاسنة ، اليوم القى الاحبة محمدا وحزبه » .

وكان يرقل الى الحرب فلقب بذلك وقتل يومئذ فجزع الناس عليه جزعا شديدا واصيب معه عصابة من اسلم من القراء فمر بهم علي عليه السلام وهم قتلى فقال :

جزى الله خيرا عصبة اسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

الابيات

واخذ ولده الراية وحمل بها وابلى بلاء حسنا فاسر وأتى معاوية فلما أدخل عليه وعنده ابن العاص قال : يا امير هذا المختال بن المرقال فدونك الضب فان العصى من العصية ، فأمر معاوية بحبسه فحبسه بعد مناظرة طويلة جرت بينه وبين معاوية وعمرو .

٦٧ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذم أصحابه

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى ٱلْبِكَارُ ٱلْعَمِدَةُ (١) . وَٱلثِّيَابُ ٱلْمُتَدَاعِيَةُ (٢) . كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ (٣) أَكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ ٱلشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَٱنْجَحَرَ ٱنْجِحَارَ ٱلضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَٱلضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا (٤) . ٱلذَّلِيلُ وَٱللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ . وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ (٥) . وَإِنَّكُمْ وَٱللهِ لَكَثِيرٌ فِي ٱلْبَاحَاتِ (٦) قَلِيلٌ تَحْتَ ٱلرَّايَاتِ ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ (٧) وَلَٰكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي ، أَضْرَعَ ٱللهُ

---

(١) البكار – ككتاب – جمع بكر : الفتى من الابل ، والعمد – بفتح فكسر – : انفضخ رأس سنامها من الركوب ، وظاهره سليم .

(٢) المتداعية : الخلقة المتخرقة ، ومداراتها : استعمالها بالرفق التام .

(٣) حيصت : خيطت ، وتهتكت : انخرقت .

(٤) المنسر – كمجلس – القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير ، وأطل: أشرف وانجحر – بتقديم الجيم – دخل الجحر ، والوجار ، – بالكسر – جحر الضب وغيره .

(٥) تقدم تفسيره في الخطبة رقم (٢٩) .

(٦) الباحات : الساحات .

(٧) الأود – بفتح الواو – الاعوجاج .

خُدُودَكُمْ(١) . وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ(٢) لَا تَعْرِفُونَ ٱلْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ ٱلْبَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ ٱلْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ ٱلْحَقَّ .

روى أول هذه الخطبة – قبل الرضي – البلاذري في (أنساب الاشراف): ص ٤٣٨ ط : الأعلمي بترجمة أمير المؤمنين عليه السلام .

ويظهر من رواية ابن واضح لها في (التاريخ) : ج ٢ ص ١٨٤ أنها من جملة الخطب التي خطبها عليه السلام في غارة النعمان بن بشير على عين التمر وقد أشرنا الى القصة عند القول في مصادر الخطبة (٣٩) وهي قوله عليه السلام : « منيت بمن لا يطيع اذا أمرت ... » الخ .

٦٨ ـ وقال عليه السلام

في سُحرة اليوم الذي ضُرب فيه(٣)

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ(٤) فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ ٱلْأَوَدِ وَٱللَّدَدِ! فَقَالَ : ٱدْعُ عَلَيْهِمْ ، فَقُلْتُ : أَبْدَلَنِي ٱللهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي .

قال الرضي رحمه الله : « يعني بالأود الاعوجاج وباللدد الخصام وهذا من أفصح الكلام » .

(١) أضرع خدودكم : أذل وجوهكم ، يقال ضرع فلان ذل . وأضرعه غيره: أذله ،
(٢) التعس : الهلاك ،والجدود : الحظوظ والمعنى حط من حظوظكم .
(٣) السحرة ـ بضم السين المهمله ـ السحر الأعلى من آخر الليل .
(٤) ملكتني عيني : أخذني النوم . وسنح لي : مر بي كما يسنح الظباء والطير .

رواه قبل الرضي وبعده جماعة نذكر منهم :

١ — ابن سعد في (الطبقات) ج ٣ ص ٣٦ .

٢ — ابو الفرج الاصبهانى في (مقاتل الطالبيين) : ص ١٦ .

٣ — ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٩٨ .

٤ — ابو علي القالي في (ذيل الأمالي) ص ١٩٠ .

٥ — ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ١٦٠ .

٦ — محمد بن حبيب البغدادي في كتاب « المغتالين » رواه بسنده عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : دخلت عليه وهو مجروح فقال : ادن مني يا أبا عبد الرحمن — والنساء يبكين — فدنوت منه ، فقال لي : بت الليلة أوقظ أهلي فملكتني عيني وأنا جالس، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأودواللددفقال: ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني من هو خير لي منهم وابدلهم من هو شر لهم مني .

وذكر أنه عليه السلام قال في ابن ملجم : أطيبوا طعامه ، وألينوا فراشه .

٧ — ابن عبد البر في « الاستيعاب » ج ٣ ص ٦١ في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام هذه الرواية .

٨ — المفيد في«الارشاد ص ٩»رواه بتفاوت عما في النهج .

٩ — المرتضى في « الغرر والدرر ج ٤ ص ٧٨» ذكر أول هذا الكلام . وغيرهم .. وغيرهم .

٦٩ - ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ ٱلْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ ٱلْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ (١) وَمَاتَ قَيِّمُهَا وَطَالَ تَأَيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا (٢) أَمَا وَٱللهِ مَا أَتَيْتُكُمْ ٱخْتِيَارًا وَلَٰكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا (٣) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ ، قَاتَلَكُمُ ٱللهُ فَعَلَىٰ مَنْ أَكْذِبُ . أَعَلَى ٱللهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ، أَمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ . كَلَّا وَٱللهِ وَلَٰكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا (٤) وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا . وَيْلُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنٍ (١) لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ .

هذا مختار خطبة خطب بها عليه السلام بعد صفين ، وقد روى طرفاً منها ابن

---

(١) املصت : القت حملها ميتا .

(٢) القيم : الزوج ، والتأيم : الخلو من الزوج ويقال امرأة أيم ورجل أيم يتساوى بذلك المذكر والمؤنث .

(٣) أي ساقتني الضرورة اليكم بسبب نكث أصحاب الجمل .

(٤) لهجة : نوع من الكلام لم تحضروه ولستم من أهله .

(٥) ويلمه : تكتب موصولة كما في الصورة ، وأصل الكلمة ويل امه ، كلمة تقال في مقام المدح وان كان وضعها لضده ، وقد يجاء بها للتعجب . والضمير الى ما دل عليه معنى الكلام من العلم .

(٦) كيلا منصوب لانه مصدر في موضع الحال ، والمعنى اكيل لكم الحكمة والعلم كيلا ولا اطلب ثمنا .

دأب المعاصر لموسى الهادي الخليفة العباسي في كتابه [1] ورواها المفيد في (الارشاد) ص ١٦١ ، وأنا أنقل لك الخطبة حتى تعرف مقدار ما اختاره الرضي منها :

« أيها الناس إني استنفرتكم لجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا ، وسمعتم فلم تجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ، شهود كغيّاب ، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها وأعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون منها ، وأحثّكم على جهاد أهل الجور فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين (أيادي سبأ) ، ترجعون إلى مجالسكم تتربعون حلقاً ، وتضربون الأمثال وتنشدون الأشعار ، وتتجسسون الأخبار .. جهلة من غير علم ، وغفلة من غير ورع ، وتثبطاً من غير خوف ، نسيتم الحرب والإستعداد لها ، فأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها .

.. يا أهل الكوفة أنتم كامّ مجالد حملت فأملصت فمات قيمها ، وطال تأيمها ، وورثها أبعدها ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة .. ليتوارثنكم من بني أمية عدة ما الآخر بأرأف من الأول ... يقتلون خياركم ، ويستعبدون أراذلكم ، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم ، بما ضيعتم من اموركم ، وصلاح أنفسكم ودينكم .

يا أهل الكوفة أخبركم بما يكون قبل أن يكون لتكونوا على حذر ، ولينذر به من اتعظ واعتبر ، كأني بكم تقولون : إنّ علياً يكذب — كما قالت قريش لنبيها نبي الرحمة — .. ، ويلكم فعلى من أكذب ؟ أعلى الله فأنا أول من عبده ووحده ، أم على رسول الله ﷺ ؟ فأنا أول من آمن به وصدقه ونصره ، كلا والله ، ولكنها لهجة خدعة كنتم عنها أغنياء ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة (لتعلمن نبأه بعد حين) .. الخ.

---

(١) (الاختصاص) : ص ١٥٥ .

وقال ابن أبي الحديد : وقد روى هذا الكلام (يعني : ما أتيتكم اختياراً .. الخ) على وجه آخر (ما أتيتكم اختياراً ولا جئتكم شوقاً) بالشين المعجمة [١] والظاهر من كلامه انها رواية غير (النهج) فتبصر .

ورواية الطبرسي لها في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٥٤ أطول ومما هو جدير بالذكر انك إذا لاحظت رواية المفيد تجد أن المختار هنا وما سيأتي تحت رقم (٩٥) خطبة واحدة كما سنشير الى ذلك إن شاء الله تعالى .

٧٠ - ومن خطبة له عليه السلام

علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله

اَللّٰهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ، وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ [٢] وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلٰى فِطْرَتِهَا، شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا [٣] إِجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ [٤] عَلٰى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ [٥]

---

(١) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٤٧ .

(٢) المدحوات : الارضون : وداحي المدحوات : باسطها من دحوت الرغيف اذا بسطته وداعم المسموكات مقيمها ، والمسموكات : المرفوعات وهي السموات .

(٣) جابل ، خالق ، والفطرة : الخلقة والمعنى : خالق النفوس على ما خلقها عليه من التهيؤ والاستعداد لسلوك سبيلى الخير والشر ، واستحقاق الشقاوة والسعادة .

(٤) الشرائف جمع شريفة ، والنوامي جمع نامية اي الزائده .

(٥) الحق في الاولى : ضد الباطل ، وفي الثانية الدلائل والمعجزات وجيشات جمع جيشة من جاشت القدر : اذا ارتفع غليانها ، والدامغ من دمغه : اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ .

وَٱلدَّافِعِ جَيْشَاتِ ٱلْأَبَاطِيلِ ، وَٱلدَّامِغِ صَوْلَاتِ ٱلْأَضَالِيلِ ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ ، قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ [1] ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ ٱلْقَابِسِ وَأَضَاءَ ٱلطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَهُدِيَتْ بِهِ ٱلْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ ٱلْفِتَنِ [2] ، وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ ٱلْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ ٱلْأَحْكَامِ [3] ، فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ ٱلْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ بِٱلْحَقِّ [4] ، وَرَسُولُكَ إِلَى ٱلْخَلْقِ ، ٱللَّهُمَّ ٱفْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ ، وَٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ، ٱللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ ، وَٱجْزِهِ مِنِ ٱبْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ ٱلشَّهَادَةِ وَمَرْضِيَّ ٱلْمَقَالَةِ [5] ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ ،

---

(١) مستوفزا : اي مسارع ، والنكول ، الاحجام ، والواهي : الضعيف .

(٢) اورى الزند : اخرج ناره ، والقبس : الشعلة ، والخابط : السائر على غير هدى .

(٣) الاعلام جمع علم ـ بالتحريك ـ ما يستدل به على الطريق ، ونيرات الاحكام اي ذوات النور .

(٤) شهيدك : أي شاهدك ، وبعيثك أي مبعوثك .

(٥) خطة فصل : أي امر فاصل وتروى « خطبة » أي مقال فاصل .

ٱللَّهُمَّ ٱجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ ٱلْعَيْشِ وَقَرَارِ ٱلنِّعْمَةِ [1] ، وَمُنَى ٱلشَّهَوَاتِ ، وَأَهْوَاءِ ٱللَّذَّاتِ وَرَخَاءِ ٱلدَّعَةِ ، وَمُنْتَهَى ٱلطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ ٱلْكَرَامَةِ .

هذه الخطبة رواها عدة من العلماء قبل الرضي وبعده ، مسندة ومرسلة ، نذكر منهم :

أ — ابن قتيبة في (غريب الحديث) قال : إنّ سلامة الكندي قال كان علي عليه السلام يعلمنا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : اللهم داحي المدحوات .. الحديث .

وفسر ابن قتيبة غريب هذه الخطبة في كتابه [2] .

ب — ابن هلال الثقفي في (الغارات) بسنده عن أبي سلامة الكندي[3].

ج — أبو علي القالي في (ذيل الامالي) ص ١٧٣ قال : حدثنا أبو بكر ابن دريد ، قال : حدثنا الحسن بن حصر عن أبيه عن بعض ولد علي رضي الله تعالى عنه ، قال : كان علي يعلم الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ويقول : اللهم داحي المدحوات .. الخ .

د — وفسر الازهري جملاً منها في مواضع من (تهذيب اللغة) وتبعه ابن الاثير في (النهاية) والزمخشري في (الفائق) وابن منظور في (لسان

---

(١) تقول العرب عيش بارد : اي لا حرب فيه ولا نزاع لان البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة للحركة ، وقرار النعمة : مستقرها حيث لا تفنى .

(٢) انظر شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ ص ٣٦٤ .

(٣) انظر م تاسع عشر البحار ص ١٦ ط الكمباني .

العرب) ولسنا بحاجة الى استقصاء المواد من الكتب المذكورة .

ورواها بعد الرضي جماعة بصور تدل على أنها لم تنقل عن (نهج البلاغة) نذكر منهم :

هـ — القاضي القضاعي في الباب السادس من (دستور معالم الحكم) في ص ١١٩ قال : كان عليه السلام يعلم أصحابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ويقول : اللهم داحي المدحوات .. الخ .

و — سبط ابن الجوزي الحنفي في (تذكرة الخواص) ص ١٣٦ ، قال : أخبرنا عبدالله بن أبي المجد الحربي ، أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ، أخبرنا أبو الفتح أحمد بن محمود الحداد أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن إبراهيم بن منحويه ، أخبرنا محمد بن أحمد بن اسحق ، أخبرنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث ،حدثنا ابن عرفة ،حدثنا عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ،عن مجالد عن سعيد بن عمير قال : خطب أمير المؤمنين يوماً فقال : الحمد لله داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها ، شقيها وسعيدها، وغويها ورشيدها. اللهم واجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على سيدنا محمد عبدك ورسولك .. الخ .

ز — السماهيجي في (الصحيفة العلوية) : ص ٣ .

ح — وقد جمع الشيخ المحمودي في كتابه الجليل (نهج السعادة) قسم الدعاء أسانيد هذه الخطبة : ص ٢٨٦ فراجعه تجد ما يشفي ويكفي .

٧١ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة :

قَالُوا أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ ٱلْحَكَمِ أَسِيراً يَوْمَ ٱلْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ

ٱلحَسَنَ وَٱلحُسَيْنِ عَلَيْهِما ٱلسَّلَامُ ، إِلَى أَمِــيرِ ٱلمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ . فَقَالَا لَهُ : يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ ٱلمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عليه السلام :

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ . إِنَّهَا كَفٌّ [1] يَهُودِيَّةٌ ، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ [2] ، أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ أَبُو ٱلْأَكْبُشِ [3] ٱلْأَرْبَعَةِ ، وَسَتَلْقَى ٱلْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ .

روى طرفاً من هذا الكلام قبل الرضي ابن سعد في (الطبقات) ج ١ في ترجمة مروان ، والبلاذري في (أنساب الأشراف) بترجمة أمير المؤمنين ص ٣٦١ ط الأعلمي ورواه بعده الزمخشري في (ربيع الأبرار) الورقة ٣٧ من الجزء الأول (مخطوطة مكتبة كاشف الغطاء) وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ٧٨ باختلاف يسير ، وجاء في (النهاية في غريب الحديث) لابن الاثير ج ١ ص ٦٧ في حديث علي « أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب ابنه) ومع ملاحظة أن الرضي رواها « كلعقة الكلب أنفه » تعرف أنّ ابن الأثير أنفرد بمصدر .

وقال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ٢ ص ٥٣ : قد روى هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب (نهج البلاغة) وهي

(١) كف يهودية : أي غادره .
(٢) السبت ــ بالفتح ــ الاست وهو مما يحرص الانسان على اخفائه فكنى به عن الغدر الخفي .
(٣) الاكبش جمع كبش وهو من القوم رئيسهم ، واليوم الاحمر : الشديد

قوله عليه السلام في مروان : « يحمل راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه ، وان له امرة » . الى آخر الكلام .

فترى ابن أبي الحديد هنـــا ينص على تواتر هذا الخبر ، وكثرة طرقه ، وروى الزيادة التي لم يروها الرضي ولكنه لم يذكر المصادر لشهرة هذا الكلام.

هـــذا وقد ذكر ابن واضح في تاريخه ج ٢ ص ١٦٨ بيعة مروان لأمير المؤمنين عليه السلام بعد قتـل عثمان فإنه بعد أن ذكر بيعة المهاجرين والأنصار لأمير المؤمنين عليه السلام قال : بايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش : مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وكان لسان القوم ، فقال : يا هذا إنك قد وترتنا جميعاً ، أما أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر ، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر ، وأما مروان فشتمت أباه ، وعبت على عثمان حين ضمه إليه .. فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصابنا ،وتبقي لنا ما فيأيدينا ،وتقتلقتلة صاحبنا فغضب علي عليه السلام وقال : أما ماذكرتمن وتري اياكمفالحق وتركم ، وأما وضعي عنكم عما في أيديكم فليس لي أن اضع حق الله ، وأما إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم ، وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً ، ولكنلكم أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيق ، فان شئتم فالحقوا بملاحقكم ، فقال مروان : بل نبايعك ، ونقيم معك فترى ونرى ا هـ وهذا ما أشار اليه عليه السلام بقوله : أو لم يبايعني بعد قتل عثمان .

وفي رواية القطب الراوندي في « الخرائج والجرائح » ان ابن عباس تشفع به أيضاً،وأن أمير المؤمنينعليه السلام قال له لمّا خلى سبيله : هيه يا بن الحكم خفت علىرأسك أن يقع في هذه المعمعة كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان (وجعل يعدد من ولي الأمر من أبنائه) يسومون هذه الامة خسفاً ، ويسقونها كأساً مصبره . ا هـ

وظهر مصداق قول أمير المؤمنين عليه السلام في إمرة مروان فكانت كلعقة الكلب أنفه لقصرها إذ كانت تسعة أشهر ، وكان في أيام كتابته لعثمان أكثر حكماً وأشد تسلطاً منه في أيام خلافته وكان نهاية أمره أن خالد بن يزيد بن معاوية شكاه الى امّه – وكان قد خلف عليها بعد يزيد – لأنه قد ذكرها بقبيح ، وأفحش عليه والمجلس غاص بأهله ، فقالت لا يعرفن ذلك فيك وأنا اكفيك أمره ، فلما دخل عليها مروان قال لها : ما قال لك خالد ؟ قالت : وما عساه يقول ، إنه لأشد إعظاماً لك من أن يشتكيك ثم مكثت أياماً فدست إليه سماً فلما ولج في بدنه اعتقل لسانه فدخل عليه ولده فجعل يشير اليها فلم يفهموا مراده ، وجعلت هي تبكي وتقول : يا أبا عبد الملك إلى الموت وأنت توصي بي، فلما جنّ الليل عمدت إلى الوسائد والبراذع فجعلتها عليه ، وأمرت جواريها وجلسن عليه حتى خنقته [1] .

وفسر الناس الاكبش الاربعة الذين ذكر أمير المؤمنين عليه السلام بابناء عبد الملك بن مروان وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، ولم يل الخلافة من بني امية ولا من غيرهم أربعة اخوة إلا هؤلاء .

٧٢ – ومن كلام له عليه السلام

لما عزموا على بيعة عثمان :

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَوَٱللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٥٤ وحياة الحيوان للدميري .

أَلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ .

قال ابن أبي الحديد : ونحن نذكر في هـذا الموضع – أي في شرحه لهذا الكلام – ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى ، وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم ، وقد روى الناس ذلك فأكثروا ، والذي صحّ عندنا أنه لم يكن الأمر كما روي من تلك التعديدات الطويلة ، ولكنه قال لهم – بعد أن بايع عبد الرحمن والحاضرون عثمان وتلكأ هو عليه السلام عن البيعة – : «إنّ لنا حقاً إن نعطه نأخذه ، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن طال السُّرى » في كلام ذكره أهل السيرة –قال– : وقد أوردنا بعضه فيما تقدم ، ثم قال لهم : « أُنشدكم الله أفيكم أحد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري؟ » فقالوا : لا ، فقال : « أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « من كنت مولاه فهذا مولاه » غيري ؟ » فقالوا : لا فقال : « أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبي بعدي » غيري » ، قالوا : لا ، قال : « أفيكم من اؤتمن على سورة براءة ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني » غيري ؟ » قالوا : لا ، قال : « ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فروا عنه في مأقط الحرب وما فررت قط؟ » قالوا: بلى ، قال: « ألا تعلمون أني أوّل الناس إسلاماً؟ » قالوا : بلى ، قال : « فأيّنا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله نسباً ؟ » قالوا : أنت فقطع عليه عبد الرحمن كلامه ، وقال : يا علي قد أبى الناس إلا عثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً ، ثم قال : يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر ؟ قال:

روى ابن الأثير في (النهاية) بعض هذا الكلام في مادة (قرف) وفسره ، وفي (مجمع البحرين) مادة (قرف)قال:وفي حديث علي عليه السلام : « أو لم ينه امية عن قرفتي » أي تهمتي وعيبي ، تأمل أن رواية صاحب (المجمع) « قرفتي » بالتاء ورواية الرضي بحذفها .

٧٤ - ومن خطبة له عليه السلام

رَحِمَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى ، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا[١] ، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا[٢] ، رَاقَبَ رَبَّهُ وَخَافَ ذَنْبَهُ ، قَدَّمَ خَالِصاً ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، اكْتَسَبَ مَذْخُوراً[٣] ، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً ، رَمَى غَرَضاً ، وَأَحْرَزَ عِوَضاً ، كَابَرَ هَوَاهُ[٤] ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ ، جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ[٥] وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ ، اغْتَنَمَ الْمَهَلَ ، وَبَادَرَ الأَجَلَ ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

---

(١) الحكم هنا : الحكمة ، ووعى : حفظ ، ودنا : قرب من الرشاد الذي دعي اليه

(٢) الحجزة ــ بالضم ــ : معقد الازرار من السراويل .

(٣) المذخور : المحروز والمراد به العمل للآخرة

(٤) كابر هواه: غالبه ، ويروى كاثر ــ بالمثلثة ــ والمعنى واحد

(٥) الطريقة الغراء : الواضحة النيرة ، والمحجة : الجادة .

أن أقتل من شق عصا الجماعة ، فقال عبد الرحمن لعلي : بايع إذن وإلا كنت غير تابع سبيل المؤمنين ، وانفذنا فيك ما أمرنا به ، فقال : « لقد علمتم أني أحقّ بها من غيري ، والله لاسلمن » الفصل الى آخره .

فالمفهوم من كلام ابن أبي الحديد هذا أن الرضي رحمه الله لم يذكر إلا بعض كلامه الذي قاله في تلك المناسبة ، وأن هذا الكلام أصح ما روى عنه من كلامه ذلك اليوم ، وأنه استخلصه من روايات كثيرة ، وأن الرضي لم ينفرد بروايته ، وأن هذا الكلام تابع للكلمة الآتيــة في باب الكلمات القصار برقم : (٢١) .

٧٣ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمان :

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي ، أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهْمَتِي ، وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي ، أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ(١) وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ ، وَعَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْـــرَضُ الْأَمْثَالُ(٢) وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ .

---

(١) حجيج المارقين : اي خصيمهم ، والمارقون الخارجون عن الدين ، والمرتابون : الشاكون .

(٢) الامثال : متشابهات الاعمال اي ان الامور المختلف فيها تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق ، وما خالفه فهو الباطل .

هذه الخطبة رواها قبل الرضي الحراني في (التحف) : ص١٥١، وأوّل ما رواه منها : « من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن كان من قوت الدنيا لا يشبع ، لم يكفه منها ما يجمع ، ومن سعى للدنيا فاتته ، ومن قعد عنها أتته ، إنما الدنيا ظل ممدود ، إلى أجل محدود ، رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى ودعي الى رشاد فدنا » ... الخ .

وقال الكراجكي – وهو من معاصري الرضي في (كنز الفوائد) : ص ١٦٢ : وجاء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : « تكلّم أمير المؤمنين صلوات الله عليه بأربع وعشرين كلمة قيّمة كل كلمة منها وزن السموات والارض قال : «رحم الله امرأ سمع حكماً فوعى » الخ .

وجاء في رواية الكراجكي «محظوراً» مكان « محذوراً » ومكان «أحرز» « أخذ » وزاد على رواية الشريف بعد « كذّب مناه » هذه الفقرة « حذر أملاً ، ورتب عملاً » وروى بدل « جعل الصبر مطية نجاته » « جعل الصبر رغبة حياته » وبدل « التقوى » « التقى» وفي روايته زيادة بعد قوله عليه السلام « والتقوى عدة وفاته » هذه الجملة « يظهر دون ما يكتم ، ويكتفي بأقل مما يعلم » .

وبهذا تعلم أن الكراجكي لم ينقل عن (النهج) وأن ما في (النهج) هو مختارها .

ورواها محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ج ١ ص ٥٩ كرواية الرضي بزيادة الواو العاطفة في فقرات خلت منها رواية الشريف .

ورواها ابن شاكر في (عيون الحكم والمواعظ) عن غير (نهج البلاغة) بدليل التفاوت بين الروايتين .

ومن رواتها الزمخشري في (ربيع الابرار) ج ١ الورقة : ٢٣١ مخطوطة كاشف الغطاء ، والحصري في (زهر الآداب) ج ١ ص ٤٢، ونثرها الآمدي في محالها من (غرر الحكم) .

ويظهر عند المقارنـــة بين رواية الرضي ورواية سبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص ١٤٥ أن هذه الخطبة والخطبة (٦١) واحدة للتداخل بينها .

٧٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَفْوِيقًا ، وَٱللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَا نْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ ٱللَّحَّامِ ٱلْوِذَامَ ٱلتَّرِبَةَ .

قـــال الرضي رحمه الله : ويروى « التُّرابَ الوَذَمَةَ » وهو على القلب [1] ، وقوله عليه السلام : « لَيُفَوِّقونني » أي يعطونني من المال قليلاً كفُواق الناقة ، وهو الحلبة الواحدة من لبنها ، و « الوِذام » جمع وَذَمَة وهو الحزّة [2] من الكرش أو الكبد تقع على التراب فتنفض .

روى هذا الكلام أبو الفرج الاصبهاني في كتاب « الاغاني » . ج١١/ ٢٩ باسناد رفعه الى الحارث بن حبيش قال : بعثني سعيد بن العاص بهدايا الى المدينة ، وبعثني الى علي عليه السلام وكتب اليه : إني لم أبعث الى أحد باكثر مما بعثت به اليك إلا شيئاً في خزائن أمير المؤمنين، قال:«فأتيت علياً فأخبرته، فقال : لشدّ ما تحظر بنو امية تراث محمد ﷺ ، أما والله لإن وليتهـــا لانفضنّها نفض القصاب والتراب الوذمة » .

---

(١) اي ان الصحيح الرواية الاولى اذ لا معنى للثانية ، كما ترى من رأي ابي الفرج في المتن ، ولكن الرضي رحمه الله نقل ما وجد على وجهه بلاتحريف ولا تبديل ثم بين الحقيقة فقال رحمه اللـه : وهو على القلـب وهكذا فلتكن الامانة .

(٢) الحزة ــ بالضم ــ القطعة .

قال أبو الفرج : هذا غلط (يعني من الراوي) إنما هو الوذام التربة.

ثم رواه أبو الفرج بسند آخر عـــن السعدي عن أبيه وذكر آخره على الوجه التالي :«والله لأن بقيت لانفضها نفض القصاب الوذام التربة» .

وقد روى هذا الكلام الازهري في « تهذيب اللغة » : ج١٥ ص ٢٧ مادة (وذم) وأبو عبيد القاسم بن سلام في « غريب الحديث » . وابن دريد في (المؤتلف والمختلف) وأبو موسى محمد بن أبي المديني الاصبهاني فيما استدركه على (الجمع بين الغريبين) [1] وأبو هلال العسكري في (جمهرة الأمثال) ج ١ ص ١٦٥ ، وفيهـا قال علي رضي الله عنه : « لانفضنهم نفض الجزار الوذام التربة » فقلبه أصحاب الحديث فقالوا : التراب الوذمة .

٧٦ ـ وَمِنْ كَلِمَاتٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ

ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِٱلْمَغْفِرَةِ ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي [2] ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِـــهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي ، ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ ٱلْأَلْحَاظِ ، وَسَقَطَاتِ ٱلْأَلْفَاظِ ، وَشَهَوَاتِ ٱلْجِنَانِ ، وَهَفَوَاتِ ٱللِّسَانِ [3] .

---

(١) انظر (النهاية) لابن الاثير : ج ١ ص ١٨٥ ونقل هناك تفسـير الاصمعي لهذا الكلام .

(٢) وأيت : وعدت ، وأي كوعي : اي وعد .

(٣) رمزات الالحاظ : الاشارة بها ، وسقطات الالفاظ : لغوهـا ، والجنان : القلب ، والهفوات جمع هفوة وهي الزلة .

روى أبو عثمان الجاحظ آخر هذا الدعاء في (المائة المختارة) من قوله عليه السلام : « اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ » إلى آخر ما ذكر الشريف في هذا الموضع . ولا يهمنا أن لا يثبت هذا الدعاء لأمير المؤمنين عليه السلام فلنا فيما روى من أدعيته سلام الله عليه في كتب الفريقين ما يغنى عن هـذه السطور الأربعة ، على أنها ثابتة الورود قبل الرضي كما يرى في نقل الجاحظ لبعضها .

٧٧ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله لبعض أصحابه [١] لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له: يا أمير المؤمنين : إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم ، فقال عليه السلام :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءُ . وَتُخَوِّفُ مِنَ ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ ٱلضُّرُّ (٢) ؟ . فَمَنْ صَدَّقَ بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ ٱلْقُرْآنَ وَٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلْإِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ ٱلْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ ٱلْمَكْرُوهِ . وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ ٱلْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي نَالَ فِيهَا ٱلنَّفْعَ وَأَمِنَ ٱلضُّرَّ .

---

(١) قيل : هو عفيف بن قيس اخو الاشعث بن قيس .
(٢) حاق به الضر : أحاط .

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَلَى ٱلنَّاسِ فَقَالَ :
أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ ٱلنُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ (١) فَإِنَّها تَدْعُو إِلَى ٱلْكَهَانَةِ وَٱلْمُنَجِّمُ كَٱلْكَاهِنِ (٢) وَٱلْكَاهِنُ كَٱلسَّاحِرِ

نقل ذلك قبل الرضي جماعة منهم :

إبراهيم بن الحسن بن ديزيل المحدث في كتاب « صفين »(٣) والشيخ الصدوق في (عيون أخبار الرضا) نقله بثلاثة أسانيد : ١ – ١٣٨ ونقله أيضاً في « الأمالي » ص ٢٤٩ في المجلس الرابع والستين ، ونقله أيضاً في (عيون الجواهر) (٤) .

ولسنا بحاجة إلى ذكر من رواه بعد الرضي فإنه كلام مشتهر روته الخاصة والعامة بطرق مختلفة ، وصور شتى لا تختلف عما رواه الرضي إلا في بعض الألفاظ .

والظاهر أن الرضي اختار ما نقله هنا من قصة طويلة أنقلها لك عن كتاب « صفين » لابن ديزيل ، وعسى أن يكون في هذا ما فيه من فائدة ، قال : عزم علي عليه السلام على الخروج من الكوفة الى الحرورية ، وكان في أصحابه منجّم فقال : يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة ، وسر على ثلاث ساعات

---

(١) استثنى عليه السلام من علم النجوم ما ينفع الناس كعلم الهيئة وسير النجوم وحركاتها للاهتداء بها .
(٢) الكاهن : من يدعى علم الغيب .
(٣) شرح النهج الحديدي : م ١ – ٢٠٣ .
(٤) انظر فرج المهموم : ص ٥٧ .

مضين من النهار فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضر شديد ، وإن سرت الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت ، وأصبت ما طلبت ، فقال له علي عليه السلام : أتدري ما في بطن فرسي أذكرٌ هو أم انثى ؟ قال : إن حسبت علمت ، فقال علي عليه السلام : من صدقك بهذا فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ..)الآية [1] . ثم قال عليه السلام : « إنّ محمداً ﷺ ما كان يدعي علم ما أدعيت علمه ، أتزعم إنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، وتصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها ، فمن صدقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جلّ ذكره في صرف المكروه عنه ، وينبغي للموقن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جل جلاله ، لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، وصرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله نداً ، اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا ضير إلا ضرك ولا إله غيرك » .

ثم قال : « نخالف ونسير في الساعة التي نهيتنا عنها » ثم أقبل على الناس فقال :

« أيها الناس إياكم والتعلم للنجوم إلا ما يهتدى به من ظلمات البر والبحر، إنما المنجم كالكاهن ، والكاهن كالكافر ، والكافر في النار ، أما والله لئن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك في السجن أبداً ما بقيت ، ولأحرمنك العطاء ما كان لي من سلطان » .

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم فظفر وظهر ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس : سار في الساعة التي أمره بها المنجم

---

(١) لقمان / ٣٤ .

فظفر وظهر ، أما انه ما كان لمحمد ﷺ منجم ، ولا لنا من بعده حتى فتح الله لنا بلاد كسرى وقيصر ، أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنـــه يكفي ممن سواه [1] .

وللسيد ابن طاووس رفع الله درجته ، رأى في تضعيف هـذه الرواية ، وإن كان لا يؤخذ بظاهرها — إن صحّت — ذكر ذلك في كتـاب (فـرج المهموم في تاريخ علماء النجوم) ص ٥٧ — ٥٩ وأنا الخص لك ذلك :

١ — إن في طريق هذه الرواية من لا يمكن التعويل عليه كعمر بن سعدبن أبي وقاص قاتل الحسين عليه السلام .

٢ — لو صحت هذه الرواية لحكم أمير المؤمنين عليه السلام إما بكونه مرتداً عن فطرة فيقتل ، أم عن غير فطرة فيتوب ، فإن امتنع يقتل ، والرواية لم تشر إلى شيء من ذلك .

٣ — إن أمير المؤمنين عليه السلام : لم يبعده ولم يعزره بل قال سيروا على اسم الله .

٤ — جاء في الأدعية المأثورة : التعوذ من السحر والكهانة فلو كان التنجيم كذلك لتضمنته الأدعية .

٥ — جاء في صفات رسول الله ﷺ أنه لم يكن ساحراً ولا كاهناً ولم يرد في صفاته أنه غير عالم بالنجوم .

وأنا أجمل لك ما قيل في ذلك :

١ — إن عمر بن سعد المذكور في طريق الرواية لم يكن عمر بن سعد بن أبي وقاص المباشر لقتال الحسين عليه السلام ، وإنما هو عمر بن سعد بن سعد

(١) شرح النهج للحديدي : م ص ٢٠٣ .

ابن أبي الصيد الأسدي[1] ومن البعيد جداً أن نصر بن مزاحم المتوفى سنة (٢٠٢) يأخذ عن عمر بن سعد المقتول سنة (٦٦) .

٢ — إن ظاهر التشبيه بالكافر انه ليس بكافر، وإنما يدل معه على اشتراكه معه في بعض الصفات ، لا في جميع الأحكام حتى يقتله في الحال ، أو بعد امتناعه من التوبة على أنه عليه السلام شبهه بالمشبه بالكافر .

٣ — قد ظهر من رواية غير الرضي لهذه الواقعة أن أمير المؤمنين أوعده بالسجن المؤبد والحرمان من العطاء، ولم يعلم أن المنجم أصر على العمل بالنجوم حتى يستحق ما أوعده أمير المؤمنين عليه السلام به أم لا ؟ وعدم اشتمال رواية السيد الرضي على هذه الزيادة لا يدل على عدمها ، فإن المعلوم من عادته في (النهج) الاقتصار على ما يختاره من كلامه عليه السلام لا استيفاء النقل .

٤ — ان المنجم يعود ضرره على نفسه ، والكاهن والساحر يعود ضررهما على الناس ومع هذا فقد تضمن الدعاء الذي رواه ابن طاووس نور الله ضريحه في باب الاستخارات يتضمن البراءة إلى من التجأ إلى العمل بالنجوم .

٥ — حيث إن المشركين وصفوا رسول الله ﷺ بأنه كاهن وساحر ، وشاعر ولم يصفوه بالنجوم ، جاء في صفاته البراءة من تلك الصفات ، ومع ذلك فإنه ﷺ كان عالماً بما هو الحق من علم النجوم [2] .

---

(١) قال فيه الذهبي : شيعي بغيض متروك الحديث ، وقال في عمر بن سعد بن ابي وقاص : هو في نفسه غير متهم ، لكنه باشر قتال الحسين وفعل الافاعيل ج ٣ — ٩٨ : و ١٩٩ .

(٢) قال المجلسي رحمه الله يظهر من الاخبار ان نوعا من هذا العلم حق يعلمه الانبياء والاوصياء ، واما ان ما في أيدي الناس من ذلك فلا .

٧٨ - ومن خطبة له عليه السلام

بَعْدَ حَرْبِ ٱلْجَمَلِ فِي ذَمِّ ٱلنِّساءِ

مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱلنِّسَاءَ نَوَاقِصُ ٱلْإِيمَانِ (١) نَوَاقِصُ ٱلْحُظُوظِ نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ ، فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى ٱلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ ٱلرِّجَالِ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ ، فَاتَّقُوا شِرَارَ ٱلنِّسَاءِ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي ٱلْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي ٱلْمُنْكَرِ .

تقدم في الخطبة ٢٦ : أن هذا الكلام من جملة كتاب له عليه السلام كتبه بعد احتلال عمرو بن العاص لمصر ، وقتل محمد بن أبي بكر ، استعرض فيه الأحداث من أيام رسول الله ﷺ إلى اليوم الذي حرر فيه ذلك

---

(١) هذا مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (ما رأيت ناقصات عقل ودين اغلب لعقول ذوي الالباب منها ، قيل : ما نقصان دينهن قال : تمكث احداهن الايام والليالي لا تصلي) رواه الرازي في تفسيره ٦/٧١ .

الكتاب ، وأمر أن يقرأ على الناس ، وذكرت هناك : أنه ليس من البعيد أنه عليه السلام قال هذا الكلام بالخصوص أكثر من مرة ، منها في ذلك الكتاب ومنها بعد حرب الجمل كما ذكر السيد الشريف في هذا الموضع ، وإنما قلت ذلك اعتماداً على نص الشريف هنا ، وما ذكره سبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص ٨٥ حيث قال : ذكر علماء السير : أن علياً عليه السلام لما فرغ من حرب الجمل صعد منبر البصرة فخطب الناس وقال : « إن النساء نواقص الإيمان .. الخ » بأدنى تفاوت عما ذكر الرضي .

ويظهر أيضاً من رواية السبط : أن الخطبة (١٣) التي أول ماذكر في « النهج » منها : (كنتم جند المرأة) والخطبة (١٤) والتي أول ما ذكر منها : (أرضكم قريبة من الماء) خطبة واحدة لأنه ساقها بساق واحد .

وعلى كل حال لقد أثبتنا مصادر هذا الكلام قبل الشريف الرضي هناك ونزيد عليه ههنا :

أن أبا طالب المكي المتوفى سنة (٣٨٢) نقل عبارة (أن النساء نواقص العقول) في قوت القلوب ج١ ص٢٨٢ وذكر تعليقاً لبعض العلماء عليها .
وأن الشيخ الكليني ذكر من هذا الكلام آخره في الجزء الخامس من « فروع الكافي » بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له « اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر » إلى آخر ما ذكره الشريف ، وأرجو الانتباه لقوله : « في كلام له » لتعلم أن الكلام أكثر مما رواه الكليني .

وللشيخ محمد عبده تعليق لطيف على قوله عليه السلام : «نواقص العقول » ولعل المطالع يستلطفه أيضاً فلا بأس بنقله ، قال :

خلق الله النساء وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سن معين لا يكاد ينتهي حتى تستعد لحمل وولادة وهكذا ، فلا يكدن يفرغن من الولادة

والتربية فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن ، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليــــه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة فكن في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث .

٧٩ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلزَّهَادَةُ قِصَرُ ٱلْأَمَلِ ، وَٱلشُّكْرُ عِنْدَ ٱلنِّعَمِ ، وَٱلْوَرَعُ عِنْدَ ٱلْمَحَارِمِ (١) . فَإِنْ عَزَبَ ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ ٱلْحَرَامُ صَبْرَكُمْ (٢) وَلَا تَنْسَوْا عِنْدَ ٱلنِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ ٱللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَكُتُبٍ بَارِزَةِ ٱلْعُذْرِ وَاضِحَةٍ (٣) .

روى صدر هذا الكلام – قبل الرضي – الصدوق في (معاني الأخبار) ص ٢٥١ ، وفي (الخصال) ج١ ص ١١ ، وروى آخـــر الكلام البرقي في (المحاسن) : ص ٢٣٤ بتفاوت ، ورواه بعد الرضي صاحب (غرر الحكم)

(١) الورع : الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات .

(٢) عزب عنكم : أي بعد وفاتكم .

(٣) يقال : اعذر فلان الى فلان اي أقام لنفسه عذرا فيما عـاقبه به لانه حذره من مخالفته ، والكلام هنا على المجاز ، وتنزيل قيام الحجة لـه تعالى منزلة قيام العذر لنا والمسفرة : الواضحة ، وبـارزة العـــذر : ظـاهرته .

ص ١١٩ بتفاوت يسير جداً ، والفتال في (روضة الواعظين) ص ٤٣٤ في كلمة تشتمل على الحكم الآتية في (باب الكلمات القصار) برقم (٢٧) و(٧٢) و (٤٣٩) ، ونقله عنه الطبرسي في (مشكاة الانوار) : ص ١٠٦ .

٨٠ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في صِفَةِ الدُّنْيا

ما أَصِفُ مِنْ دارٍ أَوَّلُها عَناءٌ ، وآخِرُها فَناءٌ ، في حَلاَلِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنِ ٱسْتَغْنى فِيهَا فُتِنَ ، وَمَنِ ٱفْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَمَنْ سَاعاهَا فَاتَتْهُ (١) وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ . وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ (٢) . وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ .

قال الرضي رحمه الله : أقول واذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام : (من أبصر بها بصرته) وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته ، ولا يدرك غوره ، ولا

---

(١) ساعاها : جرى معها في مطالبها ، وفاتته : سبقته واتته : طاوعته .

(٢) أبصر بها : أي فكر في احوالها ، وابصر اليها : اشتغل بها حتى أعمته عن كل ما يراد منه .

سيا اذا قرن اليه قوله :(ومن أبصر اليها أعمته). فانه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر اليها واضحاً نيراً وعجيباً باهراً .

قد تواترت عنه عليه السلام صفة الدنيا هذه ، ومن الكتب الذي رويت فيها قبل (النهج) :

١ ـ « الكامل للمبرد : ج١ ص٨٨ ، قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في خطبة : يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا ، فقال : ما أصف من دار أولها عناء .. الخ .

٢ ـ « الأمالي » للقالي ج:٢ ص ١١٧ بسنده عن أبي عبيدة ، قال : سأل رجل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : صف لنا الدنيا؛ فقال: وما أصف من دار .. الخ .

٣ ـ « المجتنى » لابن دريد : ص٣١ .

٤ ـ « تحف العقول » لابن شعبة الحراني ص ١٣٨ .

٥ ـ « العقد الفريد » لابن عبد ربه : ج ٣ ص ١٧٢ .

وبعد (نهج البلاغة) :

٦ ـ الأمالي للمرتضى ج١ ص ١٥٣ .

٧ ـ تذكرةالخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٣٦ .

٨ ـ مشكاة الانوار للطبرسي ص ٢٤٣ .

٩ ـ غرر الحكم للآمدي ص ٨٦ في حرف الألف بلفظ إنّ المشددة .

١٠ ـ كنز الفوائد للكراجكي : ص ١٦٠ قال : ومن بديع كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي حفظ عنه أن رجلاً قطع عليه خطبته ، وقال له : صف لنا الدنيا فقال : «أولها عناء..» الخ ، وذكر ما رواه الرضي بتفاوت، ثم قال بعد ذلك : وعاد إلى مكانه من خطبته ، وهذا أعلى درجة في حضور الخاطر .

٨١ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَهِيَ مِنَ ٱلْخُطَبِ ٱلْعَجِيبَةِ وتُسَمَّى ٱلْغَرَّاءُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذي عَلاَ بِحَوْلِهِ ، وَدَنَا بِطَوْلِه (١) . مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ (٢) أَحْمَدُهُ عَلَىٰ عَوَاطِفِ كَرَمِهِ ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ (٣) . وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً (٤) . وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً . وَأَسْتَعِينُهُ قَادِراً قَاهِراً ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِه عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ (٥) .

---

(١) الحول : القوة ، والطول : الافضال .

(٢) المانح : المعطي ، والازل ، بفتح الهمزة ــ : الضيق والشدة .

(٣) العواطف جمع عاطفة وهي ما يعطفك على الغير ، ويدنيه من معروفك ، والسوابغ : التوام الكوامل من سبغ الظل اذا تم وشمل .

(٤) اولا منصوب على الظرفية ، وباديا منصوب على الحال وكذلك ما بعدها من صفاته جل جلاله ، أي أحمده قبل كل شيء ، والبادي : الظاهر .

(٥) انهاء عذره : ابلاغه ، والمعنى : انه تعالى أعذر الى خلقه بأن عرفهم ان عصوه استحقوا العقاب ، وانذاره تخويفه اياهم من عقابه .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوى ٱللهِ ٱلَّذي ضَرَبَ لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ، وَوَقَّتَ لَكُمُ ٱلآجَالَ ، وأَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ وَأَرْفَغَ لَكُمُ ٱلْمَعَاشَ (١) ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ ٱلْجَزَاءَ (٢) ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ ٱلسَّوَابِغِ ، وَٱلرِّفَدِ ٱلرَّوَافِغِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ ٱلْبَوَالِغِ (٣). وَأَحْصَاكُمْ عَدَداً ،وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً(٤) ،فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ ، وَدَارِ عِبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا ، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا ، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا ، يُونِقُ مَنْظَرُهَا ، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا ، غُرُورٌ حَائِلٌ ، وَضَوْءٌ آفِلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ (٥) حَتَّى إِذا أَنِسَ نَافِرُهَا ،

---

(١) الرياش والريش : اللباس ، وارفغ المعاش : جعله واسعاً ، والرفيغ ــ بالغين المعجمة ــ الواسع .

(٢) أحاطكم بالاحصاء : أي احصى كل شيء منكم بعلمه وأحاط به فلا يفوته من ذلك دقيق ولا جليل ، وأرصد لكم الجزاء : أعده لكم .

(٣) الرفد جمع رفده ــ كقطعة ــ : الصلة والعطاء ، والروافغ : الواسعة ، والبوالغ : الظاهرة البينة .

(٤) وظف لكم : قدر لكم ، والمدد جمع مدة وهي الزمن ، وقرار خبرة أي دار ابتلاء واختبار وهي دار الدنيا وفيها الاعتبار .

(٥) رنق : كدر : وردغ كثير الطين ، والمونق : المعجب ، والموبق : المهلك ، وحائل من حال اذا تحول وانتقل ، وآفل : لا يلبث ان يظهر حتى يغيب ، والسناد ، ما يستند اليه .

وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا ، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا ، وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِها (١) . وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِها . وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ (٢) . قَائِدَةً لَهُ إلىَ ضَنْكِ الْمَضْجَعِ ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ ، وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ. وَكَذٰلِكَ الْخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ ، لاَ تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً ، وَلاَ يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً (٣). يَحْتَذُونَ مِثَالاً ، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً ، إلىَ غَايَةِ الإِنْتِهَاءِ ، وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ (٤) حَتَّي إِذَا تَصَرَّمَتِ الأُمُورُ ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ ، وَأَزِفَ النُّشُورُ (٥) أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ

---

(١) انس نافرها: اي انس بها من كان نافرا بعقله عنها، وناكرها :الجاهل بها وقمص الفرس : اي استن وهو ان يرفع يديه ويطرحها معا ونزل اليدين منزلة الارجل لانها تمشي على جميعها،وتروى «بارحلها» ــ بالحاء ــ جمع رحل ، وقنصت : اصطادت .

(٢) اقصدت : قتلت مكانها من غير تأخير ، وعلقت به : ربطت بعنقه والاوهاق جمع وهق ــ بالتحريك والتسكين - الحبال .

(٣) لا تقلع : لا تترك ، والاخترام : اذهاب الانفس واستئصالها ، ولا يرعوي : لا يكف ، والاجترام : افتعال من الجرم .

(٤) يحتذون : يقتدون ، واصله من حذو النعل بالنعل اذا قدرت كل واحد منها الى صاحبها ، وارسالا جمع رسل : القطيع من الغنم والابل وصيور الامر ــ كتنور ــ مصيره وما يؤل اليه .

(٥) ازف : قرب .

ٱلْقُبُورِ ، وَأَوْكَارِ ٱلطُّيُورِ ، وَأَوْجِرَةِ ٱلسِّبَاعِ ، وَمَطَارِحِ ٱلْمَهَالِكِ ، سِرَاعاً إِلَىٰ أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ إِلَىٰ مَعَادِهِ (١). رَعِيلاً صُمُوتاً (٢)، قِيَاماً صُفُوفاً ، يُنْفِذُهُمْ ٱلْبَصَرُ ، وَيُسْمِعُهُمْ ٱلدَّاعِي (٣) . عَلَيْهِمْ لَبُوسُ ٱلاسْتِكَانَةِ ، وَضَرَعُ ٱلاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ (٤). قَدْ ضَلَّتِ ٱلْحِيَلُ ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْأَمَلُ ، وَهَوَتِ ٱلْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً (٥)، وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً (٦) وَأَلْجَمَ ٱلْعَرَقُ ، وَعَظُمَ ٱلشَّفَقُ ، وَأُرْعِدَتِ ٱلْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ ٱلدَّاعِي إِلَىٰ فَصْلِ ٱلْخِطَابِ (٧)

---

(١) الاوكار جمع وكر وهو عش الطير، والاوجرة جمع وجار وهو الجحر مسكن السبع والضبع ونحوها، والمطارح : الامكنة البعيدة ، ومهطعين : مقبلين .

(٢) الرعيل : القطعة من الخيل ، وشبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل .

(٣) ينفذهم البصر ، يجاوزهم ويحيط بهم . أي لا يعزب واحد منهم عن بصر الله تعالى .

(٤) اللبوس ــ بالفتح ــ ما يلبس ، والاستكانة : الخضوع ، والضرع الضعف والخشوع .

(٥) هوت الافئدة : خلت من المسرة ، وكاظمة : ساكنة .

(٦) والهينمة : الكلام الخفي .

(٧) الشفق ــ بالتحريك ــ الخوف ، وارعدت : عرتها رعدة ، والزبرة : الصوت الزاجر وفصل الخطاب : البت في الحكومة ، والمقايضة: المعاوضة .

وَمُقَايَضَة ٱلْجَزَاءِ ، وَنَكَالِ ٱلْعِقَابِ ، وَنَوَالِ ٱلثَّوَابِ ، عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ ٱقْتِـدَاراً ، وَمَرْبُوبُونَ ٱقْتِسَاراً (١) وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً ، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً ، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً ، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً ، وَمَدِينُونَ جَزَاءً ، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً ، قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ ٱلْمَخْرَجِ (٢) وَهُدُوا سَبِيلَ ٱلْمَنْهَجِ ، وَعُمِّرُوا مَهَـلَ ٱلْمُسْتَعْتَبِ ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ ٱلرِّيَبِ (٣) وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ ٱلْجِيَادِ (٤) . وَرَوِيَّةِ ٱلارْتِيَادِ ، وَأَنَاةِ ٱلْمُقْتَبِسِ ٱلْمُرْتَادِ (٥) فِي مُدَّةِ ٱلْأَجَلِ ، وَمُضْطَرَبِ ٱلْمَهَلِ ، فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَـائِبَةً ، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً ، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً ، وَأَسْمَاعاً

---

(١) مربوبون : مملوكون ، الاقتسار : الغلبة ، والاحتضار : حضور الملائكة ، والاجداث جمع جدث وهو القبر ، والرفات : العظام ، ومدينون ، مجزيـون ، ومميـزون حسابا كـل واحد يحاسب على عملـه منفصـلا عن سواه .

(٢) المخرج : المخلص من ربقة المعاصي بالتوبة ، والمنهج : الطريـق

(٣) والمستعتب : المسترضى ، والسدف جمع سدف ـ بالتحريـك ـ المراد به هنا الظلام ، والريب جمع ريبة وهي الشبهة .

(٤) مر معناه في تفسير الخطبة (٢٨)

(٥) الروية : الفكرة ، والارتياد : الطلب ، والاناة : التوادة ، والمقتبس هنا طالب العلم ، والمضطرب : مدة الاضطراب اي الحركة في العمل .

وَاعِيَةً ، وَآرَاءً عَازِمَةً ، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً (١) ، فَاتَّقُوا ٱللّٰهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ ، وَٱقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَوَجِلَ فَعَمِلَ ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَحُذِّرَ فَازْدَجَرَ(٢) ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ ، وَرَجَعَ فَتَابَ ، وَٱقْتَدىٰ فَاحْتَذىٰ ، وَأُرِيَ فَرَأَىٰ (٣) . فَأَسْرَعَ طَالِباً ، وَنَجَا هَارِباً ، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً (٤) وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَرَ مَعَاداً ، وَٱسْتَظْهَرَ زاداً (٥) . لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ ، وَحَالِ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ ، فَاتَّقُوا ٱللّٰهَ عِبَادَ ٱللّٰهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ (٦) . وَٱحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ

---

(١) صائبة : غير خاطئة ، وشافية : تبرأ من مرض الجهل ، والواعية: الحافظة ، والعازمة : ذات العزم ، والالباب : العقول ، والحازمة : ذات الحزم ، وحزم الرجل : ضبط أموره .

(٢) اقترف : اكتسب ، ووجل : خاف ، وبادر : سارع ، وعبر : ارى ، العبرة وهي الموعظة ، وازدجر : امتنع .

(٣) اناب : اي ورجع ، واحتذى : شاكل بين عمله وعمل مقتداه ، وأري فراي : اي بصر بما يراد منه فابصر .

(٤) أفاد اي استفاد .

(٥) استظهر اي حمل .

(٦) الجهة : الجانب منصوبة بفعل مقدر تقديره اقصدوا جهة ما خلقتم لـه .

نَفْسِهِ (١) وَٱسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ (٢) وَٱلْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ .

(مِنْهَا) جَعَلَ لَكُمْ اسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا ، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا (٣) وَأَشْلاَءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا ، مُلاَئِمَةً لِأَحْنَائِهَا (٤) . فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا ، وَمُدَدِ عُمُرِهَا ، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا (٥) وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا ، فِي مُجَلِّلاَتِ نِعَمِهِ (٦) وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ ، وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ ، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ ٱلْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ ، مِنْ

---

(١) حذرنا نفسه سبحانه ان نتعرض لمعصيته فنستحق عقابه ، وكنه ذلك : غايته ونهايته .

(٢) تنجز الحاجة : طلب تعجيلها ، وتنجز ما وعد الله بالعمل له .

(٣) تعي : تحفظ ، وعناها : اهمها ، وتجلو : تكشف ، والعشا : عدم الابصار ليلا .

(٤) الاشلاء جمع شلو وهو العضو ، والاحناء جمع حنو : ما اعوج من البدن ، وملائمة الاعضاء لها : تناسبها مع البدن .

(٥) الارفاق جمع رفق — بالكسر — المنفعة أو ما يستعان به عليها ، ورائدة : طالبة .

(٦) مجللات نعمه : اي العامة من قولهم : سحاب مجلل اذا طبق الارض ، وحواجز : موانع ، اي في عافية تحجز عنكم المضار .

مُسْتَمْتَعِ خَلاَقِهِمْ ، وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ (١) ، أَرْهَقَتْهُمُ ٱلْمَنَايَا دُونَ ٱلْآمَالِ ، وَشَذَّبَهَمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ ٱلْآجَالِ (٢) ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلاَمَةِ ٱلْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوافِي أُنُفِ ٱلْأَوَانِ (٣) . فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ ٱلشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِيَ ٱلْهَرَمِ ، وَأَهْلُ غَضَارَةِ ٱلصِّحَةِ إِلاَّ نَوَازِلَ ٱلسَّقَمِ ، وَأَهْلُ مُدَّةِ ٱلْبَقَاءِ إِلاَّ آوِنَةَ ٱلْفَنَاءِ (٤) مَعَ قُرْبِ ٱلزِّيَالِ وَأُزُوفِ ٱلاِنْتِقَالِ ، وَعَلَزِ ٱلْقَلَقِ ، وَأَلَمِ ٱلْمَضَضِ ، وَغُصَصِ ٱلْجَرَضِ ، (٥) وَتَلَفُّتِ ٱلاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ ٱلْحَفَدَةِ وَٱلْأَقْرِبَاءِ ، وَٱلْأَعِزَّةِ وَٱلْقُرَنَاءِ (٦) ،

---

(١) الخلاق : النصيب الوافر ، والخناق ـ بالفتح والكسر ـ حبل يخنق به ، وتقدير الكلام : خلف لكم عبرا من القرون السالفة منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ، وفسحة خناقهم فيها ثم كانت عاقبتهم الفناء والهلاك.

(٢) ارهقتهم : اعجلتهم ، وشذبهم : فرقهم ، وتخرمت زيد المنية : استأصلتـه .

(٣) انف ـ بضمتين ـ الاوان : أوله

(٤) البضاضة : امتلاء البدن وقوته وحواني : جمع حانية : وهـي العلة لهرم الكبر ، وغضارة العيش طيبه ، والاونة جمع اوان وهو الحين .

(٥) الزيال : الفراق ، وازوف الانتقال : قربه ، علز القلق : وجـع يصيب الانسان مع هلع ، والمضض بلوغ الحزن من القلب ، والجرض : الريق

(٦) الحفدة : البنات واولاد الاولاد والاصهار ، والقرناء جمع قريـن وهو الصاحـب .

فَهَلْ دَفَعَتِ ٱلْأَقَارِبُ ، أَوْ نَفَعَتِ ٱلنَّوَاحِبُ ، وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ رَهِيناً (١) وَفِي ضِيقِ ٱلْمَضْجَعِ وَحِيداً ، قَدْ هَتَكَتِ ٱلْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ ، وَأَبْلَتِ ٱلنَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ (٢) ، وَعَفَّتِ ٱلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ ، وَمَحَا ٱلْحَدَثَانِ مَعَالِمَهُ (٣) وَصَارَتِ ٱلْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا ، وَٱلْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا (٤) وَٱلْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا (٥) مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا ، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّيءِ زَلَلِهَا (٦) أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ ٱلْقَوْمِ وَٱلْآبَاءَ ، وَإِخْوَانَهُمْ وَٱلْأَقْرِبَاءَ. تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ (٧) وَتَطَأُونَ

(١) النواحب جمع ناحبة وهي الرافعة صوتها بالبكاء ، وغودر : ترك ، ورهينا : حبيسا .

(٢) هتكت : جذبت جلدته حتى قطعتها ، والنواهك جمع ناهكة وهي ما ينهك البدن اي يبليه .

(٣) عفت : درست، والعواصف : الرياح الشديدة ، والحدثان : الليل والنهار ، والمعالم : الرسوم

(٤) شحبة : هالكة ، ونخرة : بالية

(٥) الاعباء : الاثقال ، وموقنة بغيب أنبائها : علمت بما صارت اليه من خير أو شر .

(٦) تستعتب بالبناء للمفعول اي لا يطلب منها تقدم العتبى وهي التوبة او بالبناء للفاعل : لا يمكنها ان تطلب الرضا .

(٧) القدة ـ بكسر القاف وتشديد الدال المهملة ـ الطريقة .

جَادَّتِهِمْ ، فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّها ، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا ، كَأَنَّ ٱلْمَعْنِيَّ سِوَاهَا ، وَكَأَنَّ ٱلرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا .

وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى ٱلصِّرَاطِ ، وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ (١) فَاتَّقُوا ٱللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ ٱلتَّفَكُّرُ قَلْبَهُ ، وَأَنْصَبَ ٱلْخَوْفُ بَدَنَهُ ، وَأَسْهَرَ ٱلتَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ ، وَأَظْمَأَ ٱلرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ ، وَظَلَفَ ٱلزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، وَأَوْجَفَ ٱلذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ ٱلْخَوْفَ لِأَمَانِهِ ، وَتَنَكَّبَ ٱلْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ ٱلسَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ ٱلْمَسَالِكِ إِلَى ٱلنَّهْجِ ٱلْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ ٱلْغُرُورِ (٢) ، وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ

---

(١) المزالق جمع مزلق وهو الموضع الذي لا تثبت عليه قدم ، والدحض : انقلاب الرجل بغتة ، والزلل : انزلاق القدم ، والتارات : الدفعات ، والاهوال : المخاوف .

(٢) انصب : اتعب ، والتهجد : قيام الليل ، والغرار بالكسر : القليل من النوم ، والهواجر : جمع هاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر . وظلف : منع ، واوجف : أسرع كأنه جعل الذكر لشدة تحريكه اللسان موجفاً به ، والمخالج : الامور المشغلة الجاذبة ، ووضح السبيل اي الطريق الواضح ، واقصد المسالك : اقومها ، لم تفتله : لم تدره .

ٱلْأُمورِ ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ ٱلْبُشْرَى ، وَرَاحَةِ ٱلنُّعْمَى (١) فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ ، وَآمَنِ يَوْمِهِ ، قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ ٱلْعَاجِلَةِ حَمِيداً (٢) . وَقَدَّمَ زَادَ ٱلْآجِلَةِ سَعِيداً ، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ (٣) وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ ، وَنَظَرَ قُدَماً أَمَامَهُ (٤) فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً ، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً ، وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً ، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً (٥) .

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ ، وَٱحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ (٦) . وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي ٱلصُّدُورِ خَفِيّاً ،

---

(١) لم تعم : أي لم تخف عليه الامور المشتبهة : والنعمى ــ بالضم ــ سعة العيش ونعيمــه .

(٢) العاجلة : الدنيا وسميت معبرا لانها طريق يعبر منها الى الآجلة.

(٣) أكمش : عزم ومضى قدما ، رغب فيما هو حري أن يطلــب ، وذهب عما هو احق ان يهرب منه .

(٤) القدم ــ بفتحتين ــ ما يقدم

(٥) الكتاب : القرآن الكريم وحجيجا وخصيما اي وكفى به مقنعــا لمن خالفــه

(٦) اعذر بما انذر اي سلب عذر المعتذر بانذاره اياه بعواقب العمل ، وقامت له الحجة بما نهج اي اوضح من الخير والفضيلة .

وَنَفَثَ فِي ٱلْآذَانِ نَجِياً (١) ، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى ، وَوَعَدَ فَمَنَّي ، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ ٱلْجَرَائِمِ ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ ٱلْعَظَائِمِ ، حَتَّى إِذَا ٱسْتَدْرَجَ قَرِينَتَــهُ ، وَٱسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ (٢) وَٱسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

(وَمِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ ٱلْإِنْسَانِ) أَمْ هٰذَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ، وَشُغُفِ ٱلْأَسْتَارِ ، نُطْفَةً دِهَاقــاً وَعَلَقَةً مُحَاقاً ، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً ، وَوَلِيداً وَيَافِعاً (٣) . ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً ، وَلِسَاناً لَافِظاً ، وَبَصَراً لَاحِظاً ، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً ، وَيُقَصِّــرَ مُزْدَجِــراً ، حَتَّــى

---

(١) العدو هو الشيطان لعنه الله ، والكلام تمثيــل لدقة مجــاري وسوسته

(٢) الموبقات : المهلكات ، والقرينة النفس التي يقارنها بالوسوسة ، واستغلق الرهن : جعله بحيث لا يمكــن تخليصه ، وانكر مازين بيان لتبريه ممن اغــواه .

(٣) ام هنا منقطعة بمعنى بل كأنه اضرب عما كان يعظم بــه وجعــل يتلو عليهم صفة خلق الانسان ، والشغف جمع شغــاف وهو فــي الاصل غلاف القلب فاستعاره للمشيمة ، ودهاقا : متتابعا صبها ، والعلقة القطعة من الدم ، ومحاقا ممحوة ، مأخوذة من المحاق ــ بالضم ــ الليالي الثلاث من آخر الشهر ، واليافع : المشرف على العشرين .

إِذَا قَامَ ٱعْتِدَالُهُ ، وَٱسْتَوَي مِثَالُهُ (١) نَفَرَ مُسْتَكْبِراً ، وَخَبَطَ سَادِراً ، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ (٢) ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ ، لاَ يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً (٣) وَلاَ يَخْشَعُ تَقِيَّةً ، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً ، لَمْ يُفِدْ(٤)عِوَضاً ،وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً ، دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ (٥) . فَظَلَّ سَادِراً (٦) وَبَاتَ سَاهِراً ، فِي غَمَرَاتِ ٱلآلاَمِ ، وَطَوَارِقِ ٱلْأَوْجَاعِ وَٱلْأَسْقَامِ ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً ، وَلاَدِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً (٧) . وَٱلْمَرْءُ فِي

(١) ويقصر يكف ، ومزدجرا : ممتنعا ، والمثال : القامة

(٢) السادر : المتحير ، والماتح : الذي ينزل في البئر ليملأ الدلو ، والغرب : الدلو العظيمة .

(٣) البدوات جمع بداة ما يخطر له من آرائه التي تختلف فيها دواعية ، لا يحتسب : لا يفكر في وقوعها ، والرزية واحدة الرزايا : المصيبة ، والتقية : الخوف .

(٤) غرير : مغرور ، والهفوة : الزلة ، ولم يفد : لم يستفد ، والمراد بالعوض : الثواب .

(٥) دهمته : غشيته : والغبر : بضم فتشديد ــ جمع غابر وهو الباقي ، والجماح: ارتكاب الهوى والمراد بقايا تعنته وعدم انقياده، والسنن: الطريقة ، والمرح : شدة الفرح والنشاط .

(٦) ظل : عاد ،سادرا : حائرا حين بدأ به المرض

(٧) اللادمة : الضاربة صدرها عند النياحة .

سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ ، وَغَمْرَةٍ كارِثَةٍ (١) وأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ ، ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً (٢) وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى ٱلْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ (٣) وَنِضْوَ سَقَمٍ ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ ٱلْوِلْدَانِ (٤) وَحَشَدَةُ ٱلإِخْوَانِ ، إِلَىٰ دَارِ غُرْبَتِهِ ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ (٥) وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا ٱنْصَرَفَ ٱلْمُشَيِّعُ ، وَرَجَعَ ٱلْمُتَفَجِّعُ ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ ٱلسُّؤَالِ ، وَعَثْرَةِ ٱلإِمْتِحَانِ (٦) . وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ

---

(١) ملهية أي تشغله عما كان يهتم به وتروى « ملهثة » اي تكثر لهثه: واللهث : اخراج اللسان من الاعياء والعطش والغمرة : الشدة ، والكارثة : القاطعة للامال ، الأنة ـ بتشديد النون واحدة الأن اي التوجع ، والجذبة واحدة الجذبات : أي الانفاس عند الاحتضار أو المراد به جذب الملك الروح من الجسد ، والسوقة من ساق المحتضر نفسه عند الموت او من سياق الروح عند الموت

(٢) المبلس : الآيس من الرجوع الى الدنيا ، او من الابلاس وهو الانكسار والسلس : السهل .

(٣) الرجيع : الكال ، والوصب : التعب ، والنضو : المهزول .

(٤) الحفدة : الاعوان ، والحشدة جمع حاشد وهو المتهيء المستعد.

(٥) دار غربته : قبره وكذلك منقطع زورته لان الزيارة تنقطع عنده ، ومفرد وحشته كذلك ، لاستيحاش الناس منه .

(٦) النجي :من تكلمه سرا ، وبهتة السؤال حيرته .

ٱلْحَمِيمِ (١) وَتَصْلِيَةُ ٱلْجَحِيمِ ، وَفَوْرَاتُ ٱلسَّعِيرِ وَسَوْرَاتُ ٱلزَّفِيرِ ، لا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ (٢)! . وَلاَ دَعَةٌ مُزِيحَةٌ ، وَلاَ قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ ، وَلاَ مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ ، وَلاَ سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ ، بَيْنَ أَطْوَارِ ٱلْمَوْتَاتِ (٣) وَعَذَابِ ٱلسَّاعَاتِ إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ .

عِبَادَ ٱللهِ أَيْنَ ٱلَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا (٤) وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا ، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا (٥) وَسُلِّمُوا فَنَسُوا (٦) . أُمْهِلُوا طَوِيلاً ، وَمُنِحُوا جَمِيلاً ، وَحُذِّرُوا أَلِيماً ، وَوُعِدُوا جَسِيماً ، إِحْذَرُوا ٱلذُّنُوبَ ٱلْمُوَرِّطَةَ ، وَٱلْعُيُوبَ

---

(١) الحميم : في الاصل الماء الحار ، والمراد هنا النار ، والتصلية : الاحراق وفورات جمع فورة وهي شدة الحر ، والسعير : اسم من اسماء النار ، والسورة : الشدة ، والزفير صوت النار عند التوقد .

(٢) الفترة : السكون اي لا فترة حتى يستريح المعذب من الالم ولا دعة : اي راحة حتى تزيح ما اصابه من التعب ، ولا يجد قوة تحجزه اي تمنعه من الالم ، ولا موتة ناجزة اي سريعة حتى لا يشعر بالعذاب ، والسنه ــ بكسر السين وتخفيف النون ــ أوائل النوم ومسلية : ملهية .

(٣) الاطوار : الانواع ، والموتات جمع موتة اي كل نوبة من نوب العذاب كأنه موت لشدتـه .

(٤) عمروا : عاشوا ، ونعموا : تنعموا

(٥) انظروا : امهلوا ، فألهاهم الامهال عن العمل .

(٦) أي انستهم السلامة ما يراد منهم .

ٱلْمُسْخِطَةَ (١) .

أُولِي ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَسْمَاعِ ، وَٱلْعَافِيَةِ وَٱلْمَتَاعِ ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ ؟ أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ ؟ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ (٢) ؟ أَمْ لَا فَأَنَّي تُؤْفَكُونَ (٣) ؟ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ ؟ وَإِنَّما حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ، ذَاتِ ٱلطُّولِ وَٱلْعَرْضِ ، قِيدُ قَدِّهِ (٤) مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ ، ٱلْآنَ ــ عِبَادَ ٱللهِ ــ وَٱلْخِنَاقُ مُهْمَلٌ (٥) وَٱلرُّوحُ مُرْسَلٌ ، فِي فَيْنَةِ ٱلْإِرْشَادِ (٦) وَرَاحَةِ ٱلْأَجْسَادِ ، وَبَاحَةِ ٱلِاحْتِشَادِ (٧) . وَمَهَلِ ٱلْبَقِيَّةِ ، وَأُنُفِ ٱلْمَشِيَّةِ (٨) .

---

(١) المورطة : المهلكة

(٢) المناص : الملجأ والمحار : الرجوع الى الدنيامن حار يحور : اذا رجع

(٣) تؤفكون : تقلبون أي تنقلبون .

(٤) القيد : المقدار ، والقد : القامة ، والمتعفر الذي لامس العفر وهو في التراب .

(٥) الخناق ــ بفتح الخاء المعجمة ــ الحبل الذي يخنق به ، واهماله: عدم شده على العنق ، والمراد بالاهمال مدة الامهال .

(٦) الفينة ــ بالفتح ــ الحال ، ويروى « الارتياد » وهو الطلب .

(٧) الباحة : الساحة ، والاحتشاد : الاجتماع

(٨) الانف ــ بضمتين ــ مستانف المشيئة اي بامكانكم استئناف مشيئة وارادة حسنة لو أردتم .

وَإِنْظَارِ ٱلتَّوْبَةِ ، وَٱنْفِسَاحِ ٱلْحَوْبَةِ (١) قَبْلَ ٱلضَّنْكِ وَٱلْمَضِيقِ ، وَٱلرَّوْعِ وَٱلزُّهُوقِ (٢) وَقَبْلَ قُدُومِ ٱلْغَائِبِ ٱلْمُنْتَظَرِ (٣) وَأَخْذَةِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُقْتَدِرِ .

قال الرضي رحمه الله : وفي الخبر : أنه عليه السلام لما خطب بهـذه الخطبة اقشعرت لها الجلود ، وبكت العيون ، ورجفت القلوب ، ومن الناس من يسمي هذه الخطبة « الغرّاء » .

هذه الخطبة من خطبه عليه السلام المعروفة ، وفيها من اللطائف والدقائق ما عده ابن أبي الحديد من معجزاته التي فات بها البلغاء ، وأخرس الفصحاء[٤] .

وفي قول الرضي رحمه الله : « ومن الناس من يسمي هذه الخطبة بالغراء » دليل على أنها كانت معروفة بين الناس .

وقال ابن أبي الحديد : قال شيخنا أبو عثمان – يريد الجاحظ – رحمه الله تعالى : حدّثني ثمامة [٥] : قال سمعت جعفر بن يحيى – وكان من أبلغ الناس وأفصحهم – يقول : الكتابة ضم اللفظة إلى اختها ، ألم تسمعوا قول شاعر لشاعر وقد تفاخرا : أنا أشعر منك لأني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه ! ثم قال : وناهيك حسناً بقول علي بن أبي طالب عليـه

---

(١) الحوبة : الحاجة ، والانفساح : سعة الوقت
(٢) الروع الخوف ، والزهوق : الاضمحلال
(٣) الغائب المنتظر : الموت .
(٤) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٨٦ .
(٥) يريد ثمامة بن أشرس من كبار علماء المعتزلة ، وجعفر المذكور هو البرمكي فانظر كيف كانت هذه الخطبة معروفة بين الناس في ذلك العصر .

السلام : « هل من مناص أو خلاص ، أو معاذ أو ملاذ ، أو فرار أو محار ؟ » .

قال أبو عثمان : وكان جعفر يعجب أيضاً بقول علي عليه السلام : « أين من جد واجتهد ، وجمع واحتشد ، وبنى فشيد ، وفرش فمهد ، وزخرف فنجد[1] ؟ » ألا ترى أن كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها ، جاذبة إياها إلى نفسها دالة عليها بذاتها . قال أبو عثمان : فكان جعفر يسميه فصيح قريش[2].

ثم عقب ابن أبي الحديد ببيان فصاحة أمير المؤمنين عليه السلام وأنه أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين بكلمة ذكرناها فيما تقدم من هذا الكتاب تحت عنوان الكتب المؤلفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

ويتجلى لك أن هؤلاء الأعلام يرون أن هذه الخطبة من كلام مولانا أمير المؤمنين ، لا يخالجهم في ذلك شك ولا يخامرهم فيها ريب ، وكفى بهؤلاء حججاً على صحة الإسناد ، وأدلة على ثبوت الرواية ، على أن هذه الخطبة تشهد بنفسها لنفسها فإن مفرداتها سهلة سلسة ، لا وحشية ولا معقدة ، وجملها حسنة المعاني ، سريعة الوصول إلى الأفهام ، وقد اشتملت على أكثر المحسنات البديعة ، من المقابلة والمطابقة ، وحسن التقسيم ، وردّ الكلام على صدره ، والتصريع والتسهيم ، والتوشيح ، والمماثلة ، والإستعارة والموازنة ، والتكافؤ والتسميط ، والمشاكلة وغير ذلك[3] .

ولا شبهة أن هذه الصفات كلها موجودة في خطب أمير المؤمنين عليه

---

(١) هذه الكلمات ليست من الخطبة الغراء وانما هي من خطبة اخرى له سلام الله عليه .

(٢) شرح النهج : م ٢ ص ٩٨

(٣) انظر مدارك نهج البلاغة ص ٨٤ و ٨٥ .

السلام وكتبه ، مبثوثة متفرقة في فرش كلامه عليه السلام [1] .

وختم ابن أبي الحديد شرحه لهذه الخطبة بقوله :

« وأعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب ، وصاحبه منسوب إلى السفه ، وليس جاحد الامور المعلومة علماً ضرورياً بأشد سفهاً ممن رام الإستدلال بالأدلة النظرية عليها» [2].

وقد روى ابن شعبة وهو أسبق من الشريف الرضي من هذه الخطبة في (تحف العقول) ص ١٤٦ من قوله سلام الله عليه : « إنكم مخلوقون اقتداراً » إلى « وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء » مع تفاوت يسير جداً ، وزيادة بعض العبارات .

كما روى القاضي القضاعي في الباب الثالث من (دستور معالم الحكم) ص ٥٩ قوله عليه السلام : « إنكم مخلوقون اقتداراً .. الخ » مع تغاير في بعض الألفاظ يدل على أنه لم ينقلها عن (نهج البلاغة) ثم أدخل فيما رواه جملا اخرى من مواعظه صلوات الله عليه وأكثرها منقول في (النهج) وساق الجميع كأنه كلام واحد .

ونثر الآمدي جملاً من هذه الخطبة في تضاعيف (غرر الحكم) مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات نستنتج معه أنه لم ينقل ما نقله عن (النهج) وبحسبك أن ترجع إلى حرف الهاء من الكتاب المذكور فترى ما نقله هناك لترى صحة هذا الاستنتاج .

وروى هذه الخطبة أيضاً ابن شاكر الليثي في (عيون الحكم والمواعظ) بتفاوت قليل أذكر لك بعضه فيما يلي لتعلم أنه لم يأخذها عن (نهج البلاغة)

---

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٢ — ٩٩ .

(٢) نفس المصدر

فروى « تلفت الاستعانة وفي (النهج) بالغين المعجمة ثم المثلثة بعد الألف ، وروى بدل « الحفدة » « الحفظة » ، وفي روايته « وظلف الرهب شهواته » والرضي رواها « فظلف الزهد شهواته » وروى « فمات في قبيلته عزيزاً » وفي رواية الشريف « فمات في فتنته غريراً » وهكذا .

ثم زد على ذلك أن الواسطي روى من قوله عليه السلام « إنكم مربوبون وما بعدها على حدة كرواية القاضي القضاعي في (الدستور) والمظنون أنهما عثرا عليها في مكان آخر .

وروى أبو نعيم في (حلية الأولياء) ج١ ص٧٧ طرفاً من هذه الخطبة وذكر أن السبب في إلقائه عليه السلام لها أنه شيّع جنازة فلما وضعت في لحدها عجّ أهلها وبكوا ، فقال عليه السلام : « أم والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلهم ذلك من البكاء عليه ، أم والله إن له لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحداً ، ثم قام فيهم فقال : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ، ووقت لكم الآجال .. » ثم ذكر فقرات من الخطبة .

ولا يعقل أن يكون استهلال أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الخطبة بذلك ، فليس من عادته سلام الله عليه أن تكون خطبه بتراء عاطلة عن حلية التحميد والصلاة .

وفسر ابن الأثير في (النهاية) غريب هذه الخطبة في مواطن عديدة منها في مادة (بضض) ج١ ص١٣٢ وفي مادة (علز) ج٢ ص ٢٨٧ ومادة (غضض) وقال هناك (غضاضة) الشباب أي نضارته وطراوته ، ويظهر أن له مصدراً غير (نهج البلاغة) لأن هذه اللفظة لم ترد فيه ، وفسر حواني الهرم في مادة (حنا) وفي مادة (علز) وفي مواد اخرى نحن في غنىً عن عرضها .

وأخيراً إن من قرأ هذه الخطبة وكان من أهل الذوق والتمييز، قد تذوق كلام أمير المؤمنين عليه السلام، واستضاء بنوره، واستنشق أريــج شذاه يجزم أن هذا الثمر من ذلك الشجر، وهذه الغرفة من ذلك البحـر، فالمتن شاهد لا يحتاج إلى تعديل، وسند عال للأخبار المراسيل [1].

هـذا وقـد اشتبه الأمر على ابن عبد ربه المالكي فسمى خطبة من خطبه عليه السلام غير هذه الخطبة: بالغراء [2].

٨٢ – ومن خطبة له عليه السلام

فِي ذِكْرِ عَمْرو بْنِ ٱلْعَاصِ

عَجَباً لِابْنِ ٱلنَّابِغَةِ(٣)، يَزْعُمُ لِأَهْلِ ٱلشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً (٤) وَأَنِّي ٱمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ (٥) لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثِماً، أَمَا وَشَرُّ ٱلْقَوْلِ ٱلْكَذِبُ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ (٦)

---

(١) انظر (مدارك البلاغة): ص ٨٥

(٢) انظر (العقد الفريد): ج ٢ ص ٣٦٨

(٣) النابغة: المشهورة فيما لا يليق بالنساء من نبغ اذا ظهر.

(٤) الدعابة بالضم: المزاح واللعب. وتلعابة – بالكسر – كثير اللعب

(٥) اعافس اعالج الناس واضاربهم مزاحـا. او المعافسة معالجـة النساء بالمغازلة، والممارسة كالمعافسة.

(٦) فيلحف اي يلح. ويسأل ههنا مبنى للفاعل. ويسأل في الجملة بعدها للمفعول.

وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ ، وَيَخُونُ ٱلْعَهْدَ ، وَيَقْطَعُ ٱلْإِلَّ (١) فَإِذا كَانَ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ . مَا لَمْ تَأْخُذِ ٱلسُّيُوفُ مَآخِذَهَا (٢) فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ ٱلْقِرْمَ سُبَّتَهُ (٣) أَمَا وَٱللّٰهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ ٱللَّعِبِ ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ ٱلْحَقِّ نِسْيَانُ ٱلْآخِرَةِ ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَىٰ تَرْكِ ٱلدِّينِ رَضِيخَةً .

عمرو بن العاص بن وائل السهمي أحد دهاة العرب ، كان كما كان أبوه شائناً لرسول الله ﷺ (٤) مبغضاً له ، وكان شاعراً وقد هجا النبي ﷺ بسبعين بيتاً من الشعر ، وكان يلقنها الصبيان بمكة ، فإذا مر بهم رسول الله ﷺ رفعوا أصواتهم به ، وقد لعنه رسول الله ﷺ بعدد كل بيت لعنة (٥) ، وكان يضع الحجارة بطريق رسول الله ﷺ إذا خرج ليطوف ليلاً بالبيت (٦) وهو

(١) الال — بالكسر — القرابة والمراد انه يقطع الرحم .

(٢) اي انه في الحرب زاجر وآمر عظيم اي محرض حاث ما لم تاخذ السيوف مأخذها فعند ذلك يجبن كما قال فاذا كان ذلك الخ .

(٣) السبة بالضم الاست تقريع له بفعلته المشهورة يوم صفين .

(٤) تفسير الرازي : ج ٨ ص ٥٠٣ و ٥٠٤ ، الطبقات لابن سعد : ١ ص ١١٥

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٧ مخطوط ، وفي (المفاخرات) للزبير بن بكار بكل حرف الف لعنة (انظر شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٢ ص ١٠٣

(٦) شرح نهج البلاغة م ١ ص ١٠٠

أحد الذين روّعوا زينب بنت رسول الله حتى ألقت جنينها ونال ذلك منه ﷺ وشق عليه ، ولعنهم جميعاً [1] ، ولشدة عداوته لرسول الله ﷺ اعتمدت عليه قريش فأرسلته إلى الحبشة ، ليزهد النجاشي في الدين ، وليطرد من بلاده مهاجرة الحبشة ، وليقتل جعفر بن أبي طالب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فكان من أمره ما هو مشهور في كتب السير والتاريخ [2] .

أسلم سنة ثمانٍ وشهد فتوح الشام أيام أبي بكر (رض) وولي فلسطين لعمر (رض) ثم سيره إلى مصر ففتحها ، وجعله عليها ، ولم يزل كذلك أيام عمر ، وأربع سنوات من أيام عثمان (رض) فعزله وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأقام عمرو بفلسطين [3] ، وكان يتردد على المدينة فيطعن على عثمان (رض) ، وبلغ عثمان ذلك ، فقال له : يابن النابغة أتحرض الناس عليّ لأني عزلتك عن مصر ؟ قملت جبتك منذ تركتك من العمل ، وحوصر عثمان وعمرو بالمدينة ، وتركه محاصراً وذهب إلى فلسطين ، ولما قتل عثمان قال عمرو : أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها ، قتلته وأنا بوادي السباع [4] ثم انضم إلى معاوية شريطة أن يجعل له مصر طعمة إذا غلب ، واجتمع معه على إلقاح الفتنة ، وتهييج الشر ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم معاويه وعمرو بن العاص مجتمعين ففرقوا بينهما ، فإنهما لا يجتمعان على خير » [5]

---

(١) شرح نهج البلاغة م ١ ص ١٠٠

(٢) رواه محمد بن اسحق في (المغازي) كما نقل ذلك ابن ابي الحديد في الشرح م ٢ ص ١١٢ .

(٣) ملخصا من (الاستيعاب في ترجمة عمرو بن العاص ٢ ص٤٣٥

(٤) انساب الاشراف : ج ٥ ص ٧٤ — ٨٧ وابن ابي الحديد : م ٢ ص ١٠٣ .

(٥) العقد الفريد ٢ ص ٢٩١ .

وكان من أمره في صفين[1] ما هو معروف ومن أهمه موقفه المشرف ! لما بارز أمير المؤمنين ، إذ ظهر مصداق ما رواه ابن عبد البر عندما ترجم له : « إنه من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية والإسلام ، مذكوراً بذلك » وما رواه ابن حجر من أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته [2] واحتل مصر في أواخر أيام علي عليه السلام بعد الحكمين ، ولم تطل أيامه في مصر إذ توفي في يوم عيد الفطر سنة ٥٣ ودفن بالمقطم عن ٩٠ عاماً [3].

أما النابغة المذكورة في كلام علي عليه السلام فهي سلمى[4] أو ليلى الحبشية [5] كانت أمة لرجل من عنزة — بالتحريك — [6] سبيت فاشتراها الفاكه بن المغيرة[7] ، ثم اشتراها عبد الله بن جدعان التيمي [8] وكانت بغيا من ذوات الرايات [9] أشهر بغي بمكة ، وأرخصهن اجرة[10] وقع عليها في طهر واحد خمسة أو ستة [11] نفر من قريش ، منهم العاص بن وائل السهمي ، وأبو لهب ،

---

(١) صفين ١١٢ وفي (العقد الفريد) ج ٢ ص ٢٩٠

(٢) الاصابة : ج ٣ ص ٢ .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٢ ص ١١٣ .

(٤) أسد الغابة : ج ٤ ص ١١٦ .

(٥) الكامل للمبرد ج ٢ ص ٦٢ .

(٦) ربيع الابرار للزمخشري .

(٧) أسد الغابة : ٤ — ١١٦ .

(٨) ربيع الابرار للزمخشري واسد الغابة ٤ — ١١٦ .

(٩) المثالب لابن الكلبي مخطوط توجد منه نسخة في مكتبة امير المؤمنين العامة في النجف الاشرف .

(١٠) جاء هذا في كلام لاروى بنت الحارث بن عبد المطلب مع عمرو ابن العاص ذكره في (العقد الفريد) : ١ — ١٦٤ ، وفي (بلاغات النساء ، ص ١٧ .

(١١) في رواية (العقد) و (بلاغات النساء) ستة وفي (التذكرة ص ٢٠٩ : خمسة وهو الاقرب .

وأبو سفيان بن حرب ، وامية بن خلف الجمحي وهشام بن المغيرة ، فولدت عمراً ، فاختصم القوم فيه جميعاً كلٌ يزعم انه ابنه ثم أضرب عنه ثلاثة [١] ، واكب عليه اثنان العاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب [٢] فقال أبو سفيان أما اني لا أشك أني وضعته في رحم امه ، فأبت إلا العاص [٣]. وكانت العادة يومئذ أن تسمي من أحبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع [٤] فقيل لها أبو سفيان أشرف نسباً ؟ فقالت : إن العاص بن وائل كثير النفقة ، وأبو سفيان شحيح[٥] ، وكان عمرو يعير بذلك ، عيّره علي وعثمان والحسن وعمار بن ياسر وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم [٦] .

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافأة له عن هجاء رسول الله ﷺ :

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت	لنا فيك منه بينات الدلائل [٧]
ففاخر به إما فخرت فلا تكن	تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل
وان التي في ذاك يا عمرو حكمت	فقالت رجاء عند ذاك لنائل :
من العاص عمرو تخبر الناس كلما	تجمعت الأقوام عند المحافل [٨]

---

(١) اقول : جزى الله عمنا أبا لهب ما جزاه به اذ كان من جملة المضربين ، والا لاوقعنا في محنة عظيمة ، وورطة قد يصعب علينا النجاة منهـا .

(٢) المثالب لابن الكلبي .

(٣) الانساب لابي عبيدة حكاه ابن ابي الحديد : م ٢ ص ١٠١ .

(٤) السيرة الحلبية : ١ / ٥١ .

(٥) الانساب لابي عبيدة .

(٦) السيرة الحلبية ١ / ٥١ .

(٧) في « ربيع الابرار » الشمائل .

(٨) الانساب لابي عبيدة كما حكاه ابن ابي الحديد : م / ٢ ص ١٠١

ولا أدري لِمَ لم يستلحق معاوية عمراً كما استلحق زياداً فإن لديه ما هو أكثر وأقوى من الدليل الذي استلحق به زياداً ، ولعل معاوية خاف أن يغلبه على الأمر بدهائه ، ويسلبه منه بخداعه ، فطوى عن ذلك كشحاً.

وإنما أفضنا في ذكر « النابغة » ليعلم أنها مشهورة بهذا اللقب ، معروفة بهذه الصفة ، وان الرضي لم ينفرد بما نقله عن أمير المؤمنين عليه السلام من ذكره لها ، كما لم ينفرد بما نقله عن أمير المؤمنين عليه السلام بتعيير عمرو بها .

ولابن ابي الحديد كلام لطيف فيما نسبه ابن العاص لعلي عليه السلام من الدعابة نقتطف منه ما يلي قال :

«أما ما كان يقوله عمرو بن العاص في علي عليه السلام لأهل الشام : « ان فيه دعابة » يروم أن يعيبه بذلك عندهم ، فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها منه حتى تلقفها ، حتى جعلها أعداؤه عيباً له وطعناً عليه – ثم نقل عن (أمالي) ثعلب كلاماً دار بين عمر وابن عباس منه : يا بن عباس إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي ، ثم قال : لعلك ترى صاحبك لها أهلاً ؟ قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه ! قال صدقت ولكنه امـــرؤ فيه دعابة –[1] الى أن قال : فأقبل علي ، فقال : ان أحراهم أن يحملهم على

---

(١) وتكررت هذه القولة من عمر (رض) في امير المؤمنين عليه السلام وحتى في اخر أيامه ، روى الواقدي عن ابن عباس قال : قال عمر مـا اصنع بامة محمد – وذلك قبل ان يطعن – فقلت ولم تهتم وانـت تجد من تستخلفه عليهم ؟ قال : اصاحبكم ؟ يعني عليا قلت : نعم هو لها اهل في قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره وسابقته وبلائـه قال : ان فيه بطالة وفكاهة .. نقل ذلك السيد المرتضى في (الشـافي ص ٢٥٨ عن الواقدي ثم علق المرتضى على ذلك بقوله : انه وصف عليا بوصف لا

كتاب ربهم ، وسنة نبيهم لصاحبك ، ولئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء ، والصراط المستقيم » .

ثم قال ابن أبي الحديد — بعد أن وجه كلام عمر بتوجيهات لا تخلو من مواقع النظر :

« وأنت إذا تأملت حال علي عليه السلام في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وجدته بعيداً عن أن ينسب إلى الدعابة والمزاح ، لأنه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلاً ، لا في كتب الشيعة ولا في كتب المحدثين ، وكذلك إذا تأملت حاله في أيام الخليفتين أبي بكر وعمر لم تجد في كتب السيرة حديثاً واحداً يمكن أن يتعلق به متعلق في دعابته ومزاحه » .

ثم قال :

(والحال في أيام عثمان وأيام ولايته عليه السلام الأمر كالحال فيما تقدم في أنه لم يظهر منه دعابة ، ولا فرح يسمى الإنسان معه لأجله ذا دعابة ولعب ، ومن تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول، وعرف أن عمرو بن

يليق به ولا ادعاه عدو قط ، بل هو معروف بضده من الركانة والبعد عن المزاح والدعابة ، وهذا معلوم ضرورة لمن سمع اخباره عليه السلام ، وكيف يظن به ذلك وقد روى ابن عباس انه قال : كان امير المؤمنين علي عليه السلام ـ اذا اتى هبنا ان نبتدئه بالكلام ، وهذا لا يكون الا من شدة التزمت والتوقر ، وما يخالف الدعابة والفكاهة ؟ .

وقوله لما طعن : (لله انت لولا دعابة فيك ام والله لو وليتهم لتحملنهم على الحق ، والطريق المستقيم) روى ذلك ابو عثمان الجاحظ في كتاب (السفيانية) .

كما روى ما يضارعه ابن جرير وابن الاثير وكل من تعرض لقصة مقتل عمر وحديث الشورى من المؤرخين .

العاص أخذ كلمة عمر فجعلها عيباً وزاد عليها [1] أنه كثير اللعب يعافس النساء ويمارسهن[2] وأنه صاحب هزل ولعمرو الله لقد كان أبعد الناس من ذلك ، وأي وقت يتسع لعلي عليه السلام حتى يكون فيه على هذه الصفات فإن أزمانه كلها مشغول بالعبادة والصلاة ، والذكر والفتاوى والعلم ، واختلاف الناس اليه في الأحكام ، ونهاره كله أو معظمه مشغول بالصوم ، وليله كله أو معظمه مشغول بالصلاة ، فأما في أيام حربه فالسيف الشهير ، والسنان الطرير [3] وركوب الخيل ، وقود الجيوش ، ومباشرة الحروب ، ولقد صدق عليه السلام : (اني ليمنعني من اللعب ذكر الموت) ولكن الرجل الشريف النبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيباً ، أو يعدوا عليه وصمة ، لا بدأن يحتالوا ويبذلوا جهدهم في تحصيل أمر ما وإن ضعف ، يجعلونه عذراً لأنفسهم في ذمه ، ويتوسلون به إلى أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقته ، والانحراف عنه ، وما زال المشركون والمنافقون يصنعون لرسول الله ﷺ الموضوعات ، ينسبون إليه مـا قد برّأه الله عنه من العيوب والمطاعن في حياته ، وبعد مماته إلى زماننا هذا وما يزيده الله سبحانه إلا رفعة وعلواً ، فغير منكر أن يعيب علياً عليه السلام عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه بما إذا تأمله المتأمل علم أنهم باعتمادهم عليه ، وتعلقهم به قد اجتهدوا في مدحه

(١) وسبق لابن ابي الحديد مثل هذا القول فقد قال في مقدمة الشرح وهو يصف الامام صلوات الله عليه : (... واما سجاحة الخلق ، وبشر الوجه ، وطلاقة المحيا ، والتبسم فهو المضروب به المثل حتى عابه اعداؤه ، قال عمرو بن العاص لاهل الشام : ان فيه دعابة قال : وعمرو بن العاص انما اخذها من عمر بن الخطاب لقوله له : لله ابوك لولا دعابة فيك الا ان عمر اقتصر عليها ، وعمرو زاد فيها وسمجها) .

(٢) المعافسة الملاعبة ، والممارسة ملاعبة النساء . قاله ابن الاثير في النهاية .

(٣) السنان الطرير : المحدد .

والثناء عليه ، لأنهم لو وجدوا عيباً غير ذلك لذكروه [1] .

أما ما رواه الرضي رحمه الله من كلامه عليه السلام في عمرو بن العاص فقد سبقه إلى روايته :

١ — ابن قتيبة في (عيون الأخبار) ج٣ ص١٠ .

٢ — ابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج٢ ص ٢٨٧ .

٣ — أبو حيان التوحيدي في (الامتاع والمؤانسة) : ج٣ ص ١٨٣ .

٤ — البيهقي في (المحاسن والمساوىء) : ص ٥٤ .

٥ — البلاذري في (أنساب الأشراف) ط الأعلمي في ترجمة أمير المؤمنين سلام الله عليه في موضعين ص ١٤٥ و١٥١ .

ثم رواه شيخ الطائفة في « الأمالي » : ج١ ص١٣١ بطريق ذكره هناك وفيه محمد بن عمران المرزباني [2] المتوفى سنة ٣٨٤ أي قبل صدور « النهج » بستة عشر عاماً، والحافظ أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي الهمداني المعروف

(١) شرح النهج : م ٢ — ١١٤ و ١١٥ .

(٢) المرزباني هذا من مشائخ المفيد استاذ الرضي ، وقد اكثر النقل عنه السيد المرتضى في (الغرر والدرر) وكان المرزباني يعد من محاسن الدنيا صادق اللهجة ثقة في الحديث واسع المعرفة صنف كتبا كثيرة في أخبار الشعراء على طبقاتهم وقيل انه أول من أسس علم البيان ودونه وله من المؤلفات في هذا الفن كتاب (المفصل في علم البيان) وبهذا تعرف انه سابق لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفي سنة ٤٧١ في هذا العلم وللمرزباني من المؤلفات كتاب (ما نزل من القرآن في علي عليه السلام) وقد تقدم في الجزء الاول من هذا الكتاب ص ١٠٠ انه اول من جمع شعر يزيد بن معاوية .

بابن عقدة [1] المتوفي سنة ٣٣٣ والزبير بن بكار [2] المتوفى سنة (٢٥٥) أو (٢٥٦) . وفسر غريبه ابن الاثير في (النهاية) : ١/١١٧ و٣/٥٩ ، ٤/٥٩ و ١١٠ ، ٨٩ .

---

(١) ابن عقدة هو الحافظ المعروف كان من الحفظ والمعرفة بمكان جمع التراجم والمشيخة واكثر الرواية وروى عنه الحفاظ والاكابر وقال الدارقطني : اجمع اهل الكوفة انه لم ير بها من زمن ابن مسعود الصحابي الى زمن ابن عقدة من هو أحفظ منه وحكي أن مجموع كتبه كانت ستماية حمل بعير . له من الكتب القيمة (حديث الولاية) جمع فيه طرق حديث الغدير وتوفى بالكوفة في التاريخ المذكور في المتن .

(٢) هو ابو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام من اكابر العلماء واعيان المؤلفين له من الكتب (نسب قريش) (والموفقيات في التاريخ) صنفه للموفق العباسي وكان الزبير هذا منحرفا عن امير المؤمنين عليه السلام ينال من العلويين حتى تهددوه فهرب منهم وذهب الى عمه مصعب بن عبدالله وسأله انهاء حاله الى المعتصم العباسي فلم يجد عمه عند المعتصم ما يحب .

وبهذا تعرف عدم اعتبار بعض ما ينقله هو او ينقله ابو الفرج الاصبهاني وغيره عنه من احوال العلويين خصوصا ما ينقله من مصاهراتهم لبعض الناس المعلومين بالضرورة في بعد اهل البيت عنهم فلا تغفل .

وسيأتي ذكر للزبير هذا وابيه وجده في كلامنا على مصادر الحكمة ٢٥٣ عند قوله عليه السلام : احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه .. الخ ان شاء الله تعالى .

٨٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، ٱلْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ ، وَٱلْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ ، لَا تَقَعُ ٱلْأَوْهَامُ لَهُ عَلَىٰ صِفَةٍ ، وَلَا تَقْعُدُ ٱلْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَىٰ كَيْفِيَّةٍ (١) وَلَا تَنَالُهُ ٱلتَّجْزِئَةُ وَٱلتَّبْعِيضُ ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَٱلْقُلُوبُ .

(مِنْهَا) فَاتَّعِظُوا عِبَادَ ٱللهِ بِالْعِبَرِ ٱلنَّوَافِعِ ، وَٱعْتَبِرُوا بِالْآيِ ٱلسَّوَاطِعِ (٢) وَٱزْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ ٱلْبَوَالِغِ (٣) وَٱنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَٱلْمَوَاعِظِ ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ ٱلْمَنِيَّةِ ، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ ٱلْأُمْنِيَّةِ ، وَدَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ ٱلْأُمُورِ (٤) وَٱلسِّيَاقَةُ إِلَى ٱلْوِرْدِ ٱلْمَوْرُودِ (٥)

---

(١) لا تقعد : اي لا يستقر حكمها .

(٢) العبر جمع عبرة وهي ما يعتبر به اي مـا يتعـظ به ، والآي : الآيات أي الدلائل ، والسواطع جمع ساطعة اي المشرقـة .

(٣) النذر : الانذارات جمع انذار وهو الابلاغ ولا يكون ذلك الا في التخويف . والبوالغ : المبالغة الى أقصى غاية في البيان .

(٤) علقتكم : نشبت بكم ، وعلائق الامنية : ما تتعلقون به من الاماني، ودهمتكم : فاجأتكم ، ومفظعات الامور : شدائدها .

(٥) المراد بالورد المورود : الموت .

فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَىٰ مَحْشَرِهَا ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا .

(ومِنْها فِي صِفةِ ٱلْجَنَّةِ) دَرَجاتٌ مُتفاضِلاتٌ . ومنازِلُ مُتفاوِتاتٌ لا يَنْقطِعُ نعِيمُها ولا يَظْعنُ مُقِيمُها . ولا يَهْرمُ خالِدُها . ولا يَبْأسُ ساكِنُها (١) .

أثبتنا في مقدمة هذا الكتاب عند تعداد المصادر أن (حلية الأولياء) من الكتب المتقدمة على (النهج) وقد روى أبو نعيم (٢) من هذه الخطبة الفقرات التي تراها بين القوسين : (فكأن قد علقتكم مخاليب المنية) وأحاطت بكم البلية (ودهمتكم مفضعات الامور) بنفخ الصور وبعثرت القبور ،.. (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)(٣) الخ .

وأنت إذا أنعمت النظر في مطلع ما أختاره الرضي من هذه الخطبة وفي تقطيعه لها إلى ثلاثة فصول ، ووضع كلمة (منها) أمام كل فصل تقطع أن أصل الخطبة أكثر مما ذكر ، ويشهد لذلك الزيادات المروية في (الحلية) بين الفقرات التي رويت في (النهج) .

هذا وقد ذكر الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ) من هذه الخطبة من قوله عليه السلام : (فاتعظوا — عباد الله — بالعبر النوافع) إلى (وشاهد

---

(١) البؤس : شدة الحاجة .

(٢) حلية الاولياء : ج ١ ص ٧٧

(٣) ق : ٢١

يشهد عليها بعملها) باتفاق مع (النهج) ولكنه أبدل الفاء واواً في (كل) وزاد واواً قبل (سائق) ونرى بهذا أنه أخذها عن مصدر آخر .

وروى سبط ابن الجوزى فقرات من هذه الخطبة في (تذكرة الخواص) ص ١٣١ . كما روى بعضها محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤل) : ج١ ص١٤٠ من قوله عليه السلام « درجات متفاضلات » إلى آخر ما رواه الرضي مع زيادة تدل على اختصاصه بمصدر .

ولابن أبي الحديد تعليق لطيف على قوله عليه السلام في صفة الباري عز وجل من هذه الخطبة « ولا تناله التجزئة والتبعيض ، ولا تحيط به الابصار والقلوب » قال : واعلم أن التوحيد والعدل ، والمباحث الإلهية الشريفة ما عرفت إلا من هذا الرجل ، وأن كلام غيره من الصحابة لم يتضمن شيئاً من ذلك أصلاً ، ولا كانوا يتصورونه ، ولو تصوروه لذكروه ، وهذه الفضيلة عندي من أعظم فضائله عليه السلام [١] .

٨٤ — ومن خطبة له عليه السلام

قَدْ عَلِمَ ٱلسَّرائِرَ ، وَخَبَرَ ٱلضَّمائِرَ (٢) ، لَهُ ٱلإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَٱلْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَٱلْقُوَّةُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ : ١٢٠ .

(٢) السرائر جمع سريرة وهي ما يكتم من السر ، وخبر — بفتح الباء — امتحنها و — بالكسر — علم .

أَجَلِهِ (١) وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ (٢) وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقُدُومِهِ ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ ، فَاللَّهَ اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ (٣) وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلاَ عَمىً ، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ (٤) وَعَلَّمَ أَعْمَالَكُمْ ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً (٥) حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ

---

(١) الارهاق : الاعجال عن تدارك ما فات من العمل .

(٢) المتنفس : سعة الوقت ، والكظم ـ بفتحتين ـ مخرج النفس .

(٣) نصب « الله الله » على الاغراء وهي أن تقدر فعلا للنصب اي اتقوا وجعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر .. واستحفظكم : جعلكم حفظة . والمراد بحفظه تدبر ما فيه ، والعمل بأوامره وترك نواهيه .

(٤) عبثا: خاليا عن وجه الحكمة. والسدى ـ بالضم المهمل، و ـ بفتحها ـ الاهمال ، يقال :أسديت الامر اي اهملته وسمى اثاركم : بين لكم اعمالكم.

(٥) التبيان ـ بكسر التاء ـ مصدر وجميع المصادر مفتوحة الا فيها وفي التلقاء . وعمر مد في أجلـه .

ٱلْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ (١) وَنَوَاهِيَــهُ وَأَوَامِرَهُ ، فَأَلْقى إِلَيْكُمُ ٱلْمَعْذِرَةَ ، وَٱتَّخَذَ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةَ ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ ، وَٱصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ (٢) فَإِنَّهــا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ ٱلْأَيَّامِ ٱلَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا ٱلْغَفْلَةُ وَٱلتَّشَاغُلُ عَنِ ٱلْمَوْعِظَةِ . وَلاَ تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ ٱلرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ ٱلظَّلَمَةِ ، وَلاَ تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ ٱلْإِدْهَانُ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ . (٣) .

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ أَنْصَحَ ٱلنَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ ،وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ ، وَٱلْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ ، وَٱلْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِـمَ لَهُ دِينُهُ (٤) . وَٱلسَّعِيدُ

---

(١) رضي لنفسه اي رضى ان ينسـب اليه فيقال دين الحق ، وانهى اليكم : عرفكم واعلمكم ، ومحابـه ومكارهـه : مواضع حبه وكرهه مـن اعمالكم .

(٢) اي اجعلوا لانفسكم صبرا فيها .

(٣) ولا ترخصوا لانفسكم لا تسامحوها بارتكاب الصغائر والمحقـرات من الذنوب فتهجم بكم على الكبائر ، والظلمة جمع ظالم ، والمداهنة : المصانعة .

(٤) والمغبون : المخدوع ، الذي يخدع فيبيع سلعته بأقل من ثمنها : والمغبوط من يتمنى الناس مثل نعمته .

مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، وَٱلشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ ٱلرِّيَاءِ شِرْكٌ ،وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ (٦) . جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ ، ٱلصَّادِقُ عَلَى شُرَفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ ، وَٱلْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ (١) وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ (٢) . وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ ، وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ (٣) فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ .

* * *

(١) منساة للايمان موضع لنسيانه ، ومحضرة : مكان لحضوره .

(٢) الشرف ــ كغرف ــ جمع شرفة وهي المكان العالي . وشفا الشيء : حرفه واكثر ما يقال ذلك في المكروه يقال : اشفى على الموت ، وعلى الهلاك . والمهواة موضع السقوط ، والمهانة : الحقارة .

(٣) الحالقة ، المستأصلة كما يستأصل الموسى الشعر .

(٤) يسهي العقل : يورثه سهوا حتى ينسيه ذكر الله تعالى .

رويت هذه الخطبة متفرقة في الكتب الآتية وكلها سابق ا (نهج البلاغة) لأن كل واحد من مؤلفيها أخذ غرضه منها :

١ ــ الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري : ص ١٤٥ .

٢ ــ تحف العقول لابن شعبة الحرّاني : ص١٠٠ و١٠١ مع زيادات تركها الرضي كعادته في الاختيار .

٣ ــ المحاسن للبرقي ص ٢٣٣ و ٢٣٤ .

كما رويت فقرات منها في الكتب الآتية :

٤ ــ المجالس للمفيد : ص ١٢٠ .

٥ ــ المشكاة للطبرسي ص ١٥٦ .

٦ ــ الغرر للآمدي نثرت فيه فقرات من هذه الخطبة في مواضعها من أبوابه .

٨٥ ــ ومن خطبة له عليه السلام

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، فَاسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ (١) فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَىٰ فِي قَلْبِهِ وَأَعَدَّ ٱلْقِرَىٰ لِيَوْمِهِ ٱلنَّازِلِ

(١) استشعر الحزن : جعله كالشعار ــ بالكسر ــ وهو ما يلي الجسد من الثياب ، وتجلبب : لبس الجلباب وهو الملحفة وكانوا يلبسونه فوق الثياب .

بِهِ (١) فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ ، وَهَوَّنَ ٱلشَّدِيدَ (٢) . نَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ ، وَٱرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ (٤) ، سَهُلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً (٤) وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً (٥) قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَتَخَلَّى مِنَ ٱلْهُمُومِ إِلاَّ هَماً وَاحِداً ٱنْفَرَدَ بِهِ (٦) فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ ٱلْعَمَى ، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ ٱلْهَوَى ، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ ٱلْهُدَى ، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ ٱلرَّدَى ، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ (٧) اسْتَمْسَكَ مِنَ ٱلْعُرَى بِأَوْثَقِهَا ، وَمِنَ ٱلْحِبَالِ

---

(١) زهر : أضاء ، والقرى ــ بكسر ــ القاف ــ ما يعد للضيف ، والمراد به هنا الموت .

(٢) المراد بالبعيد هنا الموت او اليوم فان اكثر الناس يرونه بعيدا والشديد الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية .

(٣) أي ذكر الله فاستكثر من العمل الصالح ، والعذب والفرات مترادفان .

(٤) الضمير في موارد يعود الى الفرات ، وشرب نهلا اي شرب حتى ارتوى .

(٥) الجدد ــ بفتحتين ــ : الطريق الذي لا عثار فيه .

(٦) أي اهتم بما يراد منه دون غيره .

(٧) يقال بحر غمر : أي كثير الماء ، والمراد غمار المهالك .

بِأَمْتَنِهَا ، فَهُوَ مِنَ ٱلْيَقِينِ عَلَىٰ مِثْلِ ضَوْءِ ٱلشَّمْسِ ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لله سُبْحَانَهُ (١) فِي أَرْفَعِ ٱلْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَىٰ أَصْلِه ، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ ، كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ (٢) دَلِيلُ فَلَوَاتٍ (٣) . يَقُولُ فَيُفْهِمُ ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ ، قَدْ أَخْلَصَ لله فَاسْتَخْلَصَهُ (٤) ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِه ، وَأَوْتَادِ أَرْضِه ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ ٱلْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِه نَفْيَ ٱلْهَوَىٰ عَنْ نَفْسِه ، يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا ، وَلَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا (٥) . قَدْ أَمْكَنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِه ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ (٦)

---

(١) نصب نفسه : اقامها .

(٢) العشوات جمع عشوة ـ بالحركات الثلاث ـ أي الامر الملتبس ، والمبهمات من الامور : غير الواضحة ، والمعضلات : الشدائد من الامور التي لا يهتدى لوجهها .

(٣) ودليل فلوات : يهتدى به كما يهتدي السائرون في الفلوات بدليلهم .

(٤) اخلص لله سبحانه في طاعته فاختاره لهذا المقام .

(٥) امها وقصدها بمعنى واحد ، والمظنة : الشيء الذي يظن وجوده .

(٦) الكتاب القرآن الكريم وامكنه من زمامه تمثيل لانقياده لاحكامه ، والثقل : متاع المسافر .

وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ . وَآخَرُ (١) قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ . فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّال ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ ، وَقَوْلِ زُورٍ ، قَدْ حَمَلَ ٱلْكِتَابَ عَلىَ آرائِهِ ، وَعَطَفَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ أَهْوَائِهِ (٢) يُؤْمِنُ مِنَ ٱلْعَظَائِمِ ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ ٱلْجَرَائِمِ ، يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ ٱلشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ ، وَأَعْتَزِلُ ٱلْبِدَعَ وَبَيْنَهَا ٱضْطَجَعَ ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ ، لاَ يَعْرِفُ بَابَ ٱلْهُدَىٰ فَيَتَّبِعَهُ ، وَلاَ بَابَ ٱلْعَمَىٰ فَيَصُدَّ عَنْهُ ، فَذٰلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ وَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣) ؟ وَٱلْأَعْلاَمُ قَائِمَةٌ ، وَٱلْآيَاتُ وَاضِحَةٌ ، وَٱلْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ، بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ (٤) وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ

---

(١) الكلام في وصف بعض مدعي العلم في مقابلة الموصوف السابق.

(٢) حمل الكتاب .. الخ فسره على اهوائه ، وامال الحق على رغباته .

(٣) تؤفكون : تصرفون .

(٤) الأعلام : الجبل ، او الراية توضع في الطريق ليهتدى بها ، والمنار ما يهتدى به ليلا كالنار التي توقد على المرتفعات ليهتدي بها الساري ، والواو للحال والمراد بذلك العترة لأنهم اعدال الكتاب . ويفسره الكلام بعده ، والتيه : الضلال ، والعمه : الحيرة والتردد .

ٱلْحَقِّ وَأَعْلَامُ ٱلدِّينِ ، وَأَلْسِنَةُ ٱلصِّدْقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ ٱلْقُرْآنِ ،وَرِدُوهُمْ وُرُودَ ٱلْهِيمِ ٱلْعِطَاشِ(١)

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ ٱلنَّبِيِّينَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ (٢) . وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ، فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ (٣) وَٱعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنَا هُوَ ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ ٱلْأَكْبَرِ ، وَأَتْرُكْ فِيكُمُ ٱلثَّقَلَ ٱلْأَصْغَرَ (٤) . وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ ٱلْإِيمَانِ ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ ٱلْحَلَالِ وَٱلْحَرَامِ ، وَأَلْبَسْتُكُمُ ٱلْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي

---

(١) الهيم : الابل العطشى .

(٢) المقصود بهذا تقرير فضيلتهم وانهم أحياء عند ربهم في ظل كرامته .

(٣) أمرهم بالتثبت في الاقوال لأن الجاهل قد ينكر الحق اذا خالف طبعه ، ونبا عن فهمه .

(٤) العذر منهم فيما يلحقهم من العذاب بسبب تقصيرهم معه لأنهم انذروا ، والثقل الاكبر القرآن ، والثقل الاصغر العترة ، ومعنى الثقل النفيس .

وَفَرَشْتُكُمُ ٱلْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي (١) وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ ٱلْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي . فَلَا تَسْتَعْمِلُوا ٱلرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ ٱلْبَصَرُ وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ ٱلْفِكَرُ .

(مِنْهَا) حَتَّى يَظُنَّ ٱلظَّانُّ أَنَّ ٱلدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ (٢) تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا ، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا ، وَكَذَبَ ٱلظَّانُّ لِذٰلِكَ ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ ٱلْعَيْشِ (٣) يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً .

---

(١) فرشتكم : اي بسطت لكم ، قال ابن ابي الحديد : قوله « البستكم العافية من عدلي » استعارة فصيحة وافصح منها « وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي » .

(٢) معقولة : مشدودة بعقال .

(٣) المجة ــ بالضم ــ واحدة المجّ ــ بالضم ايضا القطرة من العسل تكون في افواههم كما يكون في فم النحلة يذوقونها زمانا ثم يقذفونها .

قال ابن أبي الحديد بعد أن أكمل شرح هذه الخطبة : وهـــذه الخطبة طويلة وقد حذف الرضي رحمه الله تعالى منها كثيراً ومن جملتها :

«أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة، لا ترون الذين ينتظرون حتى يهلك المتمنون ، ويضمحل المحلون ، ويتثبت المؤمنون ، وقليل ما يكون ، والله والله لا ترون الذي تنتظرون ، حتى لا تدعون الله إلا إشارة بأيديــكم ، وإيماضاً بحواجبكم[1] ، وحتى لا تملكون من الأرض إلا مواضع أقدامــكم ، وحتى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم فيومئذ لا ينصرني إلا الله بملائكته ، ومن كتب على قلبه الإيمان ، والذي نفس عليّ بيده لا تقوم عصابة تطلب لي أو لغيري حقاً أو تدفع عنا ضيماً إلا صرعتهم البلية ، حتى تقوم عصابــة شهدت مع محمد ﷺ بدراً لا يوارى قتيلهم ، ولا يداوى جريحهم ولا ينعش صريعهم » .

ثم ذكر ابن أبي الحديد من هذه الخطبة :

« لقد دعوتكم إلى الحق فتوليتم ، وضربتكم بالدرة فما استقمتم ، وستليكم ولاة يعذبونكم بالسياط والحديد ، وسيأتيكم غلاما ثقيف أخفش وجعبوب يقتلان ويظلمان وقليل ما يتمكنان ».

ثم عقب ابن أبي الحديد على ذلك بقوله : « قلت الأخفش الضعيف البصر خلقة ، والجعبوب القصير الذميم ، وهو الحجاج ويوسف بن عمر الثقفي . وفي كتاب عبد الملك إلى الحجاج : قاتلك الله اخيفش العينين ، أصـك الجاعرتين »[2] .

قال : « ومن كلام الحسن البصري رحمه الله يذكر فيه الحجاج: أتانا اعيمش

(١) الايماض : الاشارة الخفية .
(٢) الجاعرتان : حرفا الورك المشرفان علـــى الفخذين ، والاصل الذي تصك ركبتاه وعرقوباه عند المشي .

اخيفش يمد بيد قصيرة البنان ، ما عرق فيها عنان في سبيل الله » .

قال : « وكان يضرب المثل بقصر يوسف بن عمر ؟ وكان يغضب إذا قيل له قصير . فصل اه الخياط ثوباً فأبقى منه فضلة كثيرة ، فقال له ما هذا ؟ قال : فضلت من قميص الأمير فضربه مائة سوط ، فكان الخياطون يفضلون له اليسير من الثوب ، ويأخذون الباقي لأنفسهم »[1] .

وفيما ذكر ابن أبي الحديد إشعار على أن هذه الخطبة معروفة بين الناس قد فسرها جماعة منهم وأنها أطول مما ذكر الرضي .

كما روى الزمخشري في باب العز والشرف من (ربيع الأبرار) فصلاً من هذه الخطبة بتفاوت يسير نعرف منه أنه لم ينقلها عن (النهج) .

٨٦ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ (٢) إِلاَّ بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ إِلاَّ بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ (٣) وَفِي دُونِ مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتَبٍ وَمَا ٱسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ (٤) . وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ

---

(١) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ١٣٢ .

(٢) يقصم : يهلك والقصم في الاصل الكسر ، والتمهيل : الانظار.

(٣) الأزل ــ بفتح فسكون ــ : الضيق .

(٤) عتب : اذا كانت بفتح التاء فالمراد العتاب ويقصد عتابه لهم ــ كما فسره ابن ميثم ــ وان كانت بسكونها فالمقصود عتب الزمان اي مكروهه وشدته ، والخطب : الامر المهول .

بِلَبِيبٍ ، وَلاَ كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ ، وَلاَ كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ (١) ، فَيَا عَجَبِي ـ وَمَالِيَ لاَ أَعْجَبُ ـ مِنْ خَطَإِ هٰذِهِ ٱلْفِرَقِ عَلَى ٱخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ، لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ، وَلاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ ، وَلاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ (٢) . يَعْمَلُونَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ ، ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا ، وَٱلْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا (٣) . مَفْزَعُهُمْ فِي ٱلْمُعْضِلاَتِ إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي ٱلْمُبْهَمَاتِ عَلَىٰ آرَائِهِمْ ، كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرىً ثِقَاتٍ ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ (٤) .

---

(١) اللبيب : العاقل ، اللبيب الحق ما انتفع بعقله فيما خلق لأجله وكذلك السميع والبصير والا (لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم عيون لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها الاعراف : ١٧٨) .

(٢) يقتصون : يتتّبعون ، ويعفون ـ بكسر العين وتشديد الفاء ـ يكفون .

(٣) أي ليس المعروف عندهم ما دل الدليل عليه بل ما ذهبوا اليه سواء كان حقا او باطلا .

(٤) المعضلات : الشدائد ، والمبهمات : المغلقات .

ما ذكر في هذا الموضع اختاره الرضي من خطبة له عليه السلام أطول مما هنا رواها الشيخ الكليني في (الروضة) ص ٦٢ بسنده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ، ثم قال : « أما بعد فإن الله تبارك وتعالى لم يقصم جباري دهر قط إلا من بعد تمهيل ورخاء » . وذكر الخطبة وفيها جميع ما في (نهج البلاغة) .

ومما رواها أيضاً الشيخ المفيد في (الارشاد) ص ١٧٣ وفيها كلمات زائدة على ما نقله الكليني .

وفسر ابن الأثير غريبها في (النهاية) ج١ ص ٤٦ مادة (أزل) .

٨٧ — ومن خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ ، وَٱعْتِزَامٍ مِنَ ٱلْفِتَنِ (١) وَٱنْتِشَارٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ ، وَتَلَظٍّ مِنَ ٱلْحُرُوبِ (٢) وَٱلدُّنْيَا كَاسِفَةُ ٱلنُّورِ ظَاهِرَةُ ٱلْغُرُورِ ، عَلَى حِينِ ٱصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا (٣) وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا ، وَٱغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا ، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ ٱلْهُدَى ،

(١) الفترة بين الرسل : انقطاع الرسالة والوحي ، والهجعة : النومة ، واعتزام من الفتن أي كأن الفتن مصممة معتزمة على الشر ، وتروى « واعترام » بالراء من العرام أي الشراسة .

(٢) انتشار الامور : تفرقها ، والتلظي : التلهب .

(٣) تمثيل لتغير الدنيا ، واشرافها على الزوال .

وَظَهَرَتْ أَعْلاَمُ ٱلرَّدَي ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا (١) عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا ٱلْفِتْنَةُ ، وَطَعَامُهَا ٱلْجِيفَةُ ، وَشِعَارُهَا ٱلْخَوْفُ وَدِثَارُهَا ٱلسَّيْفُ (٢) فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ ٱللهِ ، وَٱذْكُرُوا تِيكَ ٱلَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهِنُونَ (٣) وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ ، وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلاَ بِهِمُ ٱلْعُهُودُ ، وَلاَ خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ ٱلْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ (٤) وَمَا أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمِ كُنْتُمْ فِي أَصْلاَبِهِمْ بِبَعِيدٍ ، وَاللهِ مَا أَسْمَعَهُمُ ٱلرَّسُولُ شَيْئاً إِلاَّ وَهَا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَمْسِ ، وَلاَ شُقَّتْ لَهُمُ ٱلْأَبْصَارُ ، وَلاَ جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِكَ ٱلْأَوَانِ إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ.

---

(١) اغورار الماء : ذهابه ومتجهمه من تجهمه اذا استقبله بوجه كريه.

(٢) الشعار من الثياب ما يلي البدن ، والدثار فوق الشعار .

(٣) تيك : كلمة اشارة الى المؤنثة الغائبة يعني بها الاعمال السيئة التي ارتهن بها آباءهم واخوانهم وحوسبوا عليها ، والارتهان : الاحتباس .

(٤) تقادم : بعد ، والاحقاب : المدد الطويلة ، والقرون : الامم من الناس .

وَٱللهِ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ ، وَلاَ أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا (١) رِخْواً بِطَانُهَا. فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْغُرُورِ . فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ .

رواها قبل الرضي جماعة من العلماء منهم :

علي بن إبراهيم القمي في (التفسير) ص٣ : قال : وقال أمـــير المؤمنين صلوات الله عليه : أيها الناس إن الله عز وجل بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وآله بالهدى ، وأنزل عليه الكتاب بالحق وأنتم اميون عن الكتاب ومن أنزله ، وعن الرسول ومن أرسله ، أرسله على حين فترة من الرسل ، وذكر بعض ما ذكره الشريف الرضي مع زيادة في بعض الفقرات ، وتفاوت في بعض الكلمات .

ومحمد بن يعقوب الكليني في (اصول الكافي) ج١ ص٦٠ روى شيئاً منها .

وذكر ابن أبي الحديد اختلاف الرواية في بعض ألفاظها .

ونقلها السيد في (الطراز) ج١ ص٣٤٢ من أول مـــا ذكره الرضي إلى قوله عليه السلام (الاحقاب والقرون) باختلاف يسير جداً وزيادة فقرة بعد قوله عليه السلام « أرسله على حين فترة من الرسل » فإنه ذكـــر (وانقطاع من الوحي) وروى مكان (منار الهدى) (أعلام الهدى) وروى (خيفة) بالخاء المعجمة بدل من الجيم وروى (بهم ولا بكم) بدل (بكم ولا بهم) .

---

(١) الخطام : ما جعل في انف البعير يقاد به ، وجولانه : حركته لانه غير مشدود .

٨٨ – ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ للهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ (١) ، ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ، وَلاَ حُجُبٌ ذَاتُ أَرْتَاجٍ ، وَلاَ لَيْلٌ دَاجٍ ، وَلاَ بَحْرٌ سَاجٍ ، وَلاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ ، وَلاَ فَجٌّ ذُو ٱعْوِجَاجٍ ، وَلاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ ، وَلاَ خَلْقٌ ذُو ٱعْتِمَادٍ (٢) ، ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ ٱلْخَلْقِ وَوَارِثُهُ (٣) وَإِلٰهُ ٱلْخَلْقِ وَرَازِقُهُ ، وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ (٤) يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ . وَمَا تُخْفِي

---

(١) الروية : الفكر وامعان النظر .

(٢) الأرتاج جمع رتج ـ بالتحريك ـ الباب العظيم ، وتروى « ذات رتاج » والرتاج ـ بالكسر ـ الباب المغلق ، وليل داج : مظلم ، وساج بمعنى ساكن ، والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين، والمهاد : الفراش ، وذو اعتماد : ذو بطش وتصرف بقصد وارادة .

(٣) مبتدع الخلق : منشئه من العدم ، ووارثه : الباقي بعده .

(٤) سمى الشمس والقمر دائبان لتعاقبهما على حال واحدة لا يسكنان ، ويروى « دائبين » على النصب للحال ، ويكون خبر المبتدأ يبليان .

صُدُورُهُمْ مِنَ ٱلضَّمِيرِ ، وَمُسْتَقَرُّهُمْ وَمُسْتَوْدَعُهُمْ مِنَ ٱلْأَرْحَامِ وَٱلظُّهُورِ ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ ٱلْغَايَاتُ (١) .
هُوَ ٱلَّذِي ٱشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ ، عَلَى أَعدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَٱتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ (٢) قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ ، وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ (٣) . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيهِ كَفَاهُ ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ .

عِبَادَ ٱللهِ زِنُوا أَنفُسَكُم مِن قَبْلِ أَن تُوزَنُوا ، وَحَاسِبُوهَا مِن قَبلِ أَن تُحَاسَبُوا ، وَتَنَفَّسُوا قَبلَ ضِيقِ ٱلْخِنَاقِ ؛ وَٱنقَادُوا قَبلَ عُنْفِ ٱلسِّيَاقِ (٤) .

---

(١) آثارهم : حركاتهم وتصرفاتهم ، خائنة الاعين : النظرة المسترقة ، الى ما لا يحل ، والخائنة مصدر مثل الخيانة ، والضمير : المضمر ، ومستقرهم في أرحام الامهات ، وظهور الآباء .

(٢) أي لا تمنعه رحمة عن نقمة لمستوجبها ، ولا نقمة عن رحمة لمستحقها .

(٣) عازّه : رام مشاركته في شيء من عزّته ، وشاقّه : نازعه ، وناواه : خالفه .

(٤) زنة النفوس في الدنيا اعتبار اعمالها ومراعاة استقامتها وضبطها بميزان العقل ، وعنف السياق : شدته .

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَىٰ نَفْسِهِ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ (١) .

رواها علي بن محمد الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ)إلى قوله عليه السلام : « ومن شكره جزاه »(٢) وروى منها ما لم يروه الواسطي في (غرر الحكم) ص١٨٥ بأدنى اختلاف ، ولو أن الأول أخذها عن (النهج)لرواها كاملة ، ولو أن الثاني نقلها منه لجاءت متفقة .

هذا وقد فسر غريبها ابن الأثير في (النهاية)ومن مواضع التفسير المذكور ج٢ ص ٣٤٥ .

٨٩ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تُعْرَفُ بِخُطْبَةِ ٱلْأَشْبَاحِ (٣) وَهِيَ مِنْ جَلَائِلِ خُطَبِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ .

روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : خطب أمير المؤمنين بهذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك أن رجلاً أتاه فقال :

---

(١) يعن ان قرات بفتح العين فالمراد من لم يعنه الله بلطفه على نفسه . وان قرات بالكسر فالمراد من لم يعن على نفسه الواعظين والمرشدين .

(٢) انظر الروضة من (البحار باب خطب امير المؤمنين المعروفة

(٣) الاشباح : الاشخاص والمراد بهم هنا الملائكة لانها تتضمن ذكرهم .

يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا مثل ما نراه عياناً ، لنزداد له حباً، وبه معرفة فغضب ، ونادى الصلاة جامعة(١) ، فاجتمع إليه الناس حتى غص المسجد بأهله فصعد المنبر وهو مغضب(٢) متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي لاَ يَفِرُهُ ٱلْمَنْعُ وَٱلْجُمُودُ ، وَلاَ يُكْدِيهِ ٱلإِعْطَاءُ وَٱلْجُودُ (٣) إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ ، وَهُوَ ٱلْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ ٱلنِّعَمِ ، وَعَوَائِدِ ٱلْمَزِيدِ وَٱلْقِسَمِ ، عِيَالُهُ ٱلْخَلْقُ ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ ، وَنَهَجَ سَبِيلَ ٱلرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ ، وَٱلطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ ، ٱلأَوَّلُ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَٱلآخِرُ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ ، وَٱلرَّادِعُ أَنَاسِيَّ ٱلأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ (٤) ، مَا ٱخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ ٱلْحَالُ ، وَلاَ كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ

---

(١) الصلاة : منصوب بفعل تقديره احضروا الصلاة ، وجامعة منصوبة على الحال .

(٢) غص المسجد : امتلأ ، ومغضب ــ بفتح الضاد المعجمة ــ اي قد أغضب .

(٣) يفره : يزده ، ويكديه يفقره .

(٤) الاناسي جمع انسان وهو المثال الذي يرى بالسواد .

عَلَيْهِ ٱلانْتِقَالُ ، وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ ٱلْجِبَالِ (١) وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ ٱلْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ ٱللُّجَيْنِ وَٱلْعِقْيَانِ(٢)وَنُثَارَةِ ٱلدُّرِّ(٣) وَحَصِيدِ ٱلْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذٰلِكَ فِي جُودِهِ . وَلا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ ٱلْإِنْعَامِ مَا لاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ ٱلْأَنَامِ (٤) لِأَنَّهُ ٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي لاَ يَغِيضُهُ سُؤَالُ ٱلسَّائِلِينَ ، وَلاَ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ ٱلْمُلِحِّينَ ، فَانْظُرْ أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ ٱلْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ (٥) . وَٱسْتَضِيءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ ، وَمَا كَلَّفَكَ ٱلشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي ٱلْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلاَ فِي سُنَّةِ ٱلنَّبِيِّ صَلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ

---

(١) تنفست عنه استعارة كأنها لما أخرجته وولدته كانت كالحيوان الذي يتنفس .

(٢) وضحكت عنه الاصداف تفتحت عنه وانشقت ، والفلز : اسم للذهب والفضة والرصاص ونحوها ، واللجين : الفضة ، والعقيان : الذهب.

(٣) نثار الدر : منشوره ، والمرجان : صغار اللؤلؤ وحصيده : محصوده ، قال ابن ابي الحديد : كأنه اراد المتبدد منه كما يتبدد الحب عند الحصيد ، وقال الشيخ محمد عبده يشير الى ان المرجان نبات ، وقد حققته كاشفات الفنون .

(٤) تنفده : تفنيه .

(٥) ائتم به : اتبعه .

ٱلْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ ٱللهِ عَلَيْكَ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي ٱلْعِلْمِ هُمُ ٱلَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ ٱقْتِحَامِ ٱلسُّدَدِ ٱلْمَضْرُوبَةِ دُونَ ٱلْغُيُوبِ ٱلإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْمَحْجُوبِ(١) فَمَدَحَ ٱللهُ ٱعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً ، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ ٱلتَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ ٱلْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً ، فَاقْتَصِرْ عَلَىٰ ذٰلِكَ وَلاَ تُقَدِّرْ عَظَمَةَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ ، هُوَ ٱلْقَادِرُ ٱلَّذِي إِذَا ٱرْتَمَتِ ٱلأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ(٢) وحَاوَلَ ٱلْفِكْرُ ٱلْمُبَرَّأُ مِنَ خَطَرَاتِ ٱلْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ (٣) وَتَوَلَّهَتِ ٱلْقُلُوبُ إِلَيْهِ (٤) لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ (٥) وَغَمُضَتْ

(١) السدد جمع سد ـ بالفتح والضم ـ الجبل والحاجز وقال بعضهم ما كان من صنع الله فبالضم وما كان من عمل البشر فبالفتح . والاقرار فاعل اغنى .

(٢) ارتمت : بعدت مجدة في المطالعة والتفتيش ، ومنقطع القدرة : منتهاها .

(٣) المبرأ : المنزه ، وعميقات الغيوب : أسرارها

(٤) تولهت العقول : اشتد عشقها وميلها لمعرفة كنهه .

(٥) لتجري : أي لتصادف مجرى ومسلكا

مَدَاخِلُ ٱلْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ ٱلصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ ٱلْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ (١) مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ ٱلاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ (٢) وَلاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي ٱلرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ (٣) ٱلَّذِي ٱبْتَدَعَ ٱلْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ ٱمْتَثَلَهُ ، وَلاَ مِقْدَارٍ ٱحْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ (٤) ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ وَٱعْتِرَافِ ٱلْحَاجَةِ مِنَ ٱلْخَلْقِ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُدْرَتِهِ (٥) مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ لَهُ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ وَظَهَرَتْ فِي ٱلْبَدَائِعِ ٱلَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ ،

---

(١) ردعها كفها ، وهي جواب الشرطيات التي ابتدات من «اذا ارتمت» المهاوي : المهالك ، والسدف ــ بضم ففتح ــ جمع سدفة : القطعة من الليل المظلم ، وجبهت من جبهه اذا ضرب جبهته ، والمراد رجعت خائبة .

(٢) جور الاعتساف : الاخذ على غير الطريق .

(٣) الرويات جمع روية وهي الفكر

(٤) ابتدع الخلق : أوجده من العدم على غير مثال مثله حتى يخلق على طبقه ولا مثله احد قبله فقاس عليه اذ لم يعهد أن خالقا قبله .

(٥) المساك ــ كسحاب ــ ما يمسك ويعصم به .

فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ ، وَدَلِيلاً عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ خَلْقـاً صَامِتـاً فَحُجَّتُـهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَى ٱلْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ (١) ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ ، وَتَلاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ (٢) ٱلْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَىٰ مَعْرِفَتِكَ (٣) وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ ٱلْيَقِينُ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَكَ (٤) وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّأَ ٱلتَّابِعِينَ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ «تَٱللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ» كَذَبَ ٱلْعَادِلُونَ (٥) بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ ٱلْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ ، وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ ٱلْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى ٱلْخِلْقَةِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْقُوَى ،

---

(١) اخذ هذا المعنى ابو العتاهية فقال :

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

(٢) الحقاق جمع حق ــ بالضم ــ راس العظم عند المفصل .

(٣) غيب الضمير : باطنه ، والمراد منه هنا العلم واليقين ، اي لم يحكم بيقينه في معرفتك بما انت اهل له ، ويروى « لم يعقد » على ما لم يسمى فاعله ، وغيب ضميره بالرفع .

(٤) الند ــ بالكسر ــ المثل والنظير وكذلك النديد .

(٥) العادلون بالله : الذين جعلوا له عديلا ونظيرا .

بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ(١) . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَٱلْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ (٢) ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ ، وَأَنَّكَ أَنْتَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي ٱلْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً (٣) وَلاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً (٤) .

(وَمِنْهَا) قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَ ٱلانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ على إرادَتِهِ ، وكَيْفَ وإنَّما صَدَرَت ٱلأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ ، ٱلْمُنْشِئُ أَصْنَافَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ

---

(١) نحلوك : اعطوك ، والحلية : الصفة ، وقدروك : قاسوك والقرائح جمع قريحة وهي القوة التي تنبسط بها المعقولات ، واصله من قريحة البئر : اول مائها .

(٢) المحكم ــ لغة ــ المضبوط المتقن ، والآيات المحكمات التى لا تحتمل من التأويل الا وجها واحدا .

(٣) اي ان العقول لم تحط بك كاحاطتها بالاشياء المتناهية فتكون ذا كيفية .

(٤) مصرفا : اي تصرفك العقول بافهامها

إِلَيْهَا ، وَلاَ قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضمَرَ عَلَيْهَا(١) ، وَلاَ تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِن حَوَادِثِ الدُّهُورِ (٢) وَلاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ٱبْتِدَاعِ عَجَائِبِ ٱلْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ ٱلْمُبْطِيءِ ، وَلاَ أَنَاةُ ٱلْمُتَلَكِّيءِ (٣) فَأَقَامَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا ، وَنَهَجَ حُدُودَهَا وَلاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا(٤) ، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا (٥) . وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي ٱلْحُدُودِ وَٱلْأَقْدَارِ ، وَٱلْغَرَائِزِ وَٱلْهَيْئَاتِ ، بَدَايَا خَلاَئِقَ (٦) أَحْكَمَ صُنْعَهَا ، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَٱبْتَدَعَهَا .

---

(١) آل : رجع ، والغريزه : الطبيعة والمزاج

(٢) افادها : استفادها .

(٣) الريث : التثاقل ، والاناة : تواده تمازجها روية في الاخذ والترك ، والمتلكيء : المتعلل .

(٤) الاود : الاعوجاج ، ونهج : عين ورسم ، ولاءم : جمع اي جمع بين الامور المتضادة في عناصرها .

(٥) اشارة الى ان الموجودات لا تنفك عن اشياء تقترن بها من هيئة أو شكل أو غريزة او نحوها .

(٦) بدايا ، جمع بدء اي مصنوع ، وقيل معنى بدايا : عجائب .

(مِنْهَا فِي صِفَةِ ٱلسَّمَاءِ) وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا ، وَلاحَمَ صُدُوعَ ٱنْفِرَاجِهَا ، وَوَشَجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا (١) . وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ ، وَٱلصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا (٢) . نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ بَعْدَ الارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا ، وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ ٱلشُّهُبِ ٱلثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا (٣) وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرَاقِ ٱلْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ (٤) . وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لأَمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا ، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا (٥) فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا

---

(١) الرهوات : جمع رهوة اي الفرجة المتسعة ، ولاحم الشيء بالشيء: الصقة والصدوع : الشقوق ، ووشج وصل بين تلك الصدوع وبين ازواجها اي اشباهها .

(٢) الهابطين والصاعدين : الملائكة ، والحزونة في الاصل ما غلظ من وجه الارض ، والمراد به هنا الامر العسير في الهبوط والعروج .

(٣) الاشراج جمع شرج عرى العيبة ، والارتتاق : الارتتاج ، والنقاب جمع نقب : الطريق في الجبل .

(٤) تمور : تتحرك ، وبأيده ـ بسكون المثناة التحتانية ـ بقوته .

(٥) مبصرة : يبصر بها ، وممحوة : يمحى ضوءها في بعض أطراف الليل في بعض ليالي الشهر وفي بعضها الليل كله .

فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا ، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا ، وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا (١) وَرَمَى مُسْتَرِقِي ٱلسَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا ، وَأَجْرَاهَا عَلَىٰ إِذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا ، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا ، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا ، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا (٢)

(مِنْهَا فِي صِفَةِ ٱلْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) .

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ ، وَعِمَارَةِ ٱلصَّفِيحِ ٱلْأَعْلَىٰ (٣) مِنْ مَلَكُوتِهِ ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا ، وَحَشَىٰ بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا ، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ ٱلْفُرُوجِ زَجَلُ ٱلْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي

---

(١) ناط : علق ، والدراري : الكواكب المضيئة نسبة الى الدر في بياضها .

(٢) الثواقب اي المضيئة ، والاذلال جمع ذل ـ بالكسر ـ وهو محجة الطريق ، والمراد بنحوسها وسعودها تأثيرها في الحياة من خصب وجدب ونحوها كتأثير الشمس فيها .

(٣) الصفيح : السماء .

حَظَائِرَ ٱلْقُدْسِ ، وَسُتُرَاتِ ٱلْحُجُبِ ، وَسُرَادِقَاتِ ٱلْمَجْدِ(١) وَوَرَاءَ ذٰلِكَ ٱلرَّجِيجِ ٱلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ ٱلْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ ٱلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا . فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَىٰ حُدُودِهَا (٢) . أَنْشَأَهُمْ عَلَىٰ صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ ، أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي ٱلْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ ، وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مِمَّا ٱنْفَرَدَ بِهِ ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ «لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ ٱلْأَمَانَةِ عَلَىٰ وَحْيِهِ ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَىٰ ٱلْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ ٱلشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ ٱلْمَعُونَةِ ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ ٱلسَّكِينَةِ ،

---

(١) الزجل : رفع الصوت ، والحظائر هنا : الامكنة والقدس بضم القاف : الطهر ، والسترات جمع سترة ما يستتر به ، والسرادقات جمع سرادق وهو ما يمد حول البيت ليغطيه وكلها مجاز هنا عن المقامات المقدسة للارواح الطاهرة .

(٢) الرجيج : الزلزلة ، وسبحات بضم السين والباء أي طبقات نور عبارة عن الجلالة والعظمة ، وتردع ، تكف ، وخاسئة : مدفوعة مطرودة .

وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً إلى تَمَاجِيدِهِ (١) . وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الْآثَامِ (٢) . وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ (٣) . وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ (٤) . وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ (٥) وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ (٦) . وَلَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ (٧) . وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ ، مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ (٨) وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ وَفِي قَتَرَةِ

---

(١) الرائغ : الناكب عن الطريق ، والاخبات : التذلل والاستكانه ، وذللا : سهلة وطية ، والتماجيد : الثناء عليه بالمجد .

(٢) الموصرات : المثقلات ، والاصر : الثقل .

(٣) لم ترتحلهم : لم تركبهم ، وعقب جمع عقبة وهي النوبة والمعنى لم تؤثر فيهم .

(٤) النوازع : الشهوات ، وتروى (نوازغ) من نزغ اذا افسد .

(٥) تعترك : تزدحم ، اي لم تزدحم على يقينهم الذي عقدوه .

(٦) الاحن : جمع احنة : وهي الحقد .

(٧) لاق : التصق ، وأثناء الصدور جمع ثني وهو التضاعف .

(٨) الرين : الدنس وتقترع : تتناوب ، الدلح : الثقال

ٱلظَّلَامِ ٱلْأَبْهَمِ (١) وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ ٱلْأَرْضِ ٱلسُّفْلَى ، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ ٱلْهَوَاءِ (٢) . وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ ٱلْحُدُودِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ ، قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ (٣) وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ ٱلْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، وَقَطَعَهُمُ ٱلْإِيقَانُ بِهِ إِلَىٰ ٱلْوَلَهِ إِلَيْهِ (٤) وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ ، قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ ٱلرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ (٥) فَحَنَوْا بِطُولِ ٱلطَّاعَةِ ٱعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ . وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ ٱلرَّغْبَةِ

---

(١) الشمخ : العالية الشاهقة . وقترة الظلام ـ بالقاف ـ : سواده ، والابهم : الذي لا يهتدى فيه .

(٢) التخوم ـ بضم التاء ـ جمع تخم : منتهى الارض وتروى بالفتح على انها واحد فيكون جمعها تخم ـ بالضم ـ

(٣) ريح هفهافة : ساكنة طيبة ، واستفرغتهم : جعلتهم فارغين .

(٤) شده الوله : العشق الى درجة الولوه وهو الحيرة .

(٥) الرويه التي تطفىء حرارة العطش وسويداء القلب : محل الروح الحيواني من مضغة القلب ويعبر عنها بحبة القلب وهي هنا من باب المجاز .

إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ ، وَلاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ ٱلزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ (١) وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ ٱلْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ ، وَلاَ تَرَكَتْ لَهُمُ ٱسْتِكَانَةُ ٱلْإِجْلاَلِ (٢) نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ ، وَلَمْ تَجْرِ ٱلْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ (٣) فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ ٱلْمُنَاجَاةِ أَسَلاَتُ أَلْسِنَتِهِمْ (٤) وَلاَ مَلَكَتْهُمُ ٱلْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ ٱلْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ (٥) وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ ٱلطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ(٦) وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ ٱلتَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ.وَلاَ تَعْدُو (٧)

---

(١) لم ينفد : لم تفن ، والربق : حبل فيه عدة عرى تربط به البهم ، واحدها ربقة ـ بالفتح والكسر ـ

(٢) الاعجاب : ان يرى العامل نفسه خارجا عن حد التقصير بها ، والاستكانة : ميل للسكون من شدة الخوف ثم استعملت في الخضوع .

(٣) والدؤب : الجد في العمل مع المداومة عليه ، ولم تغض : لم تنضب .

(٤) الاسلات جمع اسلة : طرف اللسان

(٥) الهمس : الصوت الخفي ، والجؤار : رفع الصوت بالتضرع ، والمعنى : ليست لهم اشغال خارجة عن العبادة فتكون اصواتهم المرتفعة بالتضرع خافتة .

(٦) المقاوم : الصفوف واحدها مقام .

(٧) لا تعدوا من عدا عليه اذا قهره وظلمه وهو هنا استعارة .

عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلاَدَةُ ٱلْغَفَلاَتِ وَلاَ تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِـعُ الشَّهَوَاتِ (١) . قَدِ ٱتَّخَذُوا ذَا ٱلْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ ،وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْخَلْقِ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ (٢) لاَ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ ، وَلاَ يَرْجِعُ بِهِمُ ٱلاِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ (٣) إِلاَّ إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ (٤) . لَمْ تَنْقَطِـعْ أَسْبَابُ ٱلشَّفَقَةِ مِنْهُمْ ، فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ (٥) وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ ٱلْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ ٱلسَّعْيِ عَلَى ٱجْتِهَادِهِمْ (٦) . وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوِ ٱسْتَعْظَمُوا ذٰلِكَ

---

(١) العزيمة : الجد في الامر ، والبلادة ضد الذكاء ، وتنتضل استعارة من المناضلة وهي المرامات بالسهام ، او من قولهم : انتضلت الابل اذا رمت بأيديها في السير بسرعة والخدائع جمع خديعة ، والمعنى لم تسلك خدائع الشهوات طريقا في هممهم .

(٢) الفاقة : الحاجة ، ويمموه : قصدوه ، والانقطاع : الالتجاء .

(٣) الاستهتار بالعبادة : الولع بها والملازمة لها .

(٤) المواد : جمع مادة ، اصلها من مد البحر ، والمعنى انهم كلما تولعوا بطاعتهم زاد بهم البواعث اليها من الرغبة والرهبة .

(٥) الشفقة : الخوف ، وينوا ، يتأنوا .

(٦) وشيك السعي : مقاربه وهينه والمعنى ليس لهم طمع في غيره حتى يؤثروا اي يقدموا هين السعي على الاجتهاد الكامل .

لَنَسَخَ ٱلرَّجَاءَ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ (١) . وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ ٱلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ ٱلتَّقَاطُعِ ، وَلاَ تَوَلاَّهُمْ غِلُّ ٱلتَّحَاسُدِ ، وَلاَ شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ ٱلرِّيَبِ ، وَلاَ ٱقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ ٱلْهِمَمِ (٢) . فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلا عُدُولٌ ، وَلا وَنًى وَلا فُتُورٌ (٣) . وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ ٱلسَّمَوَاتِ مَوْضِعُ إِهَابٍ ، إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ (٤) يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ ٱلطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً ، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً ، .

(ومنها) في صفة الارض ودحوها على الماء : (٥)

كَبَسَ ٱلْأَرْضَ ، عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ ، وَلُجَجِ

---

(١) نسخ : أزال ، وشفقات تارات الخوف ، وهو فاعل نسخ ، والوجل الخوف .

(٢) الاستحواذ : الغلبة ، والغل : الحقد ، وشعبتهم : فرقتهم ، والريب : جمع ريبة وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقتها الحق ؛ ومصارف الريب : مذاهبها ، واخياف الهمم : مختلفاتها .

(٣) الزيغ : الميل ، والونى مصدر ونى اي تأنى .

(٤) الاهاب : الجلد : الحافد : المسرع

(٥) الدحو : البسط

بِحَارٍ زَاخِرَةٍ ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا (١) وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا ، وَتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا٢ فَخَضَعَ جِمَاحُ ٱلْمَاءِ ٱلْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا ، وَسَكَنَ هَيْجُ ٱرْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا ، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً (٣) ، إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا ، فَأَصْبَحَ بَعْدَ ٱصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً . وَفِي حَكَمَةِ ٱلذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً(٤) وَسَكَنَتِ ٱلْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَٱعْتِلَائِهِ وَشُمُوخِ أَنْفِهِ ، وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ (٥) وَكَعَمَتْهُ

---

(١) الكبس : الادخال بقوة وشدة ، والمراد به هنا التداخل ، والمور : التحرك الشديد ، ومستفحلة : هائجة ، والزاخر الممتد المرتفع ، والاواذي : جمع آذي : اعلى الموج .

(٢) تصطفق : يضرب بعضها بعضا ، والاثباج : اعالي الامواج استعارة من الثبج وهو ما بين الكاهل والظهر ، أو صدر القطاة ، وترغو : تصوت ، استعارة من رغاء البعير ، وزبدا منصوب بفعل تقديره تقذف ، والزبد : ما يعلو السيل ، والفحول : فحول الابل اذا هاجت للضراب .

(٣) جماح الماء : ارتفاعه وغليانه ، وهيج الماء : اضطرابه ، وارتماؤه : تقاذفه واضطرابه . والكلكل : الصدر وهو استعارة لما لاقى الماء من الارض ، والاستخذاء : الخضوع .

(٤) تمعكت : تمرغت ، استعارة من تمعكت الدابة بالارض اذا تمرغت والاصطخاب من الصخب وهو الصياح والجلبة ، وساجي ساكن ، والحكمة ـ بالتحريك ـ ما احاط بحنكي الفرس من لجامه .

(٥) مدحوة : مبسوطة : والبأو : التكبر والزهو ، والاعتلاء : التيه ، والشموخ التكبر ، والسمو : العلو ، والغلواء : تجاوز الحد والكلام استعارة .

عَلَى كِظَّةِ جِرْيَتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ . وَلَبِدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ (١). فَلَمَّا سَكَنَ هِيَاجُ ٱلْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا وَحَمْلِ شَوَاهِقِ ٱلْجِبَالِ ٱلشُّمَّخِ ٱلْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا فَجَرَ يَنَابِيعَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا(٢).وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا (٣) وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَذَوَاتِ ٱلشَّنَاخِيبِ ٱلشُّمِّ ، مِنْ صَيَاخِيدِهَا (٤) فَسَكَنَتْ مِنَ ٱلْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ ٱلْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا (٥) وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا (٦) ، وَرُكُوبِهَا

---

(١) كعمته : منعته استعارة من الكعام : شيء يوضع في فم البعير ليمنعه من العض او الاكل ، والكظة : الثقل الذي يعترى الاكل عند امتلاء البطن من الطعام ، وهمد : سكن ، والنزقات : الخفة والطيش ، ولبد : لصق ، والزيفان : التبختر .

(٢) الاكناف : الاطراف ، والشواهق العالية وكذلك الشمخ والبذخ جمع الشامخ والباذخ ، والعرانين جمع عرنين وهو طرف الانف الاعلى .

(٣) السهوب : جمع سهب ـ بالفتح ـ الفلاة ، والبيد جمع بيداء : الصحراء ، والاخاديد جمع أخدود وهو الشق في الارض .

(٤) الجلاميد جمع جلمود وهو الصخر ، وشناخيب : رؤوس الجبال ، والشم : العالية ، والصياخيد جمع صيخود وهو الصخرة الصلبة .

(٥) الميدان : التحرك والاضطراب ، والرسوب : النزول ، والاديم وجه الارض .

(٦) الجوبات جمع جوبة : الفرجة في الجبل وغيره ، والخياشيم جمع خيشوم وهو اقصى الانف ، والضمير في تغلغلها للجبال وفي خياشيمها للارض والكلام كله على سبيل المجاز .

أَعْنَاقَ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا (١) وَفَسَحَ بَيْنَ ٱلْجَوِّ وَبَيْنَهَا ، وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَىٰ تَمَامِ مَرَافِقِهَا (٢) ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ٱلْأَرْضِ ، ٱلَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ ٱلْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَىٰ بُلُوغِهَا (٣) حَتَّىٰ أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا (٤) ، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا ، أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِ لُمَعِهِ ، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ (٥) ، حَتَّىٰ إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ ٱلْمُزْنِ فِيهِ ، وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ ، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ

---

(١) ركوب الجبال اعناق السهول استعلاؤهـا عليها ، واعناقهـا سطوحها ، وجراثيمها ما سفل منها ، او المراد بالجراثيم أصول الشجر .

(٢) المرافق ما يتم الانتفاع به في السكنى

(٣) الارض الجرز التي لا نبات فيها لانقطاع الماء عنها ، والروابي : ما علا من الارض ، والذريعة الوسيلة .

(٤) ناشئة السحاب ما يبتدأ ظهوره ، والموات ــ بفتح الميم ــ القفر من الارض ، واللمع جمع لمعة وهي القطعة من السحاب أو غيره .

(٥) القزع : جمع قزعة محركة : هي القطعة من الغيم .

رَبَابِه (١) وَمُتَرَاكِم سَحَابِه أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدَارِكاً (٢) قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ ، تَمْرِيهِ ٱلْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ (٣) وَدَفَعَ شَآبِيبِه (٤) . فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيهَا (٥) وَبَعَاعَ مَا ٱسْتَقَلَّتْ بِهِ ، مِنَ ٱلْعِبْءِ ٱلْمَحْمُولِ عَلَيْهَا (٦) ، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ ٱلْأَرْضِ ٱلنَّبَاتَ ، وَمِنْ زُعْرِ ٱلْجِبَالِ ٱلْأَعْشَابَ (٧) ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا ، وَتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا ، وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ ، مِنْ

---

(١) تحركت لجة المزن فيه أي في المزن نفسه ، والكفف جمع كفة ــ بضم الكاف وفتحها ــ وهي الحاشية ، والمراد ما استدار به ، والوميض : الضياء واللمعان. والكنهور : ــ كسفرجل ــ العظيم من السحاب، والرباب: الغمام الابيض .

(٢) سحا : صبا ، ومتداركا : متواصلا متلاحقا ، واسف الطائر : دنا من الارض والهيدب ــ كجعفر ــ السحاب المتدلي أو ذيله .

(٣) وتمريه تتعدى الى مفعولين فيكون تمرى الجنوب السحاب درر أهاضيبه ، وتمريه من مرى الناقة اذا مسح على ضرعها للحلب ، والدرر جمع درة وهو كثرة اللبن وجريانه ، والاهاضيب جممع هضاب وهو جمع هضبة ، كضربة : المطرة

(٤) الشآبيب : جمع شؤبوب وهو رشة قوية من المطر .

(٥) البرك ما يلي الارض من صدر البعير ، والبواني : ما يلي الصدر من الاضلاع .

(٦) بعاع ــ بالفتح ــ ثقل السحاب من الماء ــ واستقلت : حملت والعبء : الحمل الثقيل .

(٧) الهوامد من الارض ما لم يكن فيه نبات ، وزعر الجبال : الموضع الذي لا نبات فيه منها مأخوذ من الزعر وهو قلة الشعر في الرأس .

نَاضِرِ أَنْوَارِهَا (١) وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلَاغاً لِلْأَنَامِ (٢) وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ ، وَخَرَقَ ٱلْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَأَقَامَ ٱلْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا ، فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، ٱخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ خِيَرَةً مِنْ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ (٣) وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ (٤) . وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ٱلتَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ ، وَٱلْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ ، فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ ٱلتَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ ، وَلِيُقِيمَ ٱلْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ

(١) تبهج : تسر وتفرح ، وتزدهي من الازدهاء افتعال من الزهو وهو المنظر الحسن ، والازاهير : النور ذو الالوان ، والريط جمع ريطه وهي الازاهير المنيرة ، وسمطت زينت بالسمط وهو الخيط الذي فيه الخرز أي العقد ، والناضر ذو النضارة اي الحسن والطراوة ، والانوار جمع نور ـ بفتح النون ـ وهو الزهر .

(٢) البلاغ : الكفاية

(٣) الجبلة : الخلقة .

(٤) اوعز اليه : تقدم اليه به

تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ ٱلْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاَتِهِ ، قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ ٱلْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ (١) . وَقَدَّرَ ٱلأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا . وَقَسَّمَهَا عَلَى ٱلضِّيقِ وَٱلسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا . وَلِيَخْتَبِرَ بِذٰلِكَ ٱلشُّكْرَ وَٱلصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا (٢) ، وَبِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا ، غُصَصَ أَتْرَاحِهَا (٣) ، وَخَلَقَ ٱلآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا ، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا ، وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا ، وَجَعَلَهُ خَالِجاً لأَشْطَانِهَا (٤) ، وَقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا عَالِمُ

(١) المقطع : النهاية التي ليست وراءها غاية .

(٢) العقابيل جمع عقبولة ــ بضم العين ــ الشدائد وبقايا المرض ، والفاقة : الفقر .

(٣) الفرج جمع فرجة وهي التفصي من الهم ، والاتراح جمع ترح وهو الحزن والغم .

(٤) الضمير في اسبابها يعود على الآجال ، والضمير في جعله يعود على الموت ، وخالجا : جاذبا ، والاشطان جمع شطن ــ بفتح الشين والطاء ــ الحبل الطويل شبه به الاعمار الطويلة ، والاقران جمع قرن ــ بفتحتين ــ حبل يجمع به بعيران ، ومرائر القرائن جمع مرير ما لطف وطال منها . والكلام من باب الاستعارة .

ٱلسِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ ٱلْمُضْمِرِينَ ، وَنَجْوَى ٱلْمُتَخَافِتِينَ ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ ٱلظُّنُونِ ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ ٱلْيَقِينِ (١) . وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ ٱلْجُفُونِ ، وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ ٱلْقُلُوبِ ، وَغَيَابَاتُ ٱلْغُيُوبِ (٢) ، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ ٱلْأَسْمَاعِ (٣) ، وَمَصَائِفِ ٱلذَّرِّ وَمَشَاتِي ٱلْهَوَامِّ (٤) وَرَجْعِ ٱلْحَنِينِ مِنَ ٱلْمُولَهَاتِ (٥) وَهَمْسِ ٱلْأَقْدَامِ (٦). وَمُنْفَسَحِ ٱلثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ ٱلْأَكْمَامِ (٧) .

---

(١) النجوى : المسارة ، والمتخافتين الذين يسرون المنطق ، والرجم الكلام الذي يلقيه قائله ولا يدري أحق هو أم باطل ، والظنون : القول بالظن ، والعزائم التي يعقد القلب عليها ، وتطمئن النفس اليها .

(٢) ومسارق ايماض الجفون : ما تسرقه الابصار حين تومض اي تلمع ، واكنان القلوب : غلفها ، وغيابات الغيوب : اعماقها .

(٣) أصغت : تسمعت ، لاستراقه : لاستماعه خفية ، ومصائخ الاسماع خروقها التي بها يسمع .

(٤) ومصائف جمع مصيف : محل الاصطياف ، والذر : صغار النمل ، ومشاتي الهوام المواضع التي تشتوبها والهوام جمع هامة ولا يقع هذا الاسم الا على المخوف من الاحناش .

(٥) المولهات جمع والهة كل من فقدت ولدها من النساء والنياق .

(٦) همس الاقدام : صوت وطئها الخفي

(٧) ومنفسح الثمرة : موضع سعتها من الاكمام جمع كم — بالكسر — وهو وعاء الطلع ، وغطاء النور ، والولائج جمع وليجة : ما يستتر به .

وَمُنْقَمَعِ ٱلْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ ٱلْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا (١) . وَمُخْتَبَإِ ٱلْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا (٢)، وَمَغْرَزِ ٱلْأَوراقِ مِنَ ٱلْأَفْنَانِ (٣)، وَمَحَطِّ ٱلْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ ٱلْأَصْلَابِ (٤)، وَنَاشِئَةِ ٱلْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا، وَدُرُورِ قَطْرِ ٱلسَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْفِي ٱلْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا (٥) وَتَعْفُو ٱلْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا (٦). وَعَوْمِ بَنَاتِ ٱلْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ

---

(١) منقمع الوحوش : موضع استتارها ، والغيران جمع غار .

(٢) مختبأ البعوض : ما تختبىء به ، والحية الاشجار جمع لحاء وهو القشر .

(٣) مغرز الاوراق : موضع غرزها فيها ، والافنان جمع فنن وهو الغصن .

(٤) الامشاج : النطف ، وسميت أمشاجا جمع مشيج ، وهو المختلط لاختلاطه بماء المرأة ودمها ، او لانه مختلط من جراثيم شتى كل منها يصلح لتكوين عضو من اعضاء البدن ، ومسارب الاصلاب : المواضع ينسرب الماء اي يسيل فيها من الصلب .

(٥) ناشئة الغيوم : أول ما ينشأ منها ، والمتلاحم منها ما يلتصق بعضه ببعض ، وسحاب درور : كثير المطر ، والمتراكم المتكاثف ، والاعاصير جمع اعصار ، ريح تثير التراب ، او ترتفع على الارض كالعمود ، وتسفى : تذري وذيولها : أطرافها .

(٦) تعفو : تمحو

ٱلرِّمَالِ (١) ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ ٱلْأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ ٱلْجِبَالِ (٢) ، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ ٱلْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ ٱلْأَوْكَارِ (٣) ، وَمَا أَوْعَبَتْهُ ٱلْأَصْدَافُ ، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبِحَارِ (٤) وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ ، أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ ، وَمَا ٱعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ ٱلدَّيَاجِيرِ ، وَسُبُحَاتُ ٱلنُّورِ ، (٥) وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ ؛ وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ (٦) ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ وَهَمَاهِمِ

---

(١) وبنات الارض الهوام والحشرات التي تعوم على الرمال اي تسبح .

(٢) والذرى جمع ذروة ــ بكسر الذال ــ : اعلى الشيء ، وشناخيب الجبال : رؤسها واحدها شنخوب .

(٣) ذوات المنطق هنا : الاطيار ، ودياجير جمع ديجور وهو الظلام

(٤) ما أوعبته ما جمعته اي اللؤلؤ ، وما حضنته ضمته اي ربته من كالعنبر ونحوه .

(٥) سدفة الليل : ظلمته ، وذر : طلع ، واعتقبت : تعاقبت ، واطباق الدياجير : اطباق الظلم أي أغطيتها ، وسبحات النور : درجاته واطواره .

(٦) رجع كل كلمة : ما ترجع به من الكلام على نفسك ، وتردده في فكرك .

كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ (١) . وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ (٢) ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ (٣) أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ (٤) ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلاَلَةٍ ، لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذٰلِكَ كُلْفَةٌ ، وَلاَ ٱعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ٱبْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ (٥) . وَلاَ ٱعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ ٱلأُمُورِ وَتَدَابِيرِ ٱلْمَخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلاَ فَتْرَةٌ (٦) . بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ ، وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ .

ٱللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ وَٱلتَّعْدَادِ ٱلْكَثِيرِ ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مُؤَمَّلٍ ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ ، ٱللَّهُمَّ

---

(١) الهماهم جمع همهمة : ترديد الصوت في الصدر ، والهامة : ذات الهمة التي تعزم على الامر .

(٢) وما عليها اي ما على الارض .

(٣) قرار نطفة : ما يستقر فيه الماء من الاماكن ، ويجوز ان يريد بالنطفة ماء الرجل .

(٤) النقاعة : نقرة يجمع فيها الدم ، والمضغة : القطعة من اللحم

(٥) السلالة : ما استل من الشيء ، وسميت النطفة سلالة لانها استلت من الفحل ، والكلفة : المشقة ، والعارضة ، ما يعرض للعامل فيمنعه من العمل .

(٦) اعتورته : عرته .

وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلاَ أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ . وَلاَ أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ ٱلْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ ٱلرِّيبَةِ (١) . وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ ٱلآدَمِيِّينَ ، وَٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْمَرْبُوبِينَ ٱلْمَخْلُوقِينَ .

ٱللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ ، مِنْ جَزَاءٍ ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ (٢) ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ ٱلرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ ٱلْمَغْفِرَةِ (٣) .

ٱللَّهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ ٱلَّذِي هُوَ لَكَ ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحَقاً لِهٰذِهِ ٱلْمَحَامِدِ وَٱلْمَمَادِحِ غَيْرَكَ ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لاَ يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاَّ فَضْلُكَ ، وَلاَ يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلاَّ مَنُّكَ وَجُودُكَ (٤) ، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا ٱلْمَقَامِ

---

(١) يعني عليه السلام بمعادن الخيبة البشر لان مادحهم ومأملهم يخيب في الاكثر ، وجعلهم مواضع الريبة ، لانه لا يوثق بهم في حال .

(٢) العارفة : المعروف

(٣) يرجوه ان يدله على الاعمال التي ترضيه وبها يستوجب ذخائر الرحمة ، وكنوز المغفرة .

(٤) الفاقة : الفقر ، وكذلك المسكنة : وينعش : يرفع ، والخلة ــ بالفتح ــ : الحاجة والمن : العطاء والنعمة ، والمنان من أسمائه جل وعلا

رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

قد كفانا الرضي أولاه الله رضوانه مؤنة البحث عن مصادر هذه الخطبة إذ ذكر أنه نقلها عن مسعدة بن صدقة العبدي عن أبي عبد الله الصادق سلام الله عليه .

ومسعدة هذا له كتب منها كتاب (خطب أمير المؤمنين عليه السلام) كما ذكرنا ذلك في أوائل هذا الكتاب تحت عنوان الكتب المؤلفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وقلنا هناك أن كتاب مسعدة هذا كان باقياً إلى زمن السيد هاشم البحراني رحمه الله المتوفى سنة (١١٠٧ أو ١١٠٩) هـ إذ نقل عنه كثيراً في تفسيره المعروف بـ (البرهان) كما نوه به في مقدمة الكتاب المذكور ثم صار في ضمائر الغيوب .

وعلى كل حال أن خطبة الأشباح هذه من خطب أمير المؤمنين المشهورة ، رواها العلماء قبل الرضي كما رأيت من نقلها عن كتاب الخطب المزبور ، وممن نقلها قبل الرضي أيضاً أحمد بن عبد ربه المالكي في (العقد الفريد) ج ٢ ص ٤٠٦ وفي طبعة لجنة التأليف والترجمة ج٤ ص١٥٢ روى أولها وذكر السبب الذي من أجله خطب أمير المؤمنين عليه السلام كما نقل الرضي، ومنهم الصدوق في (التوحيد) : ص ٣٤ باختلاف في بعض الالفاظ والفقرات مع رواية الرضي . ونقل الزمخشري في الجزء الأول من (ربيع الأبرار) في باب الملائكة كلامه عليه السلام في صفة الملائكة من قوله سلام الله عليه : « خلق سبحانه لإسكان سمواته » إلى قوله : « في قلوبهم عظماً » . وفسر غريبها ابن الأثير في مواضع عديدة من (النهاية) .

والخطبة شاهدة لنفسها لا تحتاج مع لفظها الباهر ، ومعناها الظاهر ، إلى إسناد متواتر كما قال السيد ابن طاووس [1] .

وقال ابن أبي الحديد معلقاً على الفصل المتضمن لصفة الملائكة من هذه الخطبة : «هذا موضع المثل إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل[2] إذا جاء هذا الكلام الرباني ، واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب ، وكانت نسبة الفصيح من كلامهما إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص ، ولو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة والمقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها؟ ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله ﷺ هذه المعاني الغامضة ليتهيأ لها التعبير عنها ؟

أما الجاهلية فإنها إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس ، أو حمار وحش ، أو ثور فلاة ونحو ذلك .

وأما الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة ، إما في موعظه تتضمن ذكر الموت ، أو ذم

---

(١) انظر (فرج المهموم) : ص ٥٦ .

(٢) نهر معقل منسوب الى معقل بن يسار بن عبدالله المزني وبه سمي « معقل » الميناء المعروف اليوم بالبصرة ، وقد ذكر ياقوت الحموي في « المعجم » عن الواقدي : ان عمر امر ابا موسى الاشعري ان يحفر نهرا بالبصرة ، وان يجريه على يد معقل بن يسار فنسب اليه .

وقيل بل حفره زياد في زمن معاوية فلما فرغ منه واراد فتحه بعث زياد معقل بن يسار ليحضر فتحه تبركا به لانه رجل من الصحابة فقال الناس نهر معقل .

وروي ان زيادا اعطى رجلا الف درهم ، وقال : سل عن صاحب هذا النهر من هو فان قال رجل انه نهر زياد فأعطه الالف فرجع الرجل وقال : ما لقيت احدا يقول الا نهر معقل فقال زياد (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) توفي معقل بالبصرة في ولاية عبيدالله بن زياد عليها من قبل معاوية .

الدنيا ، أو ما يتعلق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب ، فأمـا الكلام في الملائكة ، ووصفها وصورها ، وعبادتها وتسبيحها،ومعرفتها بخالقها ، وحبها له ، وولهها اليه ، وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فانه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل .

نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ، ولا مرتبة هـذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم ، وأما من عنده علم من هـذه المادة كعبد الله بن سلام [1] وأمية بن أبي الصلت[2] وغيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة ، ولا قدروا على هذه الفصاحة ، فثبت أن هذه الامور الدقيقـة في مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلي وحده ، وأقسم أن هذا الكلام إذا تأملـه اللبيب اقشعر جلده ، ورجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعــه وخلده ، وهام نحوه ، وغلب الوجد عليه ، وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً وأن يفارق هيكله صبابة ووجداً »[3].

---

(١) عبدالله بن سلام حبر من احبار اليهود بالمدينة ، ويقال انه مـن ذرية يوسف بن يعقوب عليه السلام اسلم اذ قدم النبي صلى الله عليـه وآله ، وقيل سنة ثمان وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله عبدالله ، مات سنة ٤٣ .

(٢) امية بن ابي الصلت ، قيل : اسمه عبدالله ، وكان قد قـرأ الكتب في الجاهلية ولبس المسوح تعبدا ، وحرم الخمر ، وتجنب الاوثان ، والتمس الدين طمعا في النبوة ، لانه كان قد قرأ في الكتب : ان نبيا يبعث في الحجاز من العرب ، وكان يرجو ان يكون هو فلما بعث النبي صلى الله عليه وآله حسده ، وجعل يحرض قريش بعد وقعة بدر ، ويرثي قتلاهم . له شعر كثير في توحيد الله ، واليوم الاخر ، وقصص الانبياء وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (آمن شعره وكفر قلبه) وهلك بعـد واقعة بـدر .

(٣) شرح النهج م : ٢ : ١٥٠ .

وعلق ابن أبي الحديد أيضاً على قوله عليه السلام : « عالم السر من ضمائر المضمرين » إلى قوله صلوات الله عليه: « مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله » فقال : «لو سمع النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قال علي بن العباس ابن جريج لإسماعيل بن بلبل :

قالوا : أبو الصقر من شيبان ؟ قلت لهم :
كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم أبٍ قد علا بابن ذرى شرف
كما علت برسول الله عدنان

إذ كان يفخر به على عدنان وقحطان ، بل كان يقر به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن ، ويقول له : إنه لم يعف ما شيدت من معالم التوحيد ، بل أخرج الله تعالى من ظهري ولداً ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت في جاهلية النبط ، بل لو سمع هذا الكلام ارسطوطاليس القائل بأن الله لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ،ووقف شعره، واضطرب فكره . ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة ، والعظمة والفخامة ، والمتانة والجزالة ، مع ما قد أُشرب من الحلاوة والطراوة ، واللطف والسلاسة ؟ لا أرى كلاماً يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه ، فان هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة ، وجدول من ذلك البحر ، وجذوة من تلك النار ، وكأنه شرح قوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) [١] [٢] .

---

(١) الانعام : ٥٩ .

(٢) شرح النهج م : ٢ : ١٦٧

٩٠ - ومن خطبة له عليه السلام

لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه

دَعُونِي وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لاَ تَقُومُ لَهُ ٱلْقُلُوبُ ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ (١) وَإِنَّ ٱلْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَٱلْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ (٢) . وَٱعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ وَعَتْبِ ٱلْعَاتِبِ ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ ، وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً .

هذا كلام قاله عليه السلام في حوار جرى بينه وبين من أرادوه على البيعة ، جمعه الرضي وساقه بمساق واحد ، وقد رواه الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ٣٥ بتفاوت يسير جداً .

وكلام هذا نسجه لا سبيل إلى إنكاره ولذا ترى الناس اختلفوا في توجيهه بعد أن لم يسعهم رده .

---

(١) لا تقوم له القلوب : لا تطيق احتماله ، ولا تثبت له العقول : لا تقف على رأي واحد .

(٢) اغامت : غطيت بالغيم ، والمحجة : الجادة المستقيمة ، وتنكرت لم تعرف .

فالمعتزلة حملوا الكلام على ظاهره ، واحتجوا بـه أنـه لم يكن منصوصاً عليه بالإمامة وإلا لما جاز له أن يقول : دعوني والتمسوا غيري ، ولا أن يقول : «ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم .. » الخ [١] .

واحتج بهذا الكلام علماء الجمهور على تصويب أبي بكر (رض) في قوله : « أقيلوني فلست بخيركم » وقالوا . إنما قال : أقيـلوني ، ليثور ما في نفوس الناس من بيعته ، ويخبر ما عندهم من ولايته فيعلم مريدهم وكارههم ، ومحبهم ومبغضهم ، قالوا : وقد جـرى مثل ذلـك لعلي فانه قال للناس « دعوني والتمسوا غيري » الخ [٢].

وردّ عليهم الإمامية بقولهم : الفرق بين الموضعين ظاهر لأن عليـاً عليه السلام لم يقل : إني لا أصلح ولكنه كره الفتنة وأبو بكر قال كلاماً معناه إني لا أصلح لها لقوله : لست بخيركم .. الخ [٣] .

وحمل بعضهم قول أمير المؤمنين عليه السلام : « دعوني والتمسوا غيري » على طريق الضجر منهم ، والتبرم بهم ، والتسخط لأفعالهم، لأنهم كانوا عدلوا عنه من قبل واختاروا عليه ، فلما طلبوه بعـد أجـابهم جواب المتسخط العاتب [٤] .

وقال بعضهم : إنه أخرجه مخرج التهكم والسخرية أي : أنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً فيما تعتقدونه كما قال سبحانه : (ذق إنك أنت العزيز الكريم)[٥] أي تزعم لذلك وتعتقده [٦] .

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م : ٢ ص ١٧٠
(٢) المصدر السابق م : ١ ص ٥٦ .
(٣) و (٤) انظر شرح ابـن ابي الحديد على (النهج) م : ٢ ١٧٠
(٥) الدخان : ٤٩
(٦) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م : ٢ ص ١٧١ .

وقال بعضهم : إنه طلبوا منه البيعة أن يقسم عليهم بيوت الأموال حسب رغباتهم ، فاستعفاهم وقال : دعوني والتمسوا غيري ممن يسير بهم تلك السيرة ويوافقهم على ما أرادوا .

وأول بعضهم قوله عليه السلام : « فأنا لكم وزيراً » الخ . فقال : أنا لكم وزيراً عن رسول الله ﷺ أفتي لكم في شريعته وأحكامه خير لكم مني أميراً محجوراً عليه مدبراً بتدبيركم ..[1] .

ولسنا بصدد بيان معنى هذا الكلام وإنما ذكرنا هذه الوجوه ليعلم أنه لو كان بامكان بعضهم ردّ هذا الكلام لردّوه ، ولكنهم لم يجدوا بداً من إنكاره وتضعيفه وانه من كلامه الذي لا ريب فيه .

٩١ - ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ ٱلْفِتْنَةِ (٢) ، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا

---

(١) انظر المصدر السابق م : ٢ ص ١٧٠ و ١٧١

(٢) فقات عين الفتنة : بخقتها . قال بعضهم في تبرير قتال علي عليه السلام لاهل القبلة « لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل ، وكسر السيوف لما اقيم حق ، ولا ابطل باطل ، ولوجد أهل الفسق سبيلا لارتكاب المحرمات ، من غصب الاموال وسفك الدماء ، وهتك الحريم ، بان يحاربوهم ، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بان يقولوا : هذه فتنة وقد نهينا عن الدخول فيها ، وهذا مخالف للامر بالاخذ على ايدي السفهاء .

وَٱشْتَدَّ كَلَبُهَا (١) . فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلسَّاعَةِ ، وَلاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مَائَةً وَتُضِلُّ مَائَةً إِلاَّ أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا ، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا ، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا (٢) ، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً ، وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً ، وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ ٱلأُمُورِ ، وَحَوَازِبُ ٱلْخُطُوبِ (٣) لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلسَّائِلِينَ ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَسْؤُولِينَ ، وَذٰلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ ، وَضَاقَتْ (٤) ٱلدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ ٱلْبَلاَءِ عَلَيْكُمْ ،

---

(١) الغيهب : الظلام ، وكنى عن العموم والشمول بالتموج . واشتد كلبها اي شرها واذاها ، شبهه بداء الكلب ــ بالتحريك ــ ما اصيب به احد الا جن ومات .

(٢) الفئة : الطائفة ، والناعق : الداعي اليها من نعيق الراعي بغنمه وهو صوته والمناخ ــ بضم الميم ــ وبفتحها : محط الركاب، والركاب الابل لا واحد لها من لفظها ، والرحال الابل ايضا واحدتها راحلة .

(٣) الكرائة جمع كريهة ، والحوازب جمع حازب وهو الامر الشديد

(٤) قلصت ــ بتشديد اللام ــ تمادت واستمرت ــ وبتخفيفها ــ وثبت

حَتَّى يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ ٱلْأَبْرَارِ مِنْكُمْ ، إِنَّ ٱلْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ (١) . يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحُمْنَ حَوْمَ ٱلرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً ، وَيُخْطِئْنَ بَلَداً ، أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ ٱلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا(٢) ، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا ، وَأَصَابَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وَأَخْطَأَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا .

وَأَيْمُ ٱللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ ٱلضَّرُوسِ ، تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا ، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا (٣) . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونُ ٱنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَٱنْتِصَارِ ٱلْعَبْدِ مِنْ

---

(١) شبهت : التبس الحق بالباطل ، ونبهت : انكشف حالها ويفسر العبارة الكلام بعدهـا .

(٢) الخطة ــ بالضم ــ الامــر ، ويخص بالبلاء البصير فيهــا يعنى اهل البيت واتباعهــم .

(٣) الناب : الناقة ، والضروس : السيئة الخلق ، وتعذم : تعض ، وتزبن : تضرب ، والدر اللبــن .

رَبِّهِ ، وَٱلصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وَقَطْعَاءَ جَاهِلِيَّةً (١) ، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ، وَلَا عَلَمٌ يُرَى ، نَحْنُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ(٢) وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا ٱللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ ٱلْأَدِيمِ (٣) ، بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً ، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ (٤) ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا ٱلسَّيْفَ ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا ٱلْخَوْفَ (٥) ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ

---

(١) التابع من متبوعه ، وشوهاء : قبيحة ومخشية : مخوفة . وقطعاء : مقطوعة اليد ، وتروى وقطعا جاهلية اي متراكمة كقطع السحاب ، وجعلها جاهلية لانها كافعال الجاهلية .

(٢) بمنجاة : بمعزل ، والنجاة والنجوة : المكان المرتفع ، ولسنا فيها بدعاة : اي لسنا من الداعين اليها ، وأهل البيت منصوبة على الاختصاص.

(٣) الاديم : الجلد ، اي كما يسلخ الجلد عن اللحم .

(٤) يسومهم : يوليهم ، والخسف الذل ، والعنف ــ بضم العين ــ ضد الرفق ، وكأس مصبرة ممزوجة بالصبر ، ويجوز ان المراد مملوءة الى اصبارها اي جوانبها .

(٥) يحلسهم : يلبسهم ، والحلس : كساء رقيق يكون تحت البرذعة اي الرحل .

جَزُورٍ (١) لَأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ ٱلْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي .

قال ابن أبي الحديد : هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة ، وهي : متداولة منقولة مستفيضة ، خطب بها علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان ، وفيها ألفاظ لم يروها الرضي رحمه الله من ذلك قوله عليه السلام : «ولم يكن ليجترىء عليها غيري ولو لم أكُ فيكم ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان ، وأيم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم فيما قضى الله على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم ، مبصراً لضلالتهم ، عارفاً للهدى الذي نحن عليه ، سلوني قبل أن تفقدوني فإني ميت عن قريب ، أو مقتول ، بل قتلاً ، ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم هذا » ـ وضرب بيده إلى لحيته ـ (ومنها في ذكر بني امية) : « يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً إلى أن يضع الله عز وجل جبروتها ، ويكسر عمدها ، وينزع أوتادها .. » الخ [٢] .

ثم أضف إلى شهادة ابن أبي الحديد هذه من كون الخطبة متداولة مشهورة وما نقله من الزيادة التي لم يذكرها الرضي أن ابن واضح ذكر في تاريخه : ج٢ ص ١٨٢ طرفاً من هذه الخطبة ، وأن أبا نعيم ذكر شيئاً منها في (حلية الأولياء) ج١ ص٦٨ . وأن المجلسي نقلها عن كتاب (الغارات) لإبراهيم بن هلال الثقفي . وابن الأثير فسر غريبها في «نهايته : ٣٧٧/١» قال في مادة

---

(١) الجزور من الابل يقع على الذكر والانثى ، وجزرها : نحرها . وقد ذكر ارباب السير ان مروان بن محمد قال لما ضويق بجيوش بني العباس قال : « وددت ان علي بن ابي طالب تحت هذه الراية » لما علمه من صفحه وحلمه وعفوه وكرمه سلام الله عليه .

(٢) الشرح م : ٢ ص ١٧٩ .

(حزب) ومنه حديث علي : « نزلت كرائه الامور ، وحزائب الخطوب » جمع حازب وهو الأمر الشديد . وفي مادة (عذم) ج٣/٢٠٠ قال : ومنه حديث علي : « كالناب الضروس .. » الخ .

وأما قوله عليه السلام في هذه الخطبة وفي غيرها : (ألا فاسألوني قبل أن تفقدوني) فهو من متواتر القول عنه .

قال ابن أبي الحديد : قد أجمع الناس كلهم أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء غير علي بن أبي طالب عليه السلام [1] .

وقد وهم ابن أبي الحديد بهذا القول فانّ جماعة قد تورطوا بهذه الكلمة فانقطعوا ، وبدا عجزهم لما سئلوا أمثال : إبراهيم بن هشام المخزومي ، (تاريخ ابن عساكر : م٢/٣٠٥) ومقاتل بن سليمان (تاريخ بغداد : ج ١٣/١٦٣) وقتادة بن دعامة (الانتقاء ص١٥٦) ومحمد بن ادريس الشافعي (طبقات الحفاظ للذهبي : ج٢/٢٨٨) وقد نقل ابن أبي الحديد نفسه نادرة لطيفة في هذا الشأن وقعت لبعض الوعاظ في أيام الناصر لدين الله مع أحمد بن عبد العزيز الكزي أذكرها هنا للمتعة ، وقد لا نخرج من الصدد بنقلها .

قال : حدثني من أثق به من أهل العلم حديثاً — وإن كان فيه بعض الكلمات العامية إلا أنه يتضمن ظرفاً ولطفاً ويتضمن أدباً - قال : كان ببغداد في صدر أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بالله واعظ مشهور بالحذق ، ومعرفة الحديث والرجال ، وكان يجتمع اليه وتحت منبره خلق عظيم من عوامّ بغداد ومن فضلائها أيضاً ، وكان مشتهراً بذم أهل الكلام وخصوصاً المعتزلة وأهل النظر ، على قاعدة الحشوية ، ومبغضي أرباب العلوم العقلية ، وكان أيضاً منحرفاً عن الشيعة برضي العامة بالميل عليهم ، فاتفق قوم من

---

(١) شرح النهج م ٣ ص ٢١٧ .

رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يبكّته[1]، ويسأله تحت منبره ويخجله ويفضحه بين الناس في المجلس، وهذه عادة الوعاظ يقوم اليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها، وسألوا عمن ينتدب لهذا، فاشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبد العزيز الكزّي، كان له لسن، ويشتغل بشيء يسير من كلام المعتزلة، ويتشيّع وعنده قحة وقد شدا طرفاً[2] من الأدب – وقد رأيت أنا هذا الشخص في آخر عمره وهو يومئذ شيخ، والناس يختلفون إليه في تعبير الرؤيا – فأحضروه، وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم، وجلس ذلك الواعظ في يومه الذي جرت فيه عادته في الجلوس فيه واجتمع الناس عنده على طبقاتهم، حتى امتلأت الدنيا بهم، وتكلم على عادته فأطال، فلما مرّ في ذكر صفات الباري سبحانه في أثناء الوعظ، قام إليه الكزّي فسأله أسئلة عقلية على منهاج كلام المتكلمين من المعتزلة، فلم يكن للواعظ عنها جواب نظري، وإنما دفعه بالخطابة والجدل، وسجع الألفاظ، وتردد الكلام بينهما طويلاً، وقال الواعظ في آخر الكلام: أعين المعتزلة حُول، وأصواتي في مسامعهم طبول، وكلامي في أفئدتهم نصول، يا من بالاعتزال يصول، ويحك كم تحوم وتجول؟ حول من لا تدركه العقول، كم أقول كم أقول، خلوا هذا الفضول، فارتج المجلس وصرخ الناس، وعلت الأصوات، وطاب الواعظ وطرب، وخرج من هذا الفصل الى غيره فشطح شطحة الصوفية، وقال: سلوني قبل أن تفقدوني. وكررها، فقام إليه الكزّي فقال: يا سيدي ما سمعنا أنه قال هذه الكلمة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، وتمام الخبر معلوم، وأراد الكزي بتمام الخبر قوله عليه السلام: «لا يقولها بعدي إلا مدّع» فقال الواعظ وهو في نشوة طربه، وأراد إظهار فضله ومعرفته برجال الحديث والرواة: من علي بن أبي طالب أهو علي بن أبي طالب بن المبارك النيسابوري؟ أم علي بن أبي طالب بن

(١) بكته بالحجة تبكيتا: غلبه.
(٢) اي اخذ بطرف منه.

إسحق المروزي ؟ أم علي بن أبي طالب بن عثمان القيرواني ؟أم علي بن أبي طالب بن سليمان الرازي ؟ وعد سبعة أو ثمانية من أصحاب الحديث كلهم علي ابن أبي طالب ، فقام الكرّزي ، وقام من يمين المجلس آخر ، ومن يسار المجلس ثالث انتدبوا له ، وبذلوا أنفسهم للحمية ووطنوها على القتل ، فقال الكرّزي: أشا يا سيدي فلان الدين ، أشا صاحب القول هو علي بن أبي طالب عليه السلام زوج فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام ، وإن كنت ما عرفته بعد بعينه فهو الشخص الذي لما آخى رسول الله ﷺ بين الأتباع والأذناب آخى بينه وبين نفسه ، وأسجل على أنه نظيره ومماثله ، فهل نقل في جهازكم أنتم من هذا شيء ؟ أو نبت تحت حبكم من هذا شيء ؟ فأراد الواعظ أن يكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الأيمن ، وقال : يا سيدي فلان الدين ، محمد بن عبد الله كثير في الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له رب العزة : (ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى) (1) وكذلك علي بن أبي طالب كثير في الأسماء ولكن ليس فيهم من قال له صاحب الشريعة « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن ميّزوا في الخلائق

فالتفت إليه الواعظ ليكلمه فصاح عليه القائم من الجانب الايسر ، وقال:

يا سيدي فلان الدين ، حقك تجهله ، أنت معذور في كونك لا تعرفه :

وإذا خفيت على الغبي فعاذر أن لا تراني مقلة عمياء ...

فاضطرب المجلس ، وماج كما يموج البحر ، وافتتن الناس ، وتواثبت العامة بعضها الى بعض ، وتكشّفت الرؤس ، ومزقت الثياب ، ونزل الواعظ ، واحتُمل حتى ادخل داراً اغلق عليه بابها، وحضر أعوان السلطان فسكّنوا

---

(1) النجم ٢ و ٣ و ٤ .

الفتنة ، وصرفوا الناس إلى منازهم وأشغالهم ، وأنفذ الناصر لدين الله في آخر نهار ذلك اليوم فأخذ أحمد بن عبدالعزيز الكزي والرجلين اللذين قاما معه فحبسهم أياماً لتطفأ نائرة الفتنة ، ثم أطلقهم (١) .

أما من روى قوله عليه السلام : « سلوني قبل أن تفقدوني » فقد رواه جماعة من الحفاظ ، ورواة الحديث ، منهم :

١ — الحاكم في (المستدرك) ج٢ ص٤٦٦ .

٢ — ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) ج١ ص١١٤ .

٣ — ابن حجر في (الاصابة) ج٢ ص٥٠٩ .

٤ — المحب الطبري في (الرياض النضرة) ص ١٩٨ .

٥ — السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص١٢٤ .

٦ — السيد أحمد زيني دحلان في (الفتوحات المكية) ج٢ : ص ٣٣٧ .

٧ — القندوزي في (ينابيع المودة) ص٢٢٤ .

٩٢ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَتَبَارَكَ ٱللهُ ٱلَّذي لاَ يَبْلُغُهُ بُعْدُ ٱلْهِمَمِ ، وَلاَ يَنَالُهُ حَدْسُ ٱلْفِطَنِ٢ . ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذي لاَ غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي . وَلاَ آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي .

---

(١) شرح النهج : ٣ ص ٢١٧

(٢) الهمم : الافكار والانظار ، والحدس : الظن والتخمين ، والفطن جمع فطنة وهي الفهم .

(مِنْهَا في وصف الأَنْبِياءِ) :

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ . تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ ٱلْأَصْلَابِ١ إِلَى مُطَهَّرَاتِ ٱلْأَرْحَامِ . كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ . حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً٢ ، وَأَعَزِّ ٱلْأَرُومَاتِ مَغْرِساً٣ . مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ ، وَٱنْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ . عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ ٱلشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ٤ . فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى .

---

(١) تناسختهم : تناقلتهم ، ويروى (تناسلتهم)

(٢) المنبت ــ كمجلس ــ : موضع النبات ينبت فيه ، والارومات جمع أرومة : الاصل ، والمغرس كمنبت : موضع الغرس .

(٣) صدع : شق ، وانتخب : اختار ، وعترته : نسله واهله الادنون، والاسرة ــ بالضم ــ الرهط .

(٤) الحرم يجوز ان يعني به مكة ، ويجوز ان يعني به العز والمنعة ، وبسقت : طالت ، وثمرها لا ينال : اي لا يقدر احد ان يثمر مثله ولا يستطيع قوم مباراتهم ، وبلوغ مساعيهم ومآثرهم .

سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ. وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ . سِيرَتُهُ ٱلْقَصْدُ ، وَسُنَّتُهُ ٱلرُّشْدُ . وَكَلَامُهُ ٱلْفَصْلُ ١. وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ ، أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَهَفْوَةٍ عَنِ ٱلْعَمَلِ ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٢ .

اعْمَلُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ ـ عَلَىٰ أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ ، فَٱلطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ ٣ . وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَىٰ مَهَلٍ وَفَرَاغٍ ، وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ٤ ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَٱلتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ ، وَٱلْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ .

---

(١) القصد : الاعتدال ، والفصل : الفارق بين الحق والباطل .

(٢) الفترة ـ هنا ـ الزمان الفاصل بين الرسولين ، والهفوة : الزلة، والغباوة : قلة الفطنـــة .

(٣) الاعلام : المنار ، وطريق نهج : واضح ، ودار السلام : الجنة .

(٤) مستعتب ـ بفتح التائين ـ : طلب العتبى اي طلب الرضا مـــن الله تعالى ، و الصحف منشورة ، فيه اشارة الى الحديث الشريف « اذا مات ابن آدم جف المداد ، وطويت الصحيفة فلا عمـــل يصعد ، ولا رزق ينـــزل » .

ما نقله الرضي رحمه الله في هذا الموضع مأخوذ من خطبــة له عليه السلام مشهورة أولها :

« الحمد لله الواحد الأحد الصمد ، المتفرد الذي لا من شيء كان ، ولا من شيء خلق ما كان ، قدرة بان بها من الأشياء ، وبانت الأشياء منه ، فليست له صفة تنال ، ولا حد يضرب له فيه الأمثال [1] ، كلّ دون صفاته تحبير اللغات ، وضل هناك تصاريف الصفات [2] ، وحار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير [3] ، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير ، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب تاهت في أدانيها طامحات العقول في لطيفات الامور [4] ، فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم ... » الخ .

وقال الكليني في (الكافي) ج١/١٣٤ :عن هذه الخطبة بعد أن أخذ غرضه منها في (كتاب التوحيد) : « وهذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام حتى لقد ابتذلتها العامة » يعني أنها اشتهرت بينهم فكأنها صارت مبتذلة .

وحدد الصدوق الزمان الذي خطب فيه عليه السلام بها إذ نقل أولها بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام « أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بهذه الخطبة لما استنهض الناس لحرب معاوية في المرة الثانية [5] .

---

(١) بان : اي افترق ، والامثال جمع مثل ـ بكسر الميم ـ اي الشكل

(٢) كلّ : اي عجز ووهن دون الوصول اليها ، والتحبير : التزيين والتنميق ، وضل هناك تصاريف الصفات : اي لم يهتد اليه وصف الواصفين بأنحاء تصاريفهم الصفات .

(٣) ملكوت : فعلوت من الملك وقد يخص بعالم الغيب ، وعالم المجردات ، كما يخص الملك بعالم الشهادة والماديات .

(٤) دون غيبه : اي قبل الوصول الى غيبه ، والضمير في ادانيها راجع الى الحجب ، والمراد بطامحات العقول : العقول المرتفعة : اي الكبيرة .

(٥) التوحيد : ص ٢٠

ورواها ابن عبد ربه المالكي في (العقد الفريد) ج٤/٧٤ بتفاوت مع رواية الرضى تحت عنوان « خطبته – يعني علياً عليه السلام – الغرّاء » . وقد أوضحنا فيما تقدم أنه واهم في تسميته هذه الخطبة بـ « الغراء » .

ويلاحظ أن رواية (العقد) خلت من ذكر أهل البيت في الخطبة فلعل يداً أمينة ! حذفت ذلك ، كما حذفت الخطبة الشقشقية من (العقد) وقد أثبتنا أنها كانت مثبتة فيه عند الكلام على مصادر الخطبة الشقشقية .

وكيف كان فكل من ذكرنا قد تقدموا على الرضى ولا يضر الاختلاف بين رواياتهم .

٩٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ . وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ . قَدِ ٱسْتَهْوَتْهُمُ ٱلْأَهْوَاءُ ، وَٱسْتَزَلَّتْهُمُ ٱلْكِبْرِيَاءُ ، وَٱسْتَخَفَّتْهُمُ ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْجَهْلَاءُ . حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ(١) ، وَبَلَاءٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ . فَبَالَغَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ٱلنَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ .

قال ابن أبي الحديد : « حاطبون في فتنة جمع حاطب ، ويقال لمن يجمع بين الصواب والخطأ أو يتكلم بالغث والسمين حاطب ليل لأنه لا يبصر بما

---

(١) استهوتهم : دعتهم الى انفسها ، واستزلتهم ادت بهم الى الزلل ، واستخفتهم : طيشتهم ، والجاهلية : حالة العرب قبل البعثة ، والجهلاء : وصف مبالغة للجهل ، والزلزال : الاضطراب .

يجمع في حبله ويروى : خابطون »[1] . وفي نقله لاختلاف الرواية دليل على أنه قرأها في غير (نهج البلاغة) لأن الرضي لم يشر إلى ذلك .

٩٤ ـ ومن خطبة له عليه السلام

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلْأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ . وَٱلْآخِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ . وَٱلظَّاهِرِ فَلاَ شَيْءَ فَوْقَهُ . وَٱلْبَاطِنِ فَلاَ شَيْءَ دُونَهُ

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ الرَّسُولِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ . وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ . فِي مَعَادِنِ ٱلْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ ٱلسَّلاَمَةِ ٢ . قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ ٱلْأَبْرَارِ ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ ٱلْأَبْصَارِ ٣. دَفَنَ بِهِ ٱلضَّغَائِنَ ، وَأَطْفَأَ بِهِ ٱلثَّوَائِرَ٤. أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً٥. أَعَزَّ بِهِ ٱلذِّلَّةَ ، وَأَذَلَّ بِهِ ٱلْعِزَّةَ . كَلاَمُهُ بَيَانٌ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ٦ .

---

(١) خابطون من الخبط وهو الخلط ، ومنه يقال : خبط عشواء ، وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط اذا مشت : لا تتوقى شيئا .

(٢) المماهد جمع ممهد : ما يمهد اي يبسط فيه الفراش ونحوه ، ويعنى بالسلامة البراءة من العيوب .

(٣) الازمة ـ كائمة ـ جمع زمام ، وانثناء الازمة اليه كناية عن تحولها نحـوه .

(٤) الضغائن : الاحقاد ، والثوائر جمع ثائرة وهي العداوة .

(٥) الاقران : جمع قرين .

(٦) اي ان صمته لا يخلو من فائدة فكأنه كلام

سيأتي الكلام عن هذا الفصل في خاتمة الكتاب إن شاء الله تعالى .

٩٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَئِنْ أَمْهَلَ ٱلظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ . وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَىٰ مَجَازِ طَرِيقِهِ . وَبِمَوْضِعِ ٱلشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ١. أَمَا وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلٰكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَىٰ بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي . وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ ٱلْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا ، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي ، اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا٢ ، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ، وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا ، أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ٣ ، وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ ؟ أَتْلُو عَلَيْكُمُ ٱلْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا ، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ ٱلْبَالِغَةِ

---

(١) المرصاد : الطريق : ومجاز طريقه : مسلكه ، والشجا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه ، ومساغ الريق : ممره من الحلق ، والكلام تمثيل لقرب السطوة الالهية من الظالم .

(٢) الاستنفار : طلب الخروج الى الحرب .

(٣) شهود جمع شاهد : اي الحاضر ، وغياب جمع غائب .

فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ ٱلْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا١ ، تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ ، أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً ، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً ، كَظَهْرِ الحَنِيَّةِ٢ ، عَجَزَ ٱلْمُقَوِّمُ ، وَأَعْضَلَ ٱلْمُقَوَّمُ ٣ .

أَيُّهَا ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، ٱلْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، ٱلْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ ٱللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ ، وَصَاحِبُ أَهْلِ ٱلشَّامِ يَعْصِي ٱللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ ، لَوَدِدْتُ وَٱللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ ٱلدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ ، وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ .

يَا أَهْلَ ٱلْكُوفَةِ مُنِيتُ بِكُمْ بِثَلَاثٍ وَٱثْنَتَيْنِ : صُمٌّ

---

(١) سبأ ابو عرب اليمن ، قيل : كان له عشرة بنين جعل منهم ستة يمينا له ، واربعة شمالا تشبيها لهم باليدين ، وسميت ذراريهم بالايدي ثم تفرقوا اشد التفرق بعد خراب سد مارب . مثل يضرب للمتفرقين .

(٢) الحنية : القوس .

(٣) اعضل : أعيا واستصعب .

ذَوُو أَسْمَاعٍ ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلاَمٍ ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ ، لاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلْبَلاَءِ[1] ، تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ[2] ، يَا أَشْبَاهَ ٱلْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَٱللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ[3] أَنْ لَوْ حَمِسَ ٱلْوَغَى وَحَمِيَ ٱلضِّرَابُ وَقَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا[4] ، وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي ، وَإِنِّي لَعَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً[5]. ٱنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ[6] ،

---

(١) هذه وما قبلها الثنتان وما قبلهما الثلاث وانما لم يقل : بخمس لان الثلاث ايجابية والاثنتين سلبية ففرق بين الاثبات والنفي وكم في كلامه عليه السلام من هذا القبيل . ومنيت : ابتليت .

(٢) تربت ايديكم : دعاء عليهم بان لا يصيبوا خيرا ماخوذ من ترب الرجل اذا افتقر حتى يلتصق بالتراب .

(٣) اخال بالكسر : اظن وتروى « اخالكم » .

(٤) حمس ــ بكسر الميم ــ اشتد وعظم ، والوغى في الاصل الجلبة والاصوات ، وسميت الحرب بذلك لما فيها من ذلك ، وانفراج المراة عن قبلها أي عند الولادة ، وفيه كناية عن العجز والاستكانة .

(٥) اللقط : أخذ الشيء من الارض .

(٦) السمت : الطريق ، والمراد به الهدى والاقتفاء .

وَٱتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا[1] ، وَإِنْ نَهَضُوا فَٱنْهَضُوا ، وَلاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا . لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً[2] ، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ[3] ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ ٱلْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ المِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ[4] ، إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ[5] يَوْمَ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفِ خَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ ، وَرَجَاءَ الثَّوَابِ .

---

(١) لبد : أي أقام والمراد ان قعدوا فاقعدوا وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله قال في الحسنين عليهما السلام « انهما امامان قاما او قعدا » .

(٢) شعثا : جمع اشعث وهو المغبر الرأس كناية قن الزهد لا الدرن لان « النظافة من الايمان » .

(٣) المراوحة بين العملين : أن يعمل هذا مرة وهذا مرة .

(٤) ركب جمع ركبة : موصل الساق من الرجل بالفخذ ، وانما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة ، والجيوب جمع جيب وهو القميص .

(٥) مادوا : اضطربوا وارتعدوا .

جميع ما ذكر الرضي هنا منقول من خطبة له عليه السلام طويلة رويت متفرقة في مصادر عديدة قبل « النهج » وبعده نذكر منها

١ – كتاب سليم بن قيس الهلالي : ص ١١٠ .

٢ – الكافي : ج٢ ص ٢٣٦ .

٣ – عيون الأخبار لابن قتيبة : ج٢ ص٣٠١ .

٤ – حلية الأولياء لأبي نعيم : ج١ ص٧٦ .

٥ – الارشاد للمفيد : ١٦١ .

٦ – المجالس للمفيد : ص ١٠٥ .

٧ – التذكرة للسبط : ص١٣٧ .

٨ – تاريخ دمشق لابن عساكر بترجمة علي عليه السلام .

وعند المقارنة بين روايتي الهلالي والمفيد وبين رواية الرضي ان ما نقله الرضي هنا وما مر برقم (٣٤ :خطب) وهو قوله عليه السلام : « أف لكم لقد سئمت عتابكم » من خطبة واحدة ، وقد سبق منا القول في مصادر المنقول هناك وفيهم من تقدم على الشريف الرضي كالطبري وابن قتيبة ونصر ابن مزاحم ، وأنه عليه السلام خطب بها لما كره القوم المسيرة الى الشام عقيب واقعة النهروان .

٩٦ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَٱللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا لله مُحَرَّماً إلاَّ ٱسْتَحَلُّوهُ(١) ، وَلاَ عَقْداً إلاَّ حَلُّوهُ(١). وَحَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ

(١) استحلال المحرم : استباحته .

وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ ، وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ١ وَحَتَّى يَقُومَ ٱلْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ . وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ ٱلْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ . إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ ٢ . وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنّاً٣ . فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللهُ بِعَافِيَةٍ فَٱقْبَلُوا . وَإِنِ ٱبْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا . فَإِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

رواه ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) : ج١ ص١٥١ ، ويظهر من روايته أنه عليه السلام قال هذا الكلام بعد الكلام الذي يأتي برقم (١٢٣) والذي قاله لما عوتب على التسوية في العطاء .

وقال جماعة من شراح (النهج) كابن أبي الحديد وكمال الدين البحراني والإمام محمد عبده : أنه إشارة إلى بني امية والظاهر ثبوت ذلك عندهم من وجه آخر .

---

(١) بيوت المدر : البيوت المبنية في القرى وبيوت الوبر : ما يتخذ في البادية من وبر الابل ، نبا به منزله اذا ضره ولم يوافقه ،ورعيهم: سياستهم .

(٢) لان العبد الضعيف لا يستطيع ان ينتصف من سيده المتعسف باكثر من اغتيابه .

(٣) لان من احسن الظن بالله تعالى وتوكل عليه ابتعد عنهم فيكونون عليه اشد واقوي طلبا وفي ذلك ما فيه العناء .

٩٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا كَانَ ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَىٰ مَا يَكُونُ ، وَنَسْأَلُهُ ٱلْمُعَافَاةَ فِي ٱلْأَدْيَانِ ، كَمَا نَسْأَلُهُ ٱلْمُعَافَاةَ فِي ٱلْأَبْدَانِ .

عِبَادَ ٱللَّهِ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلتَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا ، وَٱلْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا ، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَأَمُّوا عَلَماً١ فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ ، وَكَمْ عَسَى ٱلْمُجْرِي إِلَى ٱلْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا٢ حَتَّى يَبْلُغَهَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ٣ فِي ٱلدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا ، فَلَا تَنَافَسُوا٤ فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا ، وَلَا

---

(١) السفر ــ بفتح فسكون ــ : جماعة المسافرين ، وأموا : قصدوا ، والعلم : الجبل او المنار في الطرق يهتدى به .

(٢) يقال : أجرى فلان فرسه الى الغاية اذا ارسلها ثم نقل ذلك الى كل من قصد بكلامه معنى ، او بفعله غرضا .

(٣) الحثيث : السريع ، ويحدوه : يسوقه .

(٤) المنافسة : المحاسدة ، ونفست عليه بكذا اي ضننت .

تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا ١ ، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى ٱنْقِطَاعٍ ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ٢ ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَاءٍ ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَىٰ فَنَاءٍ ، أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ ٱلْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ٣ وَفِي آبَائِكُمُ ٱلْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ، أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ، وَإِلَى ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لاَ يَبْقُونَ ، أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى ، فَمَيِّتٌ يُبْكَى ، وَآخَرُ يُعَزَّى ، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى ، وَعَائِدٌ يَعُودُ ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ٤ ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ ، وَعَلَى أَثَرِ ٱلْمَاضِي مَا يَمْضِي ٱلْبَاقِي .

أَلاَ فَاذْكُرُوا هَادِمَ ٱللَّذَّاتِ ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَوَاتِ ،

---

(١) البؤس : الشدة .

(٢) نفاد : اي فناء

(٣) مزدجر : مصدر ميمي من ازدجر ، ومعناه الكف والارنداع .

(٤) جاد بنفسه : اذا قارب ان يلفظ انفاسه الاخيرة كأنه يسخو بها ويسلمها الى خالقها .

وَقَاطِعَ ٱلْأُمْنِيَّاتِ ، عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ(١) . وَٱسْتَعِينُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ ، وَمَا لَا يُحْصِي مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ . .

هذه الخطبة رواها النوري بتفاوت عما هنا في « مستدرك الوسائل » : ١ ص ٤١١ عن زيد بن وهب وقد تقدم منا الكلام تحت عنوان (الكتب المؤلفة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام)(٢) على ان زيد بن وهب من أصحابه عليه السلام ، وأنه أول من جمع خطبه في الجمع والأعياد وغيرهما ، وقد روى الصدوق في (معاني الأخبار) ص ١٨٤ قطعة من هذه الخطبة من قوله عليه السلام : (أوما ترون الى أهل الدنيا) الى قوله سلام الله عليه « وعلى أثر الماضي يصير الباقي » كما رواها في (الفقيه) :ج١ص٢٧٠ من خطبه يوم الجمعة ما عدا قوله عليه السلام « ألا فاذكروا هادم اللذات » .

وقد قلنا أكثر من مرة أن أمير المؤمنين عليه السلام قد يكرر بعض المعاني بحسب المواطن ، ولذا يأتي المروي من كلامه عليه السلام مختلف الوجوه متداخل الفقرات فمثلاً كلامه في هذا الموضع : « أولستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى » ...الخ تراه في هذه الخطبة ، وفي كلامه مع الشيخ الشامي الذي رواه الطوسي في (الأمالي) ج٢ ص٥٠ وفي موعظة له اخرى نقلها الطبرسي في « مشكاة الأنوار » ص ١٠٧ .

---

(١) المساورة : المواثبة ، امرهم بذكر الموت عند وثوبهم الى الاعمال القبيحة حتى يكون ذلك زاجرا لهم عنها .
(٢) انظر ج ١ ص ٤٨ من هذا الكتاب .

٩٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

اَلْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ[١] نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً[٢]، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ[٣]، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلاَمِ[٤]، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ[٥]، فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ[٦]، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللهُ، حَتَّى يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ[٧]، فَلاَ تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلاَ

---

(١) يده ههنا : نعمته ، يقال : لفلان عندي يد اي نعمة واحسان ،

(٢) صادعا : مظهرا ومجاهرا .

(٣) راية الحق : الكتاب والعترة ، ومرق : خرج ، وزهق : هلك .

(٤) مكيث : رزين في قوله لا يبادر به من غير روية .

(٥) بطيء القيام .. الخ : أي ذو اناة وتؤده ولكنه اذا نهض جد وبالغ

(٦) النتم له رقابكم : اطعتموه ، وأشرتم اليه باصابعكم عظمتموه .

(٧) يضم نشركم : يجمع متفرقكم .

تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ ، فَإِنَّ ٱلْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ(١) ، وَتَثْبُتَ ٱلأُخْرَى ، وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً ، أَلاَ إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَثَلِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ(٢) ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ ٱللهِ فِيكُمُ ٱلصَّنَائِعُ ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ .

قال ابن أبي الحديد : « واعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته وكنى فيها عن حال نفسه وأعلمهم فيها أنهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه ، وطاعتهم له . وهكذا وقع الأمر فإنه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه عليه السلام وجاء في الأخبار أنه عقد للحسن ابنه عليه السلام على عشرة آلاف ولأبي أيوب الأنصاري(٣) على عشرة آلاف ولفلان وفلان حتى

---

(١) بعد أن وعدهم بان الله تعالى سيقيض لهم من يجمع أمرهم ، ويضم نشرهم نهاهم عن استعجال ذلك الامر قبل اوانه كما نهاهم عن اليأس منه عند ابطائه ، وان ذلك الذي اخبرهم عنه مهما اضطربت الامور لا بد أن تثبت دعائمه ، وتنتظم أموره .

(٢) خوى النجم : مال الى المغيب .

(٣) أبو أيوب الانصاري زيد بن خالد الخزرجي من بني النجار ، شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد ، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه واله حين قدم المدينة ، ولا تزال داره التي نزلها رسول الله معروفة قريبة من الحرم النبوي يقصدها الناس للتبرك والزيارة ثم أغلقت في الآونة ←

اجتمع مائة ألف سيف ، وأخرج مقدمته أمامه يريد الشام فضربه ابن ملجم اللعين وكان من أمره ما كان ، وانفضت تلك الجموع وكانت كالغنم فقدت راعيها » .

فهو ينص على الزمان الذي خطب به عليه السلام مما يدل أنه رآها في غير « نهج البلاغة » لأن الرضي لم يذكر ذلك .

٩٩ - ومن خطبة له عليه السلام

وهي احدى الخطب المشتملة على الملاحم

الْحَمْدُ للهِ ٱلْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ ، وَٱلْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ ، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنَّ لاَ آخِرَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلاَنَ ، وَٱلْقَلْبُ ٱللِّسَانَ .

أَيُّهَا النَّاسُ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي(١) ، وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ

الاخيرة . وشهد أبو أيوب مع أمير المؤمنين عليه السلام مشاهده كلها ، وكان معه يوم النهروان راية أمان فمن خرج من عسكر الخوارج وصار تحتها كان آمنا ، وله مواقف في نصرة أمير المؤمنين عليه السلام معروفة ، ولما غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم في أيام أبيه أخذه معه ، وكان شيخا هرما فتوفى عند القسطنطينية سنة ٥٠ وقبره معروف ظاهر .

(١) لا يجرمنكم شقاقي : أي لا يحملكم شقاقي على انكار قولي ، والشقاق : العصيان والمخالفة .

عِصْيَانِي١ ، وَلاَ تَتَرَامَوا بِالأَبْصَارِ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي٢ فَوَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ٣ ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مَا كَذَبَ المُبَلِّغُ ، وَلاَ جَهِلَ السَّامِعُ٤ وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ٥ ، فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ ، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ٦ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا

---

(١) استهواه : أماله

(٢) اي لا يلحظ بعضكم بعضا فعل المنكر والمكذب .

(٣) فلق الحبة : شقها واخرج منها الورق الاخضر ، وبرأ النسمة : خلقها وهذا القسم لا يزال أمير المؤمنين يقسم به وهو من مبتكراته سلام الله عليه

(٤) يريد بالمبلغ والسامع نفسه عليه السلام اي ما كذبت على الرسول ولا جهلت ما قاله .

(٥) الضليل كشرير : شديد الضلال ، والنعيق : صوت الراعي بغنمه ، وفحص براياته من فحص القطا التراب ، أي اتخذ منه مجثما ، وكوفان اسم الكوفة والمعنى انه يجعل من ضواحي الكوفة مجثما لراياته .

(٦) فغرت فاغرته : فتح فاه وهذا من باب الاستعارة اذا فتك فتح فاه كما يفتح الاسد فاه عند الافتراس . والشكيمة — في الاصل — : حديدة معترضة في اللجام في فم الدابة ثم قالوا : فلان شديد الشكيمة ، اذا كان شديد المراس ، صعب الانقياد ، وثقلت وطأته : عظم جوره وظلمه .

بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتِ الحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا ، وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا ، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا[1] فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ[2] ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الفِتَنِ المُعْضِلَةِ[3] ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ ، هٰذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ[4] ، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ ، وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ[5] .

---

(١) الكلوح : العبوس والكدوح : آثار الجراح .

(٢) ينعه بفتح الياء : نضجه ، والشقاشق : شيء كالرئة يخرجه البعير اذا هاج ، والبوارق : السيوف والرماح ، وكل ذلك كنايات عن تمام الامر لذلك الضليل .

(٣) المعضلة : عسرة العلاج .

(٤) يخرق : يقطع ، والقاصف : ما اشتد صوته من الرعد والريح ونحوهما ، والعاصف : الريح القوية تكسر كل ما تمر عليه ، والمراد المزعجات من الفتن .

(٥) القرون : الاجيال واحدها قرن بفتح القاف اي عن قليل يلحق قرن من الناس بقرون ، وكنى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم في بطن الارض ، وشبه الناس بالزرع يحصد قائمه ، ويحطم محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم او قتلهم ، وبحطم محصودهم بفنائهم ، وذهابهم في الارض .وقال بعضهم : ان المراد بالقرون قواد الحروب يشتبك بعضهم ببعض كما تشتبك الكباش بقرونها عند النطاح .

هذا الفصل وما يأتي بعده والذي يأتي برقم ١٢٥ كلها من خطبة واحدة يشير فيها عليه السلام الى الملاحم ويذكر بعض المغيبات .

١٠٠ ــ ومن كلامه عليه السلام يجري مجرى الخطبة

وَذٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ ٱللهُ فِيهِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لِنِقَاشِ ٱلْحِسَابِ١ وَجَزَاءِ ٱلْأَعْمَالِ ، خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ . فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً .

(مِنْهُ) فِتَنٌ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ٢ ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً ، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا ، أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ٣ . يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ، فِي ٱلْأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَفِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ . فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ مِنْ

---

(١) نقاش الحساب : الاستقصاء به .

(٢) اي لا تثبت امامها قوة ، والقائمة في الاصل اسم من اسماء الخيل

(٣) مزمومة مرحولة : كناية عن استكمال عدتها ، ويحفزها : يحثها ، ويجهدها : يتعبها : والكلب ــ بالتحريك ــ الشر ، السلب ــ محركة ــ ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول .

جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ ٱللهِ لاَ رَهَجَ(١) لَهُ وَلاَ حَسَّ(٢). وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ ٱلأَحْمَرِ وَٱلْجُوعِ ٱلأَغْبَرِ .

قالوا : انه عليه السلام يشير في هذه الخطبة إلى فتنة صاحب الزنج وأقول : لعله عليه السلام يشير إلى فتن اخرى لم تقع بعد خصوصاً إذا تأملت قوله عليه السلام « لا رهج لها ولا حس » فإن جيش صاحب الزنج كان ذا حس ورهج وما نقله الرضي في هذا الموضوع هو مختار خطبة يأتي القول فيها برقم (١٢٦) ان شاءالله تعالى .

١٠١ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا ، ٱلصَّادِفِينَ عَنْهَا(٣) ، فَإِنَّهَا وَٱللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ ٱلثَّاوِيَ ٱلسَّاكِنَ ، وَتَفْجَعُ ٱلْمُتْرَفَ ٱلآمِنَ(٤) ، لاَ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ ، ولاَ يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ . سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ ، وَجَلَدُ ٱلرِّجَالِ فِيهَا إِلَى ٱلضَّعْفِ

---

(١) الرهج ـ محركة وتسكن الهاء ايضا الغبار .

(٢) الحس ـ بفتح الحاء ـ الجلبة والاصوات المختلفة .

(٣) الصادفين : المعرضين .

(٤) عما قليل : اي عن قليل ، والثاوي المقيم : والمترف الذي اترفته النعمة ، اي أطغته فتركته يصنع ما يشاء لا يمنع .

وَٱلْوَهْنِ١ ، فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا ، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا .

رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَٱعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ ٱلآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ .

(مِنْهَا) ٱلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ.وَكَفَي بِٱلْمَرْءِ جَهْلاً أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ . وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ ٱلرِّجَالِ إِلَى ٱللهِ لَعَبْداً وَكَلَهُ ٱللهُ إِلىٰ نَفْسِهِ . جَائِراً٢ عَنْ قَصْدِ ٱلسَّبِيلِ ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ . إِنْ دُعِيَ إِلىٰ حَرْثِ ٱلدُّنْيَا عَمِلَ ، وَإِنْ دُعِيَ إِلىٰ حَرْثِ ٱلْآخِرَةِ كَسِلَ٣ ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ،

---

(١) مشوب : مخلوط ، والجلد : الصلابة والقوة ، والوهـن الضعف ايضا وانما عطف للتأكيد كقوله تعالى : (شرعة ومنهاجا . المائدة : ٥١) والشرعة هي المنهاج .

(٢) الجائر : العادل عن القصد .

(٣) الحرث : كل ما يثمر فائدة دنيوية او اخروية .

وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ[1] .

(مِنْهَا) وَذَلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[1] إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ ، أُولٰئِكَ مَصَابِيحُ ٱلْهُدَى ، وَأَعْلاَمُ ٱلسُّرَى[2] . لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلاَ ٱلْمَذَايِيعِ ٱلْبُذُرِ أُولٰئِكَ يَفْتَحُ ٱللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ ٱلْإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ ٱلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ ، أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ[3] ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ « إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ » .

قَالَ الرضي رحمه الله تعالى أما قوله عليه السلام (كل مُؤمن نُومة) فإنما أراد به الخامل الذكر القليل

---

(١) ونى : تراخى .

(٢) السرى : السير ليلا .

(٣) يبتليكم : يمتحنكم .

الشر ، والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم ، والمذاييع جمع مذياع : وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه بها . والبذر جمع بذور : وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه .

ما في هذه الخطبة تجده منثوراً في الكتب الآتية مع اختلاف في بعض الألفاظ – وفيها ماهو سابق لنهج البلاغة مثل : « الروضة »للكليني ص١٣٩ و « تحف العقول » ص١٤٣ ، و « اصول الكافي » ج ٢/٢٢٥ ، و « عيون الأخبار » لابن قتيبة ج٢/٣٥٢ و « ربيع الأبرار » للزمخشري : ج١/٢١٩ ، مخطوطة مكتبة الإمام كاشف الغطاء ، و « مطالب السؤل » لابن طلحة الشافعي : ج١/٢٠٢ ، و « دستور معالم الحكم » : ص٤٨ ، وفي كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد الخزاعي[1] المتوفى عام ٢٢٨ هـ على ما نقله السيد ابن طاووس في « الملاحم » : ص٢٧ قال : حدثنا ابن المبارك ، وحدثنا عن عوف عن

(١) نعيم بن حماد الخزاعي أبو عبدالله اول من جمع المسند في الحديث ، كان عالما بالفرائض والسنن ، ولد في مرو الشاهجان ، واقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث ثم سكن مصر ، ولم يزل بها الى أن حمل الى العراق ، وسئل عن القول بخلق القرآن فامتنع أن يجيب فحبس في سامراء ومات في سجنه فجر بأقياده والقي في حفرة ولم يكفن ولم يصل عليه ، فعل به ذلك بأمر ابن أبي دؤاد القاضي ، وقد روى عنه الخطيب البغدادي من عدة طرق بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله : (ستفترق امتى على بضع وسبعين فرقة شر فرقة منها وفي رواية اعظمها فتنة قوم يقيسون الامور برايهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما احل الله عز وجل) وهو غير نعيم بن حماد الخزاعي ابو القاسم الدينوري فان هذا الاخير توفي سنة ٤٠٩ هـ .

رجل من أهل الكوفة أحسبه قال: اسمه مسافر عن علي عليه السلام قال: «ينجو في ذلك الزمان كل مؤمن نومه » وفي حديث وسئل عن النومة قال: الساكت في الفتنة فلا يبدو منه شيء . ونقل ابن الأثير في « النهاية » : ج٥ ص١٣١ عن « الجمع بين الغريبين » للهروي قال : وفي حديث علي أنه ذكر آخر الزمان والفتن ثم قال : (خير أهل ذلك الزمان المؤمن النومة) وأنت إذا لاحظت قوله « إنه ذكر آخر الزمان والفتن ... الخ » تقطع أن المراد ما ذكره في هذه الخطبة .

١٠٢ - ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْياً ، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ . يَسُوقُهُمْ إِلىٰ مَنْجَاتِهِمْ ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ ٱلسَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ١ . يَحْسِرُ ٱلْحَسِيرُ ، وَيَقِفُ ٱلْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ إِلاَّ هَالِكاً لاَ خَيْرَ فِيهِ٢ ، حَتَّى أَرَاهُمْ

---

(١) كأنه صلى الله عليه وآله يخاف ان تسبقه القيامة فهو مبادرها بهدايتهم وارشادهم قبل ان تقوم وهم على ضلالهم .

(٢) الحسير : المعيا من حسر البعير اذا أعيا وكلّ ، والكسير : المكسور ، والكلام من باب الاستعارة والمجاز اي ان من تزلزل اعتقاده ، فتخلف عن اللحاق بالمخلصين فانه صلى الله عليه وآله يرشده حتى يزيل ما خامره من ريب ويلحقه بهم ، الا من كان يعلم انه لا خير فيه بعناده واصراره لخبث عنصره فذلك ما لا ينجع فيه الدواء ، ولا ينفعه العلاج .

مَنْجَاتَهُمْ ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ[1] ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ . وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِـن سَاقَتِها حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا[2] ، وَاسْتَوسَقَتْ فِي قِيَادِهَا[3] ، مَا ضَعُفْتُ ، وَلاَ جَبُنْتُ ، وَلاَ خِنْتُ وَلاَ وَهَنْتُ وَأَيْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ .

قال الشريف الرضي رحمه الله : وقد تقدم مختار الا اني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان فأوجبت الحال اثباتها ثانية .

وقد تقدم القول منا أيضاً في مدركها برقم (٣٣) خطب فراجع إذا شئت .

---

(١) بوّأهم : احلهم ، واستدارت رحاهم : كناية عن وفرة أرزاقهم فان الرحى انما تدور على ما تطحنه من الحب .

(٢) الساقة جمع سائق ، والحذافير : نواحي الشيء جمع حذفار أي تولت كلها ، والضمير المؤنث يرجع الى غير مذكور لفظا والمراد به الجاهلية .

(٣) استوسقت : اي اجتمعت وانتظمت ، والضمير في قيادها يعود الى غير مذكور لفظا والمراد به الدعوة الاسلامية فقد دلت تلك وحلت هذه محلها .

(٤) البقر : الشق ، كأنه جعل الباطل كالشيء المشتمل على الحق غالبا عليه ومحيطا به ، فاذا بقر ظهر الحق الكامن فيه .

١٠٣ - ومن خطبة له عليه السلام

حَتَّى بَعَثَ ٱللهُ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً: خَيْرَ ٱلْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً. أَطْهَرَ ٱلْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ ٱلْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً١. فَمَا ٱحْلَوْلَتْ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا، فِي لَذَّتِهَا وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلافِهَا، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا٢، قَلِقاً وَضِينُهَا٣. قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ ٱلسِّدْرِ ٱلْمَخْضُودِ٤، وَحَلالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ

---

(١) الشيمة: الخلق، والديمة ـ بكسر الدال ـ المطر يدوم بسكون، والمستمطرين: المستماحون.

(٢) احلولت: حلت، الاخلاف واحدها خلف ـ بكسر الخاء ـ وهو حلمة الضرع، والخطام: زمام الناقـة.

(٣) الوضـين: سيور تنسج مضاعفة بعضها على بعض يشد بهـا الهودج منه الى بطن البعير، والجمع وضن، والمعنى ان الدنيا صعبـت على من يليها ولاية حق لاضطراب الامور كالناقة اذا كانت جائلة الخطام، قلقة الوضين، لا يثبت هودجها تحت الراكب.

(٤) السدر ـ بالكسر ـ شجر النبق، ومخضود: منزوع الـورق والشوك والمعنى ان حرامها سهل التنـاول على من يريده كالسدر الـذي خضد عنه شوكه فصار ناعما أملس.

وَصَادَفْتُمُوهَا وَٱللهِ ظِلاًّ مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ. فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ(١)، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي ٱلْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ(٢). أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً(٣)، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً. وَإِنَّ ٱلثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ(٤). وَهُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي لاَ يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلاَ يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ.

أَلاَ وَإِنَّ أَبْصَرَ ٱلْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي ٱلْخَيْرِ طَرْفُهُ. أَلاَ إِنَّ أَسْمَعَ ٱلْأَسْمَاعِ مَا وَعَى ٱلتَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ(٥).

---

(١) شاغرة: خالية، وبلدة شاغرة برجلها اذا لم تمتنع من احد.

(٢) يريد بالقادة ائمة الحق وهو عليه السلام اولهم، وايديهم مكفوفة عن اقامة العدل لقلة مناصريهم، ويرمز في قوله عليه السلام: (سيوفكم عليهم مسلطة) الى ما يجرى على ائمة الهدى واتباعهم من التقتيل والتنكيل.

(٣) الثائر: طالب الثأر لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره.

(٤) اي أن الثائر بدمائهم كالحاكم الذي هو الخصم يحكم لنفسه فلا يبقي شيئا من حقه.

(٥) أي ان اشد العيون ادراكا ما نفذ طرفها في الخير، واشد الاسماع ادراكا ما حفظ الموعظة وقبلها.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ . وَٱمْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ ٱلْكَدَرِ١ .

عِبَادَ ٱللهِ لاَ تَرْكَنُوا إِلَىٰ جَهَالَتِكُمْ ، وَلاَ تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ ٱلنَّازِلَ بِهٰذَا ٱلْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ ٢ ، يَنْقُلُ ٱلرَّدٰى عَلَىٰ ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَىٰ مَوْضِعٍ٣ لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لاَ يَلْتَصِقُ وَيُقَرِّبُ مَا لاَ يَتَقَارَبُ . فَٱللهَ ٱللهَ أَنْ تَشْكُو إِلَىٰ مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ٤ ، وَلاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى ٱلْإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ ، ٱلابْلاَغُ فِي ٱلْمَوْعِظَةِ ، وَٱلْإِجْتِهَادُ فِي ٱلنَّصِيحَةِ ، وَٱلْإِحْيَاءُ

---

(١) اي اسرجوا مصابيحكم من شعلة سراج متعظ في نفسه واعظ لغيره ، ويعنى بهذا المصباح نفسه والائمة من اهل بيته عليهم السلام ، والامتياح نزول البئر وملأ الدلاء وكنى بذلك وبالعين الصافية عن نفسه عليه السلام .

(٢) شفا : الشيء حرفه ، والجرف ــ بضمتين ــ ما تجرفه السيول، والهاري كالهائر : المتهدم أو المشرف على الانهدام .

(٣) الردى : الهلاك ، اي ان من يركن الى جهالته ، وينقاد لهواه هو بانتقاله من ضلالة الى ضلالة ينقل وزرها من موضع الى موضع من ظهره

(٤) أشكاه : أزال مشتكاه ، والشجو : الحاجة .

لِلسُّنَّةِ ، وَإِقَامَةُ ٱلْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ ٱلسُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا[1] . فَبَادِرُوا ٱلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[2] ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ ٱلْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ[3] . وَٱنْهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ ٱلتَّنَاهِي .

روى آخر هذه الخطبة علي بن ابراهيم في « تفسيره » : ج١ ص ٣٨٤ عند تفسير قوله تعالى : (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أنداد الذين يضلونهم بغير علم)[4] بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بخمسة أيام خطبة فقال فيها : « واعلموا أن لكل حق طالباً ولكل دم ثائراً ... الخ » . كما روى الشيخ المفيد طرفاً من هذه الخطبة في « الارشاد » ص ١٦٠ .

---

(١) السهمان ــ بضم السين ــ جمع سهم وهو الحظ والنصيب ، واصدارها اعادتها الى مستحقها .

(٢) التصويح : التجفيف ، يقال : صوح النبت اذا يبس اعلاه ، اي سارعوا الى تحصيل العلم وهو غض نضر ، وتصويح العلم بموت حملته .

(٣) مستثار العلم : استنباطه من معدنه .

(٤) النحل : ٢٥

١٠٤ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي شَرَعَ ٱلْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ(١) ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ(٢) ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُوراً لِمَنِ ٱسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنِ ٱتَّعَظَ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ(٣) . فَهُوَ أَبْلَجُ ٱلْمَنَاهِجِ(٤) وَاضِحُ ٱلْوَلَائِجِ(٥) ، مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ(٦) ، مُشْرِقُ ٱلْجَوَادِّ(٧) ، مُضِيءُ ٱلْمَصَابِيحِ

(١) علقه كعلمه : تعلق به .

(٢) أي من دخله لا يحارب .

(٣) الجنة ــ بضم الجيم ــ ما يستتر به من سلاح وغيره .

(٤) الابلج : المضيء المشرق ، والمناهج : جمع منهاج وهو الطريق الواضح .

(٥) الولائج جمع وليجة وهي الدخيلة اي المذهب .

(٦) مشرف ــ بفتح الراء ــ : المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شيء ، ومنار الدين : دلائله .

(٧) الجواد جمع جادة : الطريق الواضح .

كَرِيمُ ٱلْمِضْمَارِ ١ ، رَفِيعُ ٱلْغَايَةِ ، جَامِـعُ ٱلْحَلْبَةِ ٢ ، مُتَنَافِسُ ٱلسُّبْقَةِ ٣ شَرِيفُ ٱلْفُرْسَانِ . التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ ، وَٱلصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ ، وَٱلْمَوْتُ غَايَتُــهُ ٤. وَٱلدُّنْيَــا مِضْمَارُهُ٥ ، وَٱلْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ ، وَٱلْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ٦ .

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

حَتَّىٰ أَوْرَىٰ قَبَساً لِقَابِسٍ ٧ ، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ ٨ ،

---

(١) المضمار : موضع تضمير الخيل ، أو زمان تضميرها والتضمير عملية خاصة في علف الفرس لاعدادها للسباق . وكريم المضمار اذا سوبق سبق .

(٢) الغاية : قصبة تنصب في آخر المدي الذي تنتهي اليه المسابقة . والحلبة ــ بفتح الحاء وتسكين اللام ــ خيل تجمع من كل ناحية للمسابقة.

(٣) السبقة ــ بالضم ــ جزاء السابقين .

(٤) يحتمل ان يريد بالموت موت الشهوات ويحتمل انه أراد الموت المعروف وهو الغاية التي هي باب الوصول الى الله تعالى فهو الغاية التي يريد المسلم الحق ان يصل اليها سابقا رابحا .

(٥) انما جعلها مضمار الاسلام لانها مزرعة الآخرة .

(٦) اي الجنة جزاء السابقين بالا سلام .

(٧) يقال : وري الزنديرى ــ بالكسر ــ اذا خرجت ناره وأوراه غيره ، والقابس : آخذ القبس ــ بالتحريك ــ أي الشعلة التي تقبس من النار .

(٨) الحابس الذي يحبس ناقته ويتوقف عن السير عند الحيرة والضلال .

فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ وبعيثُكَ نِعْمَةً١ ، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً ، ٱللَّهُمَّ ٱقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ٢ ، وٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ، ٱللَّهُمَّ أَعْلِ عَلى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ ٣ ، وَشَرِّفْ لَدَيْكَ مَنزِلَتَهُ . وَآتِهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ ٱلسَّنَاءَ وَٱلْفَضِيلَةَ٤ ، وَٱحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا ٥ وَلاَ نَادِمِينَ وَلاَ نَاكِبِينَ٦ ، وَلاَ نَاكِثِينَ ، وَلاَ ضَالِّينَ ، وَلاَ مُضِلِّينَ ، وَلاَ مَفْتُونِينَ .

قَالَ الرضي رحمه الله تعالى : « وقد مضى هٰذا الكلام

---

(١) البعيث : المبعوث .

(٢) النزل : ما يهيء للضيف من طعام وغيره

(٣) المقسم ــ بفتح الميم وكسرها ــ النصيب .

(٤) الوسيلة : ما يتوسل به أو درجة في الجنة ، والسناء : الرفعة

(٥) الزمرة : الجماعة ، وخزايا جمع خزيان وهو من اشتهر بقبيحة فخجل منها .

(٦) ناكبين : عادلين عن طريق الحق ، وناكثين : ناقضين للعهد ، والفتنة تطلق على عدة معاني منها الكفر ، والارتداد ، والشر ، والعذاب ولا بد انه عليه السلام قصد واحدا من هذه المعاني او أراد جميعها .

فِيما تقدم إلا أَننا كررناه ههنا لما في الروايتين من الاختلاف[1] .

(مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ) :

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ ٱللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ[2] ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ[3] وَيَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً ، وَلاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ[4] . وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ ٱللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ. وَكَانَتْ أُمُورُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ

---

(١) يريد ما مرّ في الخطبة المرقمة (٧٠) والتي علّم فيهـا الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ولعل هذه الفصول التي نقلها الشريف رحمه الله في هذا الموضع وتلك من خطبة واحدة .

(٢) أي بلغتم من كرامة الله لكم بالا سلام ان تكرم اماؤكم من اجلكـم مع انها موضع المذلة والامتهان بحسب عرف الناس يومئذ ، كمـا وصل بهذه الكرامة جيرانكم أي من التجأ اليكم من معاهد أو ذمي .

(٣) اليد : النعمة اي صار يعظمكم بفضلِ الاسلام من لم يسبق منكم فضل عليه ، ولا نعمة لكم عنده . يريد بذلك الروم والحبشة وغيرهم فانهم عظموا العرب لالتزامهم بالاسلام وتطبيقهم لاحكامه .

(٤) يريد بذلك ملوك الهند والصين فانهم هابوا دولة الاسلام وفرقوا منهـا .

تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ. فَمَكَّنْتُمُ ٱلظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ ٱللهِ فِي أَيْدِيهِمْ . يَعْمَلُونَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ ، وَيَسِيرُونَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ ٱللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ[1] .

سيأتي الكلام على مصادر هـذه الخطبة – بحول الله وقوتـه – في الحكمة المرقمة (٢٦٦) وستعرف هناك أن هذه الخطبة والكلمات القصار (٣٠ و ٣١ و ٢٢٦ و ٢٦٨) من خطبة واحدة في مقام واحد .

ولابن أبي الحديد تعليقات جميلة على هذه الخطبة نقتطف منها ما يلي :

قال معلقاً على الفصل الأول : « هذا باب من الخطاب شريف ، وذلك لأنه ناط بكل واحدة من اللفظات لفظة تناسبها وتلائمها لو نيطت بغيرها لما انطبقت عليها ، ولا استقرت في قرارها ، ألا تراه قال : « أمناً لمن علقه » . فالأمن مرتب على الاعتلاق ؟ وكذلك في سائر الفقر كالسلم المترتب على الدخول والبرهان المترتب على الكلام ، والشاهد المترتب على الخصام ، والنور المترتب على الاستضاءة ، إلى آخرها ، ألا ترى أنه لو قال : وبرهاناً لمن دخله ، ونوراً لمن خاصم عنه ، وشاهداً لمن استضاء به لكان قد قرن باللفظة ما لا يناسبها فكان قد خرج إلى الخطابة ، ودخل في عيب ظاهر ؟ »[2] .

وقال عند شرحه للفصل الذي هو في ذكر النبي صلى الله عليه وآله :

« سألت النقيب أبا جعفر رحمه الله[3] وكان منصفاً بعيداً عن الهوى

---

(١) اي انهم لو فرقوكم في شتى البلاد لا بد ان يجمعكم الله لقهرهم .

(٢) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٢١٩

(٣) هو يحي بن محمد بن ابي زيد العلوي البصري من اساتذة ابن ابي الحديد توفي سنة ٦١٣ وسيأتي ذكره في باب الكتب عند الكلام على مصادر الكتاب (٢٨) والله الموفق .

والعصبية عن هذا الموضع فقلت له : قد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم أرَ فيهم من يعظم رسول الله ﷺ تعظيم هذا الرجل ، ولا يدعو كدعائه ، فانا قد وقفنا من « نهج البلاغة » ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل تدل على إجلال عظيم ، وتبجيل شديد لرسول الله ﷺ ، فقال: ومن أين لغيره من الصحابة كلام مدوّن[1] يتعلم منه كيفية ذكرهم للنبي ﷺ ؟ وهل وجد لهم إلا كلمات مبتدرة لا طائل تحتها ، ثم قال : إن علياً عليه السلام كان قوي الإيمان برسول الله ﷺ والتصديق له ، ثابت اليقين ، قاطعاً بالامر ، متحققاً له ، وكان مع ذلك يحب رسول الله ﷺ لنسبته منه ، وتربيته له ، واختصاصه به من دون أصحابه . وبعد ، فشرفه له لأنهما نفس واحدة في جسمين ، الأب واحد ، والدار واحدة ، والأخلاق متناسبة ، فإذا عظمه فقد عظم نفسه ، وإذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه ، ولقد كان يودّ أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها ، لأن جمال ذلك لاحق به ، وعائد عليه ، فكيف لا يعظمه ، ويبجله ، ويجتهد في اعلاء كلمته ؟ فقلت له : قد كنت اليوم أنا وجعفر بن مكي الشاعر نتجاذب هذا الحديث فقال جعفر: لم ينصر رسول الله ﷺ أحد نصرة أبي طالب وبنيه له ، أما أبو طالب فكفله ورباه ، ثم حماه من قريش عند إظهار الدعوة بعد إصفاقهم وإطباقهم على قتله ، وأما ابنه جعفر فهاجر بجماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة فنشر دعوته بها . وأما علي فإنه أقام عماد الملة بالمدينة ، ثم لم يُمنَ من القتل والهوان والتشريد بما مُني به بنو أبي طالب ، أما جعفر فقتل يوم مؤتة[2] وأما

---

(1) لاحظ ان كلام أمير المؤمنين عليه السلام كان مدونا دون كلام غيره من الصحابة .

(2) مؤتة : بضم الميم وسكون الهمزة بعدها تاء فوقانية قرية في ارض البلقاء بها كانت الوقعة المشهورة التي قتل بها جعفر بن ابي طالب ، وزيد بن حارثه ، وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم وهي اليوم تابعة للكرك من بلاد الاردن ، تبعد عن الطريق العام بحوالي ٤٠ كيلومترا ، وقد مررت بها هذا العام (١٣٩٤) وانا في طريقي الى الحج وزرت مرقد ←

علي فقتل بالكوفة أن شرب نقيع الحنضل ، وتمنى الموت ، ولو تأخر قتل ابن ملجم له لمات أسفاً وكمداً ، ثم قتل ابناه بالسم والسيف، وقتل بنوه الباقون مع أخيهم بالطف (١) ، وحملت نساءهم على الأقتاب سبايا الى الشام ، ولقيت ذريتهم وأخلافهم بعد ذلك من القتل والصلب والتشريد في البلاد ، والهوان والحبس والضرب ما لا يحيط الوصف بكنهه ، فأي خير أصاب البيت من نصرته بتعظيمه بالقول والفعل ؟ فقال رحمه الله وأصاب فيها : هلا قلت (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين) (٢) ؟ وهلا قلت له : فقد نصرته الأنصار ، وبذلت مهجها دونه ، وقتلت بين يديه في مواطن كثيرة وخصوصاً يوم احد ثم اهتضموا بعده ، واستؤثر عليهم ، ولقوا من المشاق والشدائد ما يطول شرحه ، ولو لم يكن إلا يوم الحرة فإنه اليوم الذي لم يكن في العرب مثله ، ولا أصيب قوم قط بمثل ما أصيب به الأنصار ذلك اليوم ؟ ثم قال : ان الله تعالى زوى الدنيا عن صالحي عباده ، وأهل الاخلاص له لأنه لم يرها ثمناً لعبادتهم ، ولا كفؤاً لإخلاصهم ، وأرجأ جزاءهم إلى دار اخرى غير هذه الدار وفي مثلها فليتنافس المتنافسون »(٣) .

جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وهو في مسجد جميل قد فرش بالسجاد الفاخر ، وقريبا منه قبر زيد بن حارثه (رض) وعليه قبة صغيرة جميلة وقريب منها قبة صغيرة ايضا تحتها قبر عبدالله بن رواحه (رض) وقبل زيارتي لمراقدهم دللت على مسجد فخم مفروش بالسجاد الفاخر قد شيد على الارض التي وقعت عليها المعركة .

(١) الطف : ساحل البحر ، وجانب البر وسمي الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام بذلك لانه طرف البر .

(٢) الحجرات : ١٧

(٣) شرح النهج : م ٢ ص ٢٢٠

١٠٥ - ومن خطبة له عليه السلام

في بعض أيام صفين

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَٱنْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ١ ، تَحُوزُكُمُ ٱلْجُفَاةُ ٱلطَّغَامُ٢ ، وَأَعْرَابُ أَهْلِ ٱلشَّامِ ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ ، وَيَآفِيخُ ٱلشَّرَفِ٣ وَٱلْأَنْفُ ٱلْمُقَدَّمُ ، وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ . وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ٤ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ ، حَسّاً بِالنِّضَالِ ، وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ٥ . تَرْكَبُ أُولاَهُمْ أُخْرَاهُمْ ، كَالْإِبِلِ

(١) جولتكم وانحيازكم كناية عن الهزيمة والفرار استعملها امير البيان ابتعادا عن اللفظ المنفر الى لفظ لا تنفير فيه وهذا ما يسمى في علم البيان بحسن التوصل بايراد كلام غير مزعج عوضا عن لفظ يتضمن تجبيها وتقريعا.

(٢) تحوزكم : تعدل بكم عن مراكزكم ، والجفاة جمع جاف وهو الغليظ ، والطغام ـ بفتح الطاء المهملة ـ اوغاد الناس .

(٣) لهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيل ، ويآفيخ جمع يافوخ وهو اعلى الرأس .

(٤) الوحاوح : الحرق والحزازات ، وبآخرة : أخيرا

(٥) الحس : القتل قال تعالى : (اذ تحسونهم باذنه) آل عمران : ١٥٢) وتروى « حشأ » يريد رميا بالحشا ، والنضال : المناضلة والمراماة وتروى بالمهملة فيكون معناها السهام ، وشجرا : طعنا .

ٱلْهِيمِ(١) ٱلْمَطْرُودَةِ، تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا ، وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا .

رواه الطبري في « التاريخ » : ج٦ ص١٤ في حوادث سنة ٣٧ ، والكليني في كتاب الجهاد من فروع « الكافي » : ج٥ ص٤٠ ، ونصر بن مزاحم في « صفين » ص ٢٥٦ ، وعنه ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » وفسر غريبه ابن الأثير في « النهاية » .

١٠٦ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وهي من خطب الملاحم

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ(٢). وَٱلظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ(٣) . خَلَقَ ٱلْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ(٤) ، إِذْ كَانَتْ ٱلرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي ٱلضَّمَائِرِ وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ . خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ ٱلسُّتُرَاتِ(٥) ، وَأَحَاطَ

---

(١) الهيم : الابل العطاش ، وتذاد : تطرد .

(٢) أي أنه سبحانه ظهر لخلقه ودلهم على وجوده بايجاده لهم .

(٣) أي الواضح وجوده لقلوبهم بقيام وهي احكام الصنع واتقانه ، ولم يقل لعيونهم لانه سبحانه غير مرئي .

(٤) الروية : اعمال الفكر في الخواطر ليعمل بأحدها وذلك منفي عنه تعالى وانما يكون ذلك لذوي الضمائر والقلوب اولي النوازع المختلفة والبواعث المتضادة .

(٥) سترات جمع سترة وهو كل ما يستتر به .

بِغُمُوضِ عَقَائِدِ ٱلسَّرِيرَاتِ .

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَمِشْكَاةِ ٱلضِّيَاءِ١ ، وَذُؤَابَةِ ٱلْعَلْيَاءِ ، وَسُرَّةِ ٱلْبَطْحَاءِ٢ . وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، وَيَنَابِيعِ ٱلحِكْمَةِ .

(مِنْهَا) طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ٣ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ٤ . يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ ، وَآذَانٍ صُمٍّ ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ . مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ ٱلْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ ٱلْحَيْرَةِ . لَمْ يَسْتَضِيئُوا

---

(١) شجرة الانبياء أولاد ابراهيم عليه السلام لان اكثر الانبياء منهم ، والمشكاة : كوة عليها زجاجة يجعل فيها المصباح

(٢) الذؤابة : الشعر النابت في الناصية والبطحاء ما بين اخشبي مكة ، وسرة البطحاء : وسطها : وهي منزل بني كعب بن لؤي وكانوا يفخرون بذلك .

(٣) لان ذوي الحكمة يدورون على مرضى القلوب فيعالجونهم : روي ان المسيح عليه السلام رؤي خارجا من بيت مومسة فقيل : يا سيدنا امثلك في هذا المكان ؟ فقال عليه السلام : انما يأتي الطبيب المرضى ، ولكن ما صنعه المسيح عليه السلام لا ينبغي الا لمن لا يتهمون .

(٤) المراهم : الادوية المركبة لمعالجة الجراحات والقروح ، والمواسم جمع ميسم : الحديدة التي يكوى بها .

بِأَضْوَاءِ ٱلْحِكْمَةِ ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ ٱلْعُلُومِ ٱلثَّاقِبَةِ . فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ ٱلسَّائِمَةِ ، وَٱلصُّخُورِ ٱلْقَاسِيَةِ . قَدِ ٱنْجَابَتِ ٱلسَّرَائِرُ لِأَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ١. وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ ٱلْحَقِّ لِخَابِطِهَا ، وَأَسْفَرَتِ ٱلسَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا ، وَظَهَرَتِ ٱلْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا٢ مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ ، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ٣ ، وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ ، وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ . وَأَيْقَاظاً نُوَّماً ، وَشُهُوداً غُيَّباً ، وَنَاظِرَةً عُمْياً ، وَسَامِعَةً صُمّاً ، وَنَاطِقَةً بُكْماً .

رَايَةُ ضَلَالَةٍ ٤ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا ، وَتَفَرَّقَتْ

---

(١) انجابت : انكشفت ، والسرائر جمع سريرة وهي السر المكتوم ، والمحجة : الطريق ، والخابط : السائر على غير هدى ، واسفرت : اضاءت، والمتوسم : المتفرس

(٢) شبههم بالجمادات لعدم انتفاعهم بالعقول .

(٣) لان ارواحهم لم تؤثر في اشباحهم فتحركها لفعل ما يراد منهم فكأنها خلت من الاشباح ، وقيل : وصفهم بالخفة والطيش ، والشبح ــ بفتحتين ــ وقد تسكن باؤه ــ الشخص .

(٤) تروى « رأيت ضلالة » وهذا الكلام منقطع عما قبله لان الشريف الرضي رحمه الله كان يلتقط الفصول التي في الطبقة العليا من الفصاحة من كلام امير المؤمنين عليه السلام فيذكرها ويتخطى ما قبلها وبعدها .

بِشُعَبِهَا[١] ، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا ، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[٢] . قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ ٱلْمِلَّة ، قَائِمٌ عَلَى ٱلضَّلَّة . فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ ٱلْقِدْرِ[٣] ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ ٱلْعِكْمِ[٤] . تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلأَدِيمِ[٥] ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ ٱلْحَصِيدِ[٦] ، وَتَسْتَخْلِصُ ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ ٱسْتِخْلاَصَ ٱلطَّيْرِ ٱلْحَبَّةَ ٱلْبَطِينَةَ[٧] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ ٱلْحَبِّ . أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ ٱلْمَذَاهِبُ ، وَتَتِيهُ بِكُمُ ٱلْغَيَاهِبُ[٨] ،

---

(١) يذكر عليه السلام في هذا الكلام مايقع آخر الزمان من الفتن ، رالقطب : الرئيس لان عليه مدار الامور ، وشعب جمع شعبة وهي القبيلة العظيمـة .

(٢) تكيلكم : تكيل لكم فحذف اللام كما في قوله تعالى (واذا كالوهم او وزنوهم: المطففين: ٣)اي تعاملكم بمثل ما تعامل به من وقع تحت سيطرتها. او تكيلكم تتلاعب بكم فترفعكم وتضعكم كما يعمـل الكيال بما يريد كيلـه بصاعه ، ويعضد ذلك العبارة بعدها « تخبطكم بباعها » والخبط الخلط .

(٣) ثفالة القدر : ما استقر في قعرها من كدورة والمراد بذلك الاسافل من الناس .

(٤) النفاضة : ما سقط عند النفض ، والعكم ــ بكسر العين المهملة ــ العدل .

(٥) العرك : الدلك ، والاديم الجلد

(٦) الحصيد : المحصود .

(٧) البطينة : السمينة .

(٨) الغياهب : الظلمات واحدها غيهب .

وَتَخْدَعُكُمُ ٱلْكَوَاذِبُ؟ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ؟وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟١ فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ ، فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ٢ ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَٱسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ ، وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ٣ ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ. فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ ٱلْأَمْرَ فَلْقَ ٱلْخَرَزَةِ ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ ٱلصَّمْغَةِ٤. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ ٱلطَّاغِيَةُ ، وَقَلَّتِ ٱلدَّاعِيَةُ٥ . وَصَالَ ٱلدَّهْرُ صِيَالَ ٱلسَّبُعِ ٱلْعَقُورِ. وَهَدَرَ فَنِيقُ ٱلْبَاطِلِ

---

(١) تؤفكون : تصرفون

(٢) الرباني : الكامل في العلم والعمل ، ويعنى بالرباني نفسه عليه السلام

(٣) الرائد : من يتقدم القوم ليعرف لهم مواضع الكلأ .

(٤) اي اوضح لكم الامر كما يتضح باطن الخرزة بشقها ، والصمغة واحدة صموغ الاشجار . قال الطريحي في « مجمع البحرين » مادة (صمغ): في حديث علي عليه السلام « وقرفه قرف الصمغة » يقال : تركه على مثل مقرف الصمغة اذا لم يترك له شيئا لان الصمغة تقطع من شجرتها حتى لا يبقى لها علقة . ا هـ .

(٥) عظمت الطاغية اي الفتنة التي تجاوزت في كبرها الحد والمقدار ، والداعية : اي الفرقة الداعية الى الله ، وتروى « الراعية » أي رعاة الحق واهله الذين يحمون حوزتـه .

بَعْدَ كُظُومٍ ١ . وَتَوَاخَى ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ . وَتَهَاجَرُوا عَلَى ٱلدِّينِ . وَتَحَابُّوا عَلَى ٱلْكَذِبِ . وَتَبَاغَضُوا عَلَى ٱلصِّدْقِ . فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْوَلَدُ غَيْظاً ، وَٱلْمَطَرُ قَيْظاً ، وَتَفِيضُ ٱللِّئَامُ فَيْضاً ، وَتَغِيضُ ٱلْكِرَامُ غَيْضاً ٢ . وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ ذِئَاباً ، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً ، وَأَوْسَاطُهُ آكَالاً ، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً ٣ . وَغَارَ الصِّدْقُ ، وَفَاضَ ٱلْكَذِبُ ، وَٱسْتُعْمِلَتِ ٱلْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ . وَتَشَاجَرَ ٱلنَّاسُ بِالْقُلُوبِ ٤. وَصَارَ ٱلْفُسُوقُ نَسَباً ، وَٱلْعَفَافُ عَجَباً ٥ وَلُبِسَ ٱلْإِسْلَامُ لُبْسَ ٱلْفَرْوِ مَقْلُوباً ٦ .

---

(١) الفنيق : الفحل من الابل ، والكظوم : الامساك والسكون

(٢) اي يغيظ والده بالعقوق ، ويكون المطر قيظا لعدم فائدته ، وفيض اللئام ، كثرتهم ، وغيض الكرام ندورتهم ، من فاض اذا كثر ، وغاض اذا قل

(٣) آكالا بمد الهمزة جمع أكل ــ بسكون الكاف ــ وهو ما اكل ، والمعنى يصير اواسط الناس طعمة للولاة ، وكون الفقراء ، امواتا لانقطاع المادة عنهم .

(٤) تشاجر القلوب كناية عن اختلافها .

(٥) استعار لفظ النسب للفسوق لكونه يومئذ سبب التواصل كما يكون ، ويكون العفاف عجبا لقلته .

(٦) كناية عن انعكاس احكامه

من قوله عليه السلام : « طبيب دوار بطبه » إلى « موطن الحيرة » رواه الآمدي في « الغرر » : ص ٢٠٩ ، فيما ورد من كلامه عليه السلام في حرف الراء باللفظ المطلق ، وفيه « مياسمه » بدل « مواسمه » والمعنى واحد ، وقال : إنه في ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومن قوله عليه السلام « تكيلكم بصاعها » إلى قوله صلوات الله عليه : « بين هزيل الحب » رواه الزمخشري في الجزء الاول من « ربيع الأبرار » باب تبدل الأحوال .

وفي « الغرر » : ص ٨٥ في حرف الألف هذه الجمل « أين تذهب بكم المذاهب ؟ أين تتيه بكم الغياهب ، وتخدعكم الكواذب ؟ أين تتيهون ، ومن أين تؤتون وأنى تؤفكون وعلام تعمهون ؟ وفيكم أهل بيت نبيكم ، وهم أزمة الصدق ، وأئمة الحق » .

وهذه الزيادة والتفاوت تشهد بأنها لم تنقل عن « النهج » .

١٠٧ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ ، لَمْ تَرَكَ ٱلْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ[1] ، بَلْ

(١) انتقال من الغيبة الى الخطاب .

كُنْتَ قَبْلَ ٱلْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ ، لَمْ تَخْلُقِ ٱلْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ ، وَلاَ ٱسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ، وَلاَ يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ، وَلاَ يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ١ . وَلاَ يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلاَ يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ ، وَلاَ يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ ، كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلاَنِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ ، أَنْتَ ٱلْأَبَدُ لاَ أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ ٱلْمُنْتَهَىٰ لاَ مَحِيصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ ٱلْمَوْعِدُ لاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذٰلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ ٱلْآخِرَةِ .

---

(٢) لا يفلتك : لا ينفلت .

(مِنْهَا) مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ ، لَمْ يَسْكُنُوا ٱلْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا ٱلْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ١ ، وَلَمْ يَشْعَبْهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ٢ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَٱسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ٣ ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ ، سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ٤ ، خَلَقْتَ دَاراً وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً٥ :

---

(١)مهين : حقير وهو النطفة .

(٢) تشعبهم : تفرقهم ، وريب المنون : حوادث الدهر . أو يريد لا تتطرق اليهم الاوجاع والاسقام

(٣) زرى على نفسه : عابها .

(٤) الباء بحسن بلائك للتعليل بمعنى اللام كقوله تعالى : (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم) اي لانهم متعلقة بما في سبحانك من معنى الفعل اي اسبحك لحسن بلائك والبلاء يأتي على ثلاثة أوجه : اختبار ، ونعمة ، ونقمة ، والمراد هنا حسن نعمائك .

(٥) المادبة ــ بفتح الدال وضمها ــ الطعام يدعى الانسان اليه .

مَشْرَباً وَمَطْعَماً ، وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً ، وَقُصوراً وَأَنْهَاراً ، وَزُرُوعاً وَثِمَاراً ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا ، فَلاَ الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلاَ فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا ، وَلاَ إِلىٰ مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلَىٰ جِيفَةٍ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَاصْطَلَحُوا عَلَىٰ حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَىٰ بَصَرَهُ(١) ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ، وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا ، حَيْثُمَا زَالَتْ إِلَيْهَا ، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا ، وَلاَ يَزْدَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ ، وَلاَ يَتَّعِظُ بِوَاعِظٍ وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ(٢) ـ حَيْثُ لاَ إِقَالَةَ وَلاَ رَجْعَةَ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ

(١) المراد بالجيفة الدنيا والعشى هنا : العمى ، او عدم الابصار ليلا ، فكأنهم عشوا بما هم فيه من ظلمات الدنيا .

(٢) على الغرة بالكسر : أي بغتة وعلى حين غفلة .

بِهِمْ ، ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ ، وَحسْرةُ ٱلْفَوتِ ، فَفَتَرَتْ لها أَطْرافُهُمْ ، وتَغَيَّرتْ لَها أَلْوانُهُمْ ، ثُمَّ ٱزْدادَ ٱلْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً١ ، فَحيل بَيْن أَحدهمْ وبَيْنَ مَنْطقه ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِه ، عَلى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا ٢ ، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا ، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا٣ ، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا ، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا ، فَيَكُونُ ٱلْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ ٤ ، وَٱلْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ٥ ، وَٱلْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا٦ ، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ

(١) ولوجا : دخولا

(٢) اغمض لم يفرق بين حلال وحرام ، كأنه اغمض عينيه فلا يميز . او اغمض اي طلبها من أدق الوجوه واخفاها فضلا عن اظهرها واجلاها .

(٣) تبعاتها بفتح فكسر ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها ، وما يحاسبه به الله من منع حقه منها .

(٤) المهنأ ما أتاك من خير بلا مشقة .

(٥) العبأ : الثقل .

(٦) غلق الرهن ؛ تعذر خلاصه

عِنْدَ الموتِ مِنْ أَمْرِهِ١ ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ ٱلَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا ، وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا ، قَدْ حَازَهَا دُونَهُ ، فَلَمْ يَزَلِ ٱلْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ٢. فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلاَ يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ ولاَ يَسْمَعُ رَجْعَ كَلاَمِهِمْ ، ثُمَّ ٱزْدَادَ ٱلْمَوْتُ ٱلْتِيَاطاً بِهِ٣ ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ ، وَخَرَجَتِ ٱلرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ ، لاَ يُسْعِدُ بَاكِياً ، وَلاَ يُجِيبُ دَاعِياً ، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي ٱلْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَٱنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ٤ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ ،

---

(١) اصحر ، برز

(٢) اي شارك اللسان السمع بالعجز عن اداء وظيفته .

(٣) التياطا : اي التصاقا .

(٤) المخط : الارض التي تخط في الارض ويجعل عليها علامة ، والزور: الزائر ويسمى به الواحد والجمع . وعن زورته : اي زيارته .

وَٱلْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَأَلْحق آخِرُ ٱلْخَلْقِ بِأَوَّلِه ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِه ، أَمَادَ ٱلسَّمَاءَ وَفَطَرَهَا ، وَأَرَجَّ ٱلْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا ، وَدَكَّ بَعْضُها بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِه وَمَخُوفِ سَطْوَتِه ، وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا ، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ أَخْلاقِهِمْ[1] وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا ٱلْأَعْمَالِ وَخَبَايَا ٱلْأَفْعَالِ ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ : أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلَاءِ ، وَٱنْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلَاءِ ، فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِه فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِه ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ ٱلنُّزَّالُ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ ٱلْحَالُ ، وَلَا تَنُوبُهُمُ ٱلْأَفْزَاعُ[2] ، وَلَا تَنَالُهُمُ ٱلْأَسْقَامُ ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ ٱلْأَسْفَارُ[3] . وَأَمَّا أَهْلُ ٱلْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ ٱلْأَيْدِيَ إِلَى ٱلْأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ ٱلنَّوَاصِيَ

---

(١) يقال : ثوب اخلاق ــ بالفتح ــ اي خلق جدا

(٢) الافزاع جمع فزع وهو الخوف ، وتنوبهم : تصيبهم .

(٢) اشخصه : أزعجه باخراجه من وطنه .

بِالْأَقْدَامِ ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ ٱلْقَطِرَانِ ، وَمُقَطَّعَاتِ ٱلنِّيرَانِ١ . فِي عَذَابٍ قَدِ ٱشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَىٰ أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ ٢ ، لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلاَ يُفَادَى أَسِيرُهَا وَلاَ تُفْصَمُ كُبُولُهَا . لاَ مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَىٰ ، وَلاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَىٰ ، .

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

قَدْ حَقَّرَ ٱلدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ زَوَاهَا عَنْهُ ٱخْتِيَاراً٣ ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ ٱحْتِقَاراً ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ

---

(١) السربال : القميص ، والقطران : بفتح القاف وكسر الطاء ــ دواء محرق يتخذ من شجر العرعر ، تطلى به الابل الجرباء ، والمقطعات كل ثوب يقطع كالجبة والقميص دون ما لا يطقع كالازار والسر في كونها مقطعات لاشتمالها على البدن فيكون العذاب اشد .

(٢) عبر بالكلب مهيجا لنيرانها ، وباللجب عن صوتها العالي ، والقصيف : اشد الصوت

(٣) الكبول جمع كبل ــ بفتح فسكون ــ القيد ، وتفصم : تنقطع . زواها : نحاها .

أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً[1] ، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً . بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً[2] ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً ، وَدَعَا إِلَى ٱلْجَنَّةِ مُبَشِّراً .

نَحْنُ شَجَرَةُ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ ٱلرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ ٱلْمَلاَئِكَةِ[3] ، وَمَعَادِنُ ٱلْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ ٱلْحِكَمِ ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ ٱلرَّحْمَةَ ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ ٱلسَّطْوَةَ .

اختار الرضي رحمه الله ما أورده هنا من خطبته عليه السلام المعروفة بـ (الزهراء) وقد روى هذه الخطبة ابن عبد ربه المالكي في باب الخطب من « العقد الفريد » ج٤ص٧٦ بتفاوت بين الروايتين . كما روى الزمخشري في باب الملائكة من (ربيع الأبرار) صفة الملائكة كما هنا ، وروى الآمدي في صفة النبي صلى الله عليه وآله هذه الجملة : (وبسطها لغيره احتقاراً) هكذا (وبسطها لغيره اختباراً) كما روى قوله عليه السلام (نحن شجره النبوة ... الخ) بتقديم وتأخير ولكن بعين ألفاظ (نهج البلاغة) .

---

(١) الرياش : اللباس الفاخر .

(٢) معذرا : مبينا لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم ان خالفوا امره

(٣) مختلف الملائكة : تعاقبهم في الورود فيكون الثاني كأنه خلف للاول وهكذا .

هذا ولابن أبي الحديد تعليق لطيف على هذه الخطبة قال : هذا موضع المثل : (لكل شجرة نار ، واستمجد المرخ والعفار)[1] الخطب الوعظية الحسان كثيرة ولكن هذا حديث يأكل الأحاديث :

محاسن أصناف المغنين جمة   وما قصبات السبق إلا لمعبد

من أراد أن يتعلم البلاغة والفصاحة ، ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض فليتأمل هذه الخطبة فان نسبتها الى كل فصيح عدا كلام الله ورسوله نسبة الكواكب الفلكية المنيرة الى الحجارة المظلمة الأرضية ، ثم لينظر الناظر إلى ماعليها من البهاء والجلالة ، والرواء والديباجة ، وما يحدثه من الروعة والهيبة ، والمخافة والخشية حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمم على نفي البعث والنشور لهدت قواه ، وأرعبت قلبه ، وأضعفت نفسه ، وزلزلت اعتقاده ، فجزى الله قائلها عن الإسلام أفضل ما جزى ولياً من أوليائه ، فما أبلغ نصرته له تارة بيده وسيفه وتارة بلسانه ونطقه ، وتارةبقلبه وفكره إن قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين ،وإنقيلوعظٌ وتذكيرٌ فهو أبلغ الواعظين والمذكّرين ، وإن قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين ، وإن قيل عدل وتوحيد ، فهو امامأهل العدل والموحدين و :

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد[2]

(١) العفار كسحاب ، والمرخ ـ بتسكين الراء بعدها خاء معجمة ـ : شجرتان من شجر النار ، يضرب بهما المثل في سرعة الورى ، حتى قيل : ان المرخ ربما كان مجتمعا فتهب الريح فيحرك بعضه بعضا فأورى فأحرق الوادي ، وقيل : ان العفار هو الزند وهو الاعلى ، والمرخ : الزندة وهو الاسفل ، واستمجد : استفضل ومعناه حاز الافضلية على جميع شجر النار ، وكذلك حازت مواعظ امير المؤمنين عليه السلام الافضلية على جميع المواعظ .

(٢) الشرحم : ٢ ص ٢٣٠

١٠٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ ٱلْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ ٱلْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ ٱلْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ ٱلْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا ٱلْفِطْرَةُ ، وَإِقَامُ ٱلصَّلَاةِ فَإِنَّهَا ٱلْمِلَّةُ . وَإِيتَاءُ ٱلزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ ٱلْعِقَابِ(١) ، وَحَجُّ ٱلْبَيْتِ وَٱعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ ٱلْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ ٱلذَّنْبَ(٢) وَصِلَةُ ٱلرَّحِمِ ، فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي ٱلْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ فِي ٱلْأَجَلِ(٣) ، وَصَدَقَةُ ٱلسِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ ٱلْخَطِيئَةَ ، وَصَدَقَةُ ٱلْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ ٱلسُّوءِ ، وَصَنَائِعُ ٱلْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ ٱلْهَوَانِ .

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ ٱللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلذِّكْرِ ، وَٱرْغَبُوا

---

(١) جنة : وقايـة .

(٢) يرحضان الذنب : يغسلانه يقال : رحضت الثوب اذا غسلته ، وثوب رحيض اي مغسول .

(٣) اي تثري المال وتكثره ، وتنسىء الاجل : تؤخره .

فِيمَا وَعَدَ ٱلْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ ٱلْوَعْدِ ، وَٱقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ ٱلْهَدْيِ ، وَٱسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى ٱلسُّنَنِ ، وَتَعَلَّمُوا ٱلْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْحَدِيثِ ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ ، فَإِنَّهُ رَبِيعُ ٱلْقُلُوبِ ، وَٱسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ ٱلصُّدُورِ ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ ٱلْقَصَصِ ، فَإِنَّ ٱلْعَالِمَ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ ٱلْحَائِرِ ٱلَّذِي لاَ يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ ، بَلِ ٱلْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَٱلْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ أَلْوَمُ[1] .

أول هذه الخطبة : « الحمد لله فاطر الخلق ، وخالق الأشباح » وهي خطبة مشهورة بين أهل العلم قبل الرضي وبعده وتعرف عندهم بـ (الديباج) ، فمن رواتها :

١ – ابن شعبة في (تحف العقول) ص ١٠٤ ، مرسلة .

٢ – الصدوق في (الفقيه) ج١ ص١٣١ . مسندة مع زيادة لم يذكرها الشريف كما رواها في (علل الشرائع) في باب (علل الشرائع ، واصول الإسلام) مسندة أيضاً .

٣ – البرقي في كتاب محاسن الظلم من (المحاسن) ص ٢٣٣ .

٤ – الطوسي في (الأمالي) ج١ ص٢٢٠ . روى طرفاً منها .

(١) الوم : احق باللوم .

١٠٩ - ومن خطبة له عليه السلام

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا١ ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا ، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ٢ ، لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا٣ - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ٤ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً) لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً٥ ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا

---

(١) الحبرة : السرور .

(٢) حائلة : متغيرة ، ونافدة : فانية ، وبائدة : منقضية ، وأكالة : قتالة ، وغوالة : مهلكة ، يقال : غاله الغول : اي هلك .

(٣) لا تعدو : لا تتجاوز .

(٤) الهشيم : ما تحطم وتهشم ، وتذروه : تطيره ، والآية الكريمه في سورة الكهف برقم : ٤٨ .

(٥) العبرة ــ بالفتح ــ الدمعة قبل انتفيض، او تردد البكاء في الصدر

بَطْناً ، إلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً(١) ، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ ، إلاَّ هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ(٢) ، وَحَرِيٌّ إذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً(٣) ، وَإنْ جَانِبٌ مِنْهَا ٱعْذَوْذَبَ وَٱحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى(٤) ، لاَ يَنَالُ ٱمْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً ، إلاَّ أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً(٥) ، ولاَ يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إلاَّ أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ(٦) . غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا ، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا . لاَ خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إلاَّ ٱلتَّقْوَى . مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ . وَمَنِ ٱسْتَكْثَرَ مِنْهَا ٱسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ(٧) ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ . كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ ،وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إلَيْهَا صَرَعَتْهُ .وَذِي

(١) البطن والظهر كناية عن الاقبال والادبار .

(٢) تطله : تمطره ، والطل : المطر : او المطر القليل ، والديمة ، المطر بسكون لا رعد فيه ولا برق والتهتان : المطر المطبق ، والمزنة ، المطرة .

(٣) حرى اي جدير وخليق

(٤) اعذوذب صار عذبا ، واحلولى : صار حلوا ، واوبى صار ذا وباء

(٥) الغضارة : النعمة والسعة ، وارهقته : حملته .

(٦) القوادم : جمع قادمة الواحدة من عدة ريشات في مقدم الجناح .

(٧) يوبقه : يهلكه .

أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً ، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً١ . سُلْطَانُهَا دُوَلٌ ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ وَحُلْوُهَا صَبِرٌ ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ٢ . حَيُّهَا بِعُرْضِ مَوْتٍ ، وَصَحِيحُهَا بِعُرْضِ سُقْمٍ . مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ ،وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ٣. أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً ، وَأَبْقَى آثَاراً وَأَبْعَدَ آمَالا ، وَأَعَدَّ عَدِيداً ، وَأَكْثَفَ جُنُوداً . تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ . ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ وَلاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ٤ فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ٥ ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً . بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ ،

---

(١) الابهة : العظمة والكبر ، والنخوة ــ بالفتح ــ الافتخار

(٢) دول : متداول مرة لهذا ومرة لهذا ، ورنق كدر ، واجاج : مالح، والصبر ــ بكسر الباء ــ شجر مر معروف ، ثم سمي كل مر صبرا ، وسمام جمع سم ــ وتثلث السين ــ واسبابها : حبالها ، رمام بالية .

(٣) يقال : صار فلان عرضة لكذا ــ بضم فسكون ــ اي نصبا الموفور : الوفر والكثرة ، ومحروب : مسلوب المال .

(٤) ظهر قاطع : ما يقطع به الطريق من الدواب .

(٥) اي بذلت لهم ، ما يفتدون به انفسهم .

وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ ١ وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ ، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ ٢ ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ . فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا ، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ ٱلْأَبَدِ ٣. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ ٱلسَّغَبَ ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلاَّ ٱلضَّنْكَ ٤ ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ ٱلظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلاَّ ٱلنَّدَامَةَ أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ ؟ فَبِئْسَتِ ٱلدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا — وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ — بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا . وَٱتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » . حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً ، وَأُنْزِلُوا

(١) ارهقتهم : اثقلتهم ، والقوادح : آفة تكون في الشجر والاسنان، وتروى « الفوادح » من فدحه الامر اذا اثقله ، والقوارع جمع قارعة وهي المحنة والداهية ، وضعضعتهم : ذللتهم ، والنوائب : المصائب .

(٢) وعفرتهم : الصقت انوفهم بالعفر وهو التراب ، والمناسم جمع منسم — بكسر السين المهملة — وهو خف البعير .

(٣) دان : خضع ، واخلد : مال

(٤) السغب : الجوع ، والضنك — بسكون النون — الضيق .

ٱلْأَجْدَاثَ١ . فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً . وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ ٱلصَّفِيحِ أَجْنَانٌ ، وَمِنَ ٱلتُّرَابِ أَكْنَانٌ ، وَمِنَ ٱلرُّفَاتِ جِيرَانٌ٢ ، فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبونَ دَاعِياً ، وَلاَ يَمْنَعونَ ضَيْماً ، وَلاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً٣ . إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحوا ، وإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا ٤ . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ . مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ ، وَقَرِيبُونَ لاَ يَتَقَارَبُونَ . حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لاَ يُخْشَى فَجْعُهُمْ ، وَلاَ يُرْجَى دَفْعُهُمْ٥ ، ٱسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ ٱلْأَرْضِ بَطْناً ، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقاً ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا ، حُفَاةً عُرَاةً . قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى ٱلْحَيَاةِ ٱلدَّائِمَةِ ، وَٱلدَّارِ ٱلْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَا كُنَّا فَاعِلِين»

(١) الاجداث جمع جدث وهو القبر .

(٢) الصفيح : الحجارة ، الاكنان جمع كن وهو السترة ، والاجنان جمع جنن وهو القبر . والرفات : العظام البالية .

(٣) المندبة : الندب على الميت .

(٤) جيدوا : مطروا ، وقحطوا : انقطع عنهم المطر .

(٥) اي لا يخشون ان يفجعوا بضر ، ولا يرجون لدفعه

رواها لأمير المؤمنين عليه السلام جماعة من العلماء قبل الرضي وبعده، نذكر منهم:

١ – محمد بن عمران المرزباني في (المونق) .[١]

٢ – ابن شعبة الحرّاني في (التحف) ، ص ١٢٧ .

٣ – القاضي القضاعيّ في (الدستور) ص٥١ .

٤ – ابن طلحة الشافعي في (المطالب) ص.١٤٤ .

٥ – ابن الأثير في (النهاية) فسر غريبها في المواد التاليـــة : (أبد) ج١ ص١٨ ، و (أجج) ج١ ص٢٥ و (جـــنن) ج١ ص ٣٠٨ ... الخ وفي أكثر روايته ما يختلف في مبنى بعض الكلمات مع رواية الرضي .

١١٠ – ومن خطبة له عليه السلام

ذكر فيها ملك الموت وتوفيته الانفس

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً ؟ ، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّي أَحَداً ؟ ، بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى ٱلْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ؟ أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا ؟ ، أَمِ ٱلرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا ؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا ؟ . كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ .

روى هذا الكلام علي بن محمد بن شاكر الليثي الواسطي في كتاب «عيون الحكم والمواعظ » هكذا :«هل يحس به أحد إذا دخل منزلاً ؟ أم هل يراه إذا دخل منزلاً ... الخ » وليس في « النهج » لفظة (أحد) كما أن الفعل جاء

(١) انظر (شرح نهج البلاغة) لابن ابي الحديد م ٢ ص ٢٤٢

في « النهج » بصيغة المخاطب ، وفي رواية ابن شاكر للغائب [١] .

وقال الشيخ ميثم البحراني عند شرحه لهذا الكلام : هذا الفصل من خطبة طويلة ذكره في معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى عن إطلاع العقول البشرية على كنه وصفه [٢] .

وفي قوله من خطبة طويلة دلالة على أنه اطلع عليها في غير « نهج البلاغة » .

١١١ــ ومن خطبة له عليه السلام

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٣] . قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا ، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا . دَارٌ هَانَتْ عَلَىٰ رَبِّهَا ، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا ، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا ، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا . لَمْ يُصْفِهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ . خَيْرُهَا زَهِيدٌ ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[٤] . وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ ،

---

(١) انظر « بحار الانوار » ج ٧٧ ص ٤٣٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ج ٢ ص ٦٠ .

(٣) قلعة ــ بضم القاف وسكون اللام ــ اي ليست بمستوطنة ، يقال هم على قلعة على رحلة ، ومال قلعة اي عارية ، والنجعة : الدار المستوطنة لكثرة ما فيها من الكلأ .

(٤) لم يضن بها : لم يمنعها ، والزهيد : القليل ، والعتيد الحاضر .

وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ . فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ ٱلْبِنَاءِ ، وَعُمُرٍ يَفْنَىٰ فَنَاءَ ٱلزَّادِ ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ . ٱجْعَلُوا مَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ ، وَٱسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ١ . وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَىٰ بِكُمْ . إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا ، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا٢ . قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلْآجَالِ ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلْآمَالِ . فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ، وَٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلْآجِلَةِ٣ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَىٰ دِينِ ٱللهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلاَّ خُبْثُ ٱلسَّرَائِرِ ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ٤ . فَلاَ تَوَازَرُونَ وَلاَ تَنَاصَحُونَ ، وَلاَ تَبَاذَلُونَ

---

(١) طلبكم : اي من مطالبكم التي تسعون اليها . وسلو الله ان يوفقكم للقيام بها .

(٢) المقت البغض مع الازدراء ، والغبطة : ان يتمنى الانسان ما يراه عند غيره من النعم .

(٣) املك بكم : أولى بكم ، واذهب بكم : ذهبت بكم واستولت عليكم .

(٤) اي ان الناس كلهم مجبولون على فطرة واحدة وهي دين الله وانما تفرقوا باعتبار امر خارجي وهو خبث السرائر وسوء الضمائر .

وَلاَ تَوَادُّون . مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ وَلا يَحْزُنُكُمُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ . وَيُقْلِقُكُمْ ٱلْيَسِيرُ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ١ كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ . وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ . وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إلاَّ مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ٢. قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ ٱلآجِلِ وَحُبِّ ٱلْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ٣ . صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ .

روى الزمخشري فصلاً منها في أوائل (ربيع الأبرار) ونثرهـا الآمدي ي مواضعها من كتابه بتفاوت تعلم عند المقارنةبين ما رواه الآمدي وما رواه لرضي أنه نقل ذلك من غير (النهج) فمثلاً جاء في روايته « إن الدنيـا دار لمعة » : ص ٨٦ ورواية الرضي « وأحذركم الدنيا فإنها دار قلعة » وفيها « لم صف الله الدنيا لأوليائه » ص ١٨٩ وفي رواية الرضي « لم يصفها لأوليائه » فيها أيضاً « وإن اغتبطوا بما اوتوا » ص٨٠ وفي رواية الشريف « وإن غتبطوا بما رزقوا »... الخ .

---

(١) يقلقكم اليسير : يفوتكم . ووزي : نحي

(٢) اي ما يمنع من ملاقاته بعيبـه الا الخـوف منه أن يلقاه بمثلـه لمشاركته ايـاه .

(٣) اللعقة : ما يؤخذ بالملعقة من الاناء والكـلام مجاز يصفهم بقلـة التدين وأن دينهم على السنتهم دون قلوبهم .

١١٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلْوَاصِلِ ٱلْحَمْدَ بِالنِّعَمِ ، وَٱلنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى آلائِهِ ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلى بَلائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلىٰ هٰذِهِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ(١) ، ٱلسِّرَاعِ إِلىٰ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ(٢) . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ ٱلْغُيُوبَ ، وَوَقَفَ عَلىٰ ٱلْمَوْعُودِ ، إِيمَاناً نَفَىٰ إِخْلاَصُهُ ٱلشِّرْكَ ، وَيَقِينُهُ ٱلشَّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ ٱلْقَوْلَ ، وَتَرْفَعَانِ ٱلْعَمَلَ ، لاَ يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ ، وَلاَ يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّتِي هِيَ ٱلزَّادُ ، وَبِهَا

---

(١) البطاء جمع بطيئة .

(٢) أي غير مبق شيئاً لا يحصيه .

ٱلْمَعَادُ : زَادٌ مُبَلِّغٌ وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ . دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ ١ . فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَفَازَ وَاعِيهَا .

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ تَقْوَى ٱللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ مَحَارِمَهُ ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ ٢. فَأَخَذُوا ٱلرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ ، وَٱلرِّيَّ بِالظَّمَإِ . وَٱسْتَقْرَبُوا ٱلْأَجَلَ فَبَادَرُوا ٱلْعَمَلَ ، وَكَذَّبُوا ٱلْأَمَلَ فَلاَحَظُوا ٱلْأَجَلَ ٣ . ثُمَّ إِنَّ ٱلدنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ أَنَّ ٱلدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ ، لاَ تُخْطِئُ سِهَامُهُ ، وَلاَ تُوسَى جِرَاحُهُ ٤ . يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِالْمَوْتِ ، وَٱلصَّحِيحَ بِالسُّقْمِ ، وَٱلنَّاجِيَ

---

(١) زاد مبلغ اي يبلغ صاحبه العقد ، والمعاذ : الملجأ ، ومنجح : يصادف عنده النجاح ، وأسمع داع هو الله تبارك وتعالى ، وخير واع : من وعاها واجاب اليها من عباده ، واسمع داعيها عمت دعوته ، وفاز : افلح .

(٢) حمت : منعت ، وقوله : « أسهرت لياليهم .. الخ » من بـاب الاتساع الذي يجرون فيه الظرف مجرى المفعول به .

(٣) النصب : التعب ، والري ــ بالفتح والكسر ــ ضد العطش ، والمراد بالاجل في الاولى المدة ، وفي الثانية الموت .

(٤) موتر ــ بالتخفيف والتشديد ــ اي على اهبة الرمي ، ولا توسى جراحه : لا تداوى .

بِالْعَطَبِ : آكِلٌ لاَ يَشْبَعُ ، وَشَارِبٌ لاَ يَنْقَعُ[1] . وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ أَنَّ ٱلْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لاَ يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لاَ يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ٱللهِ لاَ مَالاً حَمَلَ ، وَلاَ بِنَاءً نَقَلَ . وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى ٱلْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً وَٱلْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً لَيْسَ ذٰلِكَ إِلاَّ نَعِيماً زَلَّ[2] ، وَبُؤْساً نَزَلَ . وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ ٱلْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ . فَلاَ أَمَلٌ يُدْرَكُ وَلاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ ، فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا وَأَظْمَأَ رِيَّهَا وَأَضْحَي فَيْئَهَا[3] ، لاَ جَاءٍ يُرَدُّ ، وَلاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ[4] . فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَقْرَبَ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ .

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ ٱلشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ

---

(١) العطب : الهلاك ، ولا ينقع : لا يرتوي .

(٢) الغير ــ بوزن العنب ــ الاسم من قولهم غيرت الشيء فتغير ، وهو اسم مفرد مذكر وجمعها اغيار ، والمغبوط : ما يتمنى الغير ما هو فيه من النعمة ، زل : ذهب .

(٣) اضحى : برز للشمس ، والفيء : الظل بعد الزوال او مطلقا .

(٤) الجائي : الاتي ، ويريد به الموت ، ويرتد : يرجع .

شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ إلاَّ ثَوَابُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ ٱلآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ ٱلْعِيَانِ ٱلسَّمَاعُ ، وَمِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْخَبَرُ ، وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَزَادَ فِي ٱلآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ ٱلآخِرَةِ وَزَادَ فِي ٱلدُّنْيَا . فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ ، إِنَّ ٱلَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ . وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا ٱتَّسَعَ ، قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ ، فَلاَ يَكُونَنَّ ٱلْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَىٰ بِكُمْ مِنَ ٱلْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ وَٱللهِ لَقَدِ ٱعْتَرَضَ ٱلشَّكُّ وَدَخِلَ ٱلْيَقِينُ[1] ، حَتَّى كَأَنَّ ٱلَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَأَنَّ ٱلَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ[2] ، فَبَادِرُوا ٱلْعَمَلَ ، وَخَافُوا بَغْتَةَ ٱلأَجَلِ ، فَإِنَّهُ لاَ يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ ٱلْعُمُرِ مَا يُرْجَىٰ مِنْ رَجْعَةِ

---

(١) دخل ــ كعلم ــ خولط .

(٢) المضمون : الرزق ، والمفروض : العمل .

ٱلرِّزْقِ ، مَا فَاتَ مِنَ ٱلرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ ٱلْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ ٱلْيَوْمَ رَجْعَتُهُ ، ٱلرَّجَاءُ مَعَ ٱلْجَائِي ، وَٱلْيَأْسَ مَعَ ٱلْمَاضِي ، فَاتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ(١) .

علق عليها صاحب (الطراز) تعليقاً لطيفاً قال في آخره : « لو كان كلام من كلام البشر معجزة لكان هذا هو الأول ، ولو أعجز شيء من الكلام بعد الله لكان هذا هو الثاني »(٢) .

وقد روى ابن شعبة في (تحف العقول) : ص ١٥٦ قطعة كبيرة من هذه الخطبة تبتدىء من قوله عليه السلام : « إن الدنيا دار فناء وعناء ، وعبر وغير » الخ ، وروى الزمخشري صدر هذه الخطبة في أوائل (ربيع الأبرار) كما روى فصلاً منها في أوائل الجزء الثاني ابتداء من قوله عليه السلام : « ليس بشر من الشر إلا عقابه » وكل ذلك بتفاوت يسير يدل على اختصاص الزمخشري بمصدر آخر . وروى القاضي القضاعي جزءاً من هذه الخطبة في (دستور معالم الحكم) : ص ٣٣ يبتدىء من قوله عليه السلام « الدنيا دار عناء وفناء »وزاد بعد قوله عليه السلام « موتر قوسه » هذه الجملة « مفوق نبله » وروى مكان « لا تخطىء » « لا تطيش » وفي روايته أيضاً « يرمي الشباب بالهرم ، والصحيح بالسقم » الى غير ذلك من الاختلاف والزيادة التي تدل على عدم نقله من(النهج) ونثر الآمدي أكثر هذه الخطبة في مواضعها من « غرر الحكم » ورواها الطوسي في « الامالي » ج٢ ص ١٠٧ مسندة .

---

(١) حق تقاته : حق تقيته اي خوفه .
(٢) الطراز : ج ٢ ص ٣٣٥ .

١١٣ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

ٱللَّهُمَّ قَدِ ٱنْصَاحَتْ جِبَالُنَا ، وَٱغْبَرَّتْ أَرْضُنَا ، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا ، وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا ، وَعَجَّتْ عَجِيجَ ٱلثَّكَالَىٰ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا١ ، وَمَلَّتِ ٱلتَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا ، وَٱلْحَنِينَ إِلَىٰ مَوَارِدِهَا ، ٱللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ ٱلْآنَّةِ ، وَحَنِينَ ٱلْحَانَّةِ٢ ، ٱللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا ، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا . ٱللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ ٱعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ ٱلسِّنِينَ ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَائِلُ ٱلْجُودِ٣ ، فَكُنْتَ ٱلرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ ، وَٱلْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ٤ . نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ ٱلْأَنَامُ ، وَمُنِعَ ٱلْغَمَامُ ،

---

(١) هامت : ندت وذهبت على وجوهها من شدة المحل ، ويجوز ان تفسر بما يأتي في كلام الرضي ، والمرابض : المبارك ، وعجت : صرخت .

(٢) الآنة والحانة : الشاة والناقة ، يقال : ما له آنة ولا حانة .

(٣) اعتكرت : ردف بعضها بعضا ، والعكرة : الكرة ، ومخائل الجود جمع مخيلة وهي السحابة التي تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر ، والجود : المطر .

(٤) المبتئس : البئيس وهو من اشتدت حاجته ، والبلاغ الكفاية والملتمس : الطالب .

وَهَلَكَ ٱلسَّوَامُ(١) ، أَنْ لاَ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا ، وَلاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا . وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ ٱلْمُنْبَعِقِ ، وَٱلرَّبِيعِ ٱلْمُغْدِقِ ، وَٱلنَّبَاتِ ٱلْمُونِقِ ، سَحّاً وَابِلاً(٢) تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ ، ٱللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً ، تَامَّةً عَامَّةً ، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً ، هَنِيئَةً مَرِيعَةً ، زَاكِياً نَبْتُهَا ، ثَامِراً فَرْعُهَا ، نَاضِراً وَرَقُهَا(٣) ، تَنْعَشُ بِهَا ٱلضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُحْيِي بِهَا ٱلْمَيْتَ مِنْ بِلاَدِكَ . ٱللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا ، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا ، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا ، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا ، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا ، وَتَنْدَي بِهَا

---

(١) القنوط اليأس ، وقوله عليه السلام « منع » بنى الفعل للمفعول الادب انه لم يسم الفاعل .
به ، لانه كره ان يضيف المنع لله تعالى ، وهو منبع النعم فاقتضى حسن

(٢) السوام : المال الراعي واحده سائمة ،والمؤاخذة : العقوبة ،والاخذ الاستئصال ، والمنبعق : المنبعج ، كأنما هو حي انشقت بطنه فنزل ما فيها والمغدق : كثير الماء ، والمونق : المعجب ، وسحا : صبا ، والوابل : المطر الشديد .

(٣) مريعة : خصيبة ، ثامرا : مثمرا ، وناضرا : حسنا .

أَقَاصِينَا١ ، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا٢ ، مِنْ بَرَكَاتِكَ ٱلْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ ٱلْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ ٱلْمُرْمِلَةِ ، وَوَحْشِكَ ٱلْمُهْمَلَةِ ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً٣ مِدْرَاراً هَاطِلَةً ، يُدَافِعُ ٱلْوَدْقُ مِنْهَا ٱلْوَدْقَ ، وَيَحْفِزُ ٱلْقَطْرُ مِنْهَا ٱلْقَطْرَ٤ غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا ، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا٥ ، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا ، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا ، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا ٱلْمُجْدِبُونَ ، وَيَحْيَى بِبَرَكَتِهَا ٱلْمُسْنِتُونَ٦ ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ .

---

(١) تنعش : ترفع . والنجاد : ما ارتفعمن الارض ،والوهاد ما انخفض منها ، والجناب : الناحية ، واقاصينا ، اطراف بلادنا .

(٢) الضواحي : النواحي القريبة من المدينة الكبرى .

(٣) المرملة الفقيرة ، المهملة : التي لا راعي لها ، والمخضلة : تخضل النبت أي تبله .

(٤) الودق : المطر ، ويحفز : يدفع .

(٥) برق خلب : لا مطر معه ، العارض : السحاب ، وجهام : لا ماء فيه .

(٦) المجدبون : اهل الجدب ، والمسنتون : من اصابتهم السنة وهي المحل ، وبقية التفسير تجده في المتن .

تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب

قوله عليه السلام: « انصاحت جبالنا » أي تشققت من المحول، يقال: انصاح الثوب اذا انشق · ويقال: انصاح النبت وصاح وصوّح اذا جف ويبس. وقوله: « وهامت دوابنا » أي عطشت، والهيام العطش. وقوله: « حدابير السنن » ـ جمع حدبار ـ وهي الناقة التي أنضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب، قال ذو الرمة:

حدابير ما تنفك الا مناخة على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا

وقوله: « ولا قزع ربابها » القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب. وقوله: « ولا شفان ذهابها » فان تقديره ولا ذات شفان ذهابها والشفان الريح الباردة، والذهاب الامطار اللينة. فحذف ذات لعلم السامع به.

ما نقله الرضي هنا مختار خطبة طويلة رواها الصدوق في (الفقيه) ج١ ص٣٣٥، والطوسي في (مصباح المتهجد)(١) في آداب صلاة الاستسقاء باختلاف وزيادة ونقصان يدل على أن لكل من الصدوق والرضي والطوسي مصدراً اختص به.

وروى الزمخشري في باب السحاب والمطر من (ربيع الأبرار) فصلاً من هذه الخطبة من قوله عليه « اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين » الى قوله سلام الله عليه « ويحفز القطر ».

(١) انظر مدارك نهج البلاغة : ص٢٥٠.

وفي « نهاية » ابن الاثير : ج١ ص ٣٥٠ مادة (حدبر) قال :في حديث علي رضي الله عنه في الاستسقاء « اللهم إنا خرجنا إليك وقد اعتكرت علينا حدابير السنين » الحدابير جمع حدبار ، وهي الناقة التي بدا عظم ظهرها ، ونشزت حراقيفها من الهزال ، فشبه فيها السنين التي يكثر فيها الجدب والقحط ، اهـ. فلاحظ أن رواية الرضي « حين اعتكرت » ورواية ابن الأثير « وقد اعتكرت » لتعلم من ذلك أنه لم ينقلها عن (النهج) .

وقال ابن الاثير في (النهاية) أيضاً : ج٢ ص١٧٣ مادة (ذهب) وفي حديث علي في الاستسقاء « لا قزع ربابها ، ولا شفّان ذهابها » الذهاب : الامطار اللينة واحدها ذهبة – بالكسر – وفي الكلام مضاف محذوف تقديره ولا ذات شفان ذهابها ، وأعاد ذلك في مادة (شفن) ج٢ ص ٤٨٨ .

١١٤ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى ٱلْحَقِّ ،وَشَاهِداً عَلَى ٱلْخَلْقِ ، فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلاَ مُقَصِّرٍ ، وَجَاهَدَ فِي ٱللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلاَ مُعَذِّرٍ١ . إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى ، وَبَصَرُ مَنِ ٱهْتَدَى .

(مِنْهَا) لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱلصُّعُدَاتِ٢ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ،

---

(١) الواهن : الضعيف ، والمعذر : من لا يثبت له عذر .
(٢) الصعدات – بضمتين – جمع صعيد بمعنى الطريق ، والالتدام ضرب الصدر والوجه : عند المصيبة .

وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لاَ حَارِسَ لَهَا ولاَ خَالِفَ عَلَيْهَا ،وَلَهَمَّتْ كُلَّ ٱمْرِىءٍمِنْكُمْ نَفْسُهُ١ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا ، وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ ، قَوْمٌ وَٱللهِ مَيَامِينُ ٱلرَّأْيِ ، مَرَاجِيحُ ٱلْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ ، مَضَوْا قُدُماً ٢ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ ، وَٱلْكَرَامَةِ ٱلْبَارِدَةِ٣ أَمَا وَٱللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيفٍ

---

(١) الخلف من يترك في الاهل والمال عند الخروج للسفر والحرب، وهمت : شغلت .

(٢) ميامين جمع ميمون اي مبارك ، ومراجيح : رزناء ، والحلم :العقل ومقاويل جمع مقوال : من يحسن القول ، ومتاريك جمع متراك المبالغ في الترك ، القدم ــ بضمتين ــ المضي الى الامام اي سابقين .

(٣) اوجفوا : اسرعوا ، والمحجة : الطريقة المستقيمة ، والكرامةالباردة التي تؤخذ بدون حرب والمراد هنا : العيش الهنيء .

ٱلذَّيَّالُ ٱلْمَيَّالُ[1] ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ .

قال الرضي رحمه الله تعالى : أقول : الوذحة الخنفساء . وهذا القول يومىء به الى الحجاج، وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره.

هذه الخطبة من الخطب التي ركـّز عليها المشككون في « النهج » لمـا تشتمل عليه من ذكر الحجاج وتسلطه على أهل الكوفة وهو إخبار بمغيّب ولم يك علي عليه السلام يعلم الغيب وقد ذكرنا الجواب عن هذه الشبهة فيما تقدم من هذا الكتاب[2] ونذكر بعض الناقلين لأخبار أمير المؤمنين عن الحجاج قبل الشريف الرضي وبعده :

١ ــ أحمد بن عبد ربه المالكي في « العقد الفريد » : ٦ ص ٢٤٩ .

٢ ــ علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٣٣ في « مروج الذهب » ج٣ ص ١٥٠.

٣ ــ محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ في « تهذيب اللغة » : ج٧ ص١٠١ مادة (خضر) قال : وفي حديث علي رضي الله عنه أنـــه خطب بالكوفة في آخر عمره فقال : (اللهم سلط عليهم فتى ثقيف الذيال المنان يلبس فروتها ويأكل خضرتها) فهو هنا ينص على أنه قال ذلك في خطبة له عليه السلام

٤ ــ أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه من أعلام القرن الثالث في « البلدان » : ص ١٨١ .

---

(١) الذيال : الذي يجر ذيله تبخترا ، والميال : الذي يتمايل تجبرا .
(٢) ج ١ ص ١٧٢ .

٥ — أحمد بن محمد الهروي في « الجمع بين الغريبين » على ما نقله ابن الأثير في « النهاية » ج٢ ص ٤١ قال : في حديث علي : (اللهم سلط عليهم فتى ثقيف الذيال يلبس فروتها ويأ كل خضرتها) .

٦ — المتقي الهندي عقد لأخبار علي عليه السلام عن الحجـــاج باباً في « كنز العمال » ج٦ ص٨٧ عن دلائل البيهقي . بطريقين (الاول) عن الحسن البصري (الثاني) عن مالك بن أوس بن أبي الحدثان .

٧ — ابن الأثير في « النهاية » ج٥ ص١٧٠ مـــادة (وذح) قال : في حديث علي رضي الله عنه : (أما والله ليسلطن عليكم غـلام ثقيف الذيال الميال ، إيه أبا وَذَحَة) .

٨ — الديلمي في (الإرشاد) ج ١ ص٣٣ بتفاوت يسير جداً .

١١٥ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا ، وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا . تَكَرَّمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ(١) ، وَلاَ تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ . فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ

قد ذكر ابن أبي الحديد اختلاف الرواية في هذا الكلام ، ويشم من ذلك أنه عثر عليها في غير (نهج البلاغة) .

---

(١) اي ان عباد الله يكرمونكم ويطيعونكم لاجل الله وانتمائكم لطاعتـــه ولا تكرمون الله وتطيعونه في نفع عباده والاحسان اليهم .

١١٦ – ومن كلام له عليه السلام

أَنْتُمُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَى ٱلْحَقِّ ، وَٱلْإِخْوَانُ فِي ٱلدِّينِ ، وَٱلْجُنَنُ يَوْمَ ٱلْبَأْسِ ، وَٱلْبِطَانَةُ دُونَ ٱلنَّاسِ(١) . بِكُمْ أَضْرِبُ ٱلْمُدْبِرَ ، وَأَرْجُو طَاعَةَ ٱلْمُقْبِلِ . فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ ٱلْغِشِّ سَلِيمَةٍ مِنَ ٱلرَّيْبِ . فَوَٱللهِ إِنِّي لَأَوْلَى ٱلنَّاسِ بِالنَّاسِ .

رواه الطبري في (التاريخ) وابن قتيبة في (الامامــة والسياسة) ج١ ص ١٢١ .

وقال ابن أبي الحديد : « اعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل وقد ذكره المدائني والواقدي في كتابيهما(٢) .

١١٧ – ومن كلام له عليه السلام

وَقَدْ جَمَعَ ٱلنَّاسَ وَحَضَّهُمْ عَلَى ٱلْجِهَادِ فَسَكَتُوا مَلِيّاً فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ ؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ ،

---

(١) الجنن جمع جـنة ـ بالضم ـ الوقايـة ، والبطانـة : الخواص واصحاب السر .

(٢) شرح نهج البلاغة م ٢ : ٢٥٩ .

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ : لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ ، وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ١ ، أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ ٱلْجُنْدَ وَٱلْمِصْرَ وَبَيْتَ ٱلْمَالِ وَجِبَايَةَ ٱلْأَرْضِ وَٱلْقَضَاءَ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَٱلنَّظَرَ فِي حُقُوقِ ٱلْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجُ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَىٰ أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ ٱلْقِدْحِ فِي ٱلْجَفِيرِ ٱلْفَارِغِ٢ ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ ٱلرَّحَىٰ تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ ٱسْتَحَارَ مَدَارُهَا ، وَٱضْطَرَبَ ثِفَالُهَا٣ هٰذَا لَعَمْرُ ٱللهِ ٱلرَّأْيُ ٱلسُّوءُ. وَٱللهِ لَوْلَا رَجَائِي ٱلشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي ٱلْعَدُوَّ – لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ – لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ. إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي

---

(١) دعاء عليهم ان لايوفقوا للرشد : ضد الغي ، والقصد : العدل .

(٢) القدح – بالكسر والسكون – السهم قبل ان يراش ، والجفير الكنانة توضع فيها السهام .

(٣) سيأتي تفسيره في المتن .

كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ٤ مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ ٱلَّتِي لاَ يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلاَّ هَالِكٌ ، مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى ٱلنَّارِ .

قال في « النهاية الاثيرية » : ج١:٢١٥ مادة « ثفل » : في حديث علي رضي الله عنه : « وتدقهم الفتن دق الرحا بثفالها » الثفال – بالكسر – جلدة تبسط تحت رحا اليد ليقع عليها الدقيق ، وتسمى الحجر الأسفل ثفالاً بها ، والمعنى انها تدقهم دق الرحا للحب اذا كانت منفَّلة ، ولا تثفَّل إلا عند الطحن ، ومنه حديثه الآخر،« استدار مدارها ، واضطرب ثفالها » .

وقال ابن أبي الحديد : هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في بعض غارات أهل الشام على أطراف أعماله بعد انقضاء أمر صفين والنهروان [٢] .

١١٨ – وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ ٱلرِّسَالاَتِ ، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ ، وَتَمَامَ ٱلْكَلِمَاتِ. وَعِنْدَنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ أَبْوَابُ ٱلْحِكَمِ وَضِيَاءُ ٱلْأَمْرِ. أَلاَ وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ ،

---

(٤) حم : قدر ، وشخصت : خرجت ، والجنوب : الريح المقابلة للشمال ، والغناء – بالفتح والمد – النفع .

(٢) شرح النهج ٢ ص ٢٥٩

وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ¹ . مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ. اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ. وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ². وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ³ . أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ⁴ .

أول هذا الكلام مروي قبل (نهج البلاغة) في (كتاب سليم بن قيس) ص ١٤٢ وبقيته منثور في (غرر الحكم) على الصفحات التالية : (٨١ و٨٢ و٨٣) وروى مكان «اللسان الصالح» ، «اللسان الصدق» وفي هذا ما يفيد أنه أخذه من كتاب آخر .

وقال ابن أبي الحديد : رواها قوم « لقد علمت » بالتخفيف وفتح العين ، وفي قوله : رواها ما يشعر أنهم رووها في غير (نهج البلاغة) ولو كان قصده في (النهج) لقال قرأها قوم ، ثم قال في تفسير هذه الخطبة :تبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاة الرسول ﷺ ، وفيه اشارة إلى قوله تعالى :

---

(١) قاصدة : قريبة سهلة .

(٢) تبلى فيه السرائر : تختبر ، واللب : العقل ، وعازبه : غافله والمعنى من لم ينتفع بعقله الحاضر عنده ، لا ينتفع بعقل غيره الغائب عنه .

(٣) الصديد : الماء الذي يخرج من الجرح او القرح .

(٤) اللسان الصالح : الذكر الطيب يخلفه بعد موته في الناس .

(يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله)[1] وإلى قول النبي ﷺ في قصة براءة : « لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني) واتمام العدات : انجازها ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)[2] وإلى قول النبي ﷺ في حقه عليه السلام : « قاضي ديني ومنجز موعدي » وتمام الكلمات : تأويل القرآن وفيه إشارة إلى قوله تعالى : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً)[3] وإلى قول النبي ﷺ في حقه : « اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه » ثم قال : وخلاصة هذا أنه أقسم بالله أنه قد علم أو علّم — على اختلاف الروايتين — أداء الشرائع إلى المكلفين ، والحكم بينهم بما أنزل الله ، وعلم مواعيد رسول الله التي وعد بها — إلى أن قال — : وعلم تمام كلمات الله تعالى أي تأويلها و بيانها الذي يتم به ، لأن في كلامه تعالى المجمل الذي لا يستغني عن متمم ومبين يوضحه — إلى أن قال : — وهذا مقام عظيم لا يجسر أحد من المخلوقين يدعيه سواه عليه السلام ولو أقدم أحد على ادعائه غيره لكذب وكذبه الناس[4] .

١١٩ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : نَهَيْتَنَا عَنِ ٱلْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَمَا نَدْرِي أَيُّ ٱلْأَمْرَيْنِ

---

(١) الاحزاب : ٣٩ .

(٢) الاحزاب : ٢٣ .

(٣) الانعام : ١١٥ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٦٠ .

أَرْشَدُ ؟ فَصَفَّقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِحْدٰى يَدَيْهِ عَلَى ٱلْأُخْرٰى ثُمَّ قَالَ :

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ ٱلْعُقْدَةَ١ . أَمَا وَٱللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ ٱلَّذِي يَجْعَلُ ٱللهُ فِيهِ خَيْراً ، فَإِنِ ٱسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ ، وَإِنِ ٱعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتِ ٱلْوُثْقٰى٢ ، وَلٰكِنْ بِمَنْ وَإِلٰى مَنْ ؟ . أُرِيدُ أَنْ أُدَاوَى بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ ٱلشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا٣ . اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا ٱلدَّاءِ ٱلدَّوِيِّ ، وَكَلَّتِ ٱلنَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ ٱلرَّكِيِّ٤ . أَيْنَ

---

(١) العقدة : الراي الوثيق .

(٢) الوثقى : الفعلة المحكمة

(٣) الضلع : الميل ، وناقش الشوكة بالشوكة من الامثال التي استشهد بها عليه السلام في كلامه فقد كانوا يقولون : (لا تنقش الشوكة بالشوكة) اي لا تنقش الشوكة الناشبة بالرجل بشوكة مثلها والمراد لا يصلح الفاسد بمثلـه .

(٤) الدوي : الشديد ، والاشطان جمع شطن وهو الحبل ، والركي : الآبار جمع ركية أي البئـر .

ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ دُعُوا إِلَى ٱلْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ، وَقَرَأُوا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ . وَهِيجُوا إِلَى ٱلْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ ٱللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا١ ، وَسَلَبُوا ٱلسُّيُوفَ أَغْمَادَهَا . وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفًّا صَفًّا . بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا . لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ ٱلْمَوْتَى٢ . مُرْهُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ ٣ ، خُمْصُ ٱلْبُطُونِ مِنَ ٱلصِّيَامِ ، ذُبْلُ ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلدُّعَاءِ . صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ ٱلسَّهَرِ . عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ ٱلْخَاشِعِينَ . أُولٰئِكَ إِخْوَانِي ٱلذَّاهِبُونَ . فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ ٱلْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ . إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ٤ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ . فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ .

---

(١) الوله : شدة الحب حتى يذهب بالعقل ، واللقاح ــ بكسر اللام ــ الابل والواحد لقوح وهي الحلوب .

(٢) اي انهم جردوا عن العلائق الدنيوية ، فلا يفرح احدهم بمولود ، ولا يحزن على مفقود .

(٣) يقال : مرهت العين مرها اذا فسدت من ترك الكحل .

(٤) يسني : يسهل

وَٱقْبَلُوا ٱلنَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَٱعْقِلُوهَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ[1] .

هذا الكلام مروي في كتب سابقة لـ (نهج البلاغة) ولاحقة بـه بصور نحكم بها أن لكل واحد منها طريقه في الرواية، مثل :

١ – العقد الفريد ج٢ : ١٦٥ .

٢ – مطالب السؤل ج١ : ١٠٠ .

٣ – الارشاد للمفيد ص١٣٩ وفي الاختصاص ص ١٥٣ عن كتـاب ابن دأب المعاصر للهادي العباسي .

٤ – الاحتجاج ج١ ص٢٧٣ .

٥ – ربيع الأبرار للزمخشري ج١ ص١٣٠ مخطوطة الأوقاف بغداد في باب الخير والصلاح ، رواه من قوله صلى الله عليه وعلى أبنائـه الطـاهرين : (أين الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه – إلى قوله عليه السلام – ونعض الأيدي على فراقهم) باختلاف يسير معناه أنه لم ينقله عن « النهج » مثـل : (أين الذين دعوا ...) ورواية « النهج » : (اين القوم الذين ...) و (لا يعزون بالقتلى) وفي النهج (الموتى) و (من الطوى) وفي (النهج) من (الصيام) و (من الظما) وفي « النهج » (من الدعاء) كما أن أكثر هذا الكلام منثور في « غرر الحكم » و لست بحاجة الى الاشارة الى مواضعه والحمد لله .

---

(١) اصدفوا : اعرضوا ، ونزغات الشيطان : ما ينزغ – بالفتح – اي يفسد ويغري ، ونفثاته : ما ينفث بـه – بالضم والكسر – اي ما يخيـل ويزين ، اعقلوها : اربطوها اي الزقوهـا .

١٢٠ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله للخوارج وقد خرج الى معسكرهم وهم مقيمون على انكار الحكومة فقال عليه السلام:

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ: فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاًّ بِكَلامِهِ. وَنَادَى ٱلنَّاسَ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلامِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا. ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ بِكَلامٍ طَوِيلٍ (مِنْهُ):

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ ٱلْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً، وَمَكْراً وَخَدِيعَةً: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ٱسْتَقَالُونَا وَٱسْتَرَاحُوا إِلَىٰ كِتَابِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ، فَالرَّأْيُ ٱلْقَبُولُ مِنْهُمْ وَٱلتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ. فَقُلْتُ لَكُمْ: هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ

عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ . فَأَقِيمُوا عَلَىٰ
شَأْنِكُمْ ، وَٱلْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى ٱلْجِهَادِ
بِنَوَاجِذِكُمْ . وَلاَ تَلْتَفِتُوا إِلَىٰ نَاعِقٍ نَعَقَ : إِنْ أُجِيبَ
أَضَلَّ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ ، وَقَدْ
رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا(١) ، وَٱللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ
عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلاَ حَمَّلَنِي ٱللهُ ذَنْبَهَا . وَوَٱللهِ إِنْ جِئْتُهَا
إِنِّي لَلْمُحِقُّ ٱلَّذِي يُتَّبَعُ . وَإِنَّ ٱلْكِتَابَ لَمَعِي . مَا
فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ . فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَبْنَاءِ وَٱلْإِخْوَانِ
وَٱلْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَىٰ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلاَّ
إِيمَاناً ، وَمُضِيّاً عَلَى ٱلْحَقِّ ، وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ ، وَصَبْراً
عَلَىٰ مَضَضِ ٱلْجِرَاحِ . وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا
فِي ٱلْإِسْلاَمِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ ٱلزَّيْغِ وَٱلاعْوِجَاجِ
وَٱلشُّبْهَةِ وَٱلتَّأْوِيلِ . فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ ٱللهُ

---

(١) انتم الذين اعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برأيكم .

بِهَا شَعْثَنَا وَنَتَدَانَى بِهَا إِلىٰ ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغِبْنَا فِيهَا وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا١.

قال ابن أبي الحديد : هذا كلام يتلو بعضه ولكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدها بالآخر وهذه عادة الرضي تراه ينتخب من جملة الخطبة الطويلة كلمات فصيحة يوردها على سبيل التتالي وليست متتالية حين تكلم بها صاحبها وسنقطع كل فصل منها عن صاحبه ، ثم ذكر أن آخر الفصل الاول قوله عليه السلام : « إن اجيب ضل وإن ترك ذل » ثم ذكر أن قوله عليه السلام: « ولقد كنا مع رسول الله ﷺ – إلى قوله صلوات الله عليه : « وصبراً على مضض الجراح » كلام آخر قائم بنفسه وهو آخر الفصل الثاني ، ثم قال : فأما قوله : « لكنا إنما أصبحنا » فهو كلام ثالث غير منوط بالأولين غير ملتصق بهما ، وهو في الظاهر مناقض ومخالف للفصل الأول ، لأن الأول فيه وهذا يتضمن تصويبها ، وظاهر الحال أنه بعد كلام طويل ، وقد قال الرضي في أول الفصل : إنه من جملة كلام طويل ، وأنه لما ذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائماً وهو اني حكّمت على أن يعمل في هذه الواقعة بحكم الكتاب، وإن كنت احارب قوماً ادخلوا في الاسلام زيفاً وأحدثوا به اعوجاجاً فلما دعوني إلى تحكيم الكتاب أمسكت ، وأبقيت عليهم ، لأني طمعت في أمر يلمّ الله به شعث المسلمين (٢) .

وذكر هذا الكلام بأقصر مما في « النهج » الطبرسي في « الاحتجاج » ج١ ص٢٧٤ قال عليه السلام : وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على

---

(١) المراد من الخصلة بالفتح هنا الوسيلة . ولم شعثه : جمع امره. ونتدانى : نتقارب الى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .

(٢) شرح النهج م ٢ ص ٢٦٤ .

إنكار الحكومة بعد كلام طويل : « ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة .. الخ » .

١٢١ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله لاصحابه في ساحة الحرب

وَأَيُّ ٱمْرِيءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ(١) ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ(٢) بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ ٱلَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ ، إِنَّ ٱلْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ ، لاَ يَفُوتُهُ ٱلْمُقِيمُ ، وَلاَ يُعْجِزُهُ ٱلْهَارِبُ ، إِنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَتْلُ . وَٱلَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى ٱلْفِرَاشِ .

(مِنْهُ) وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ

---

(١) رباطة الجأش : قوة القلب عند اللقاء .

(٢) فليذب : فليدفع .

ٱلضِّبَابِ ١ ، لاَ تَأْخُذُونَ حَقاً وَلاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً ، قَدْ خُلِّيتُمْ وَٱلطَّرِيقَ ، فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَٱلْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ ٢

تجد هذا الكلام متفرقاً في الكتب الآتية :

١ ـ « اصول الكافي » ج٥ ص٥٣ في باب فضل الجهاد .

٢ ـ « العقد الفريد » ج٤ ص٣٣٨ .

٣ ـ « الجمل » المفيد : ص١٩٠ عن كتاب « الجمل » للواقدي .

٤ ـ « الإرشاد » للمفيد : ص١٣٩ و١٥٩ .

٥ ـ « تجارب الامم » لابن مسكويه على ما حكاه السيد الصدر في « تأسيس الشيعة » : ص٤١٥ .

٦ ـ « أمالي الطوسي » : ج١ ص٢٢٠ .

وأعلم أن من قوله عليه السلام : (وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب ..) إلى آخر الكلام في النسخة التي عليها شرح ابن أبي الحديد كلام آخر بينما في بقية النسخ أنه تابع لما قبله [1] والمظنون أن ما في نسخة ابن أبي الحديد من سهو النساخ ولا يضر ذلك بعد إثبات أن هذا الكلام بقسميه مروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتب العلماء قبل « نهج البلاغة » وبعده كما سترى .

---

(١) الضباب جمع ضب الحيوان المعروف ، وكشيشها صوت جلودها عند ازدحامها .

(٢) يعني بالطريق : طريق الاخرة ، والمقحم الذي يرمي بنفسه في غمرات الحرب ، والمتلوم : المتوقف .

١٢٢ — ومن كلام له عليه السلام

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا ٱلدَّارِعَ ، وَأَخِّرُوا ٱلْحَاسِرَ١ ، وَعَضُّوا عَلَى ٱلْأَضْرَاسِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ . وَٱلْتَوُوا فِي أَطْرَافِ ٱلرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ٢ . وَغُضُّوا ٱلْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ ، وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ ، وَرَايَتَكُمْ فَلاَ تُمِيلُوهَا وَلاَ تُخِلُّوهَا ، وَلاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَٱلْمَانِعِينَ ٱلذِّمَارَ مِنْكُمْ٣ ، فَإِنَّ ٱلصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ هُمُ ٱلَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ ، وَيَكْتَنِفُونَ حِفَافَيْهَا٤ ، وَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا . وَلاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا

---

(١) الدارع : لابس الدرع ، والحاسر من لا درع عليه

(٢) انبى من نبأ السيف اذا لم يقطع ، وأمور : اشد حركة ونفوذا .

(٣) الذمار : ما يجب على الرجل ان يحميه ، وسمي ذمارا لانه يجب على اهله التذمر أي الغضب له .

(٤) الحقائق : الشدائد ، وحفافيها : جانباها .

وَلاَ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا . أَجْزَأَ ٱمْرُؤٌ قِرْنَهُ ، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ١ ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ٢ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ ٱلْعَاجِلَةِ لاَ تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ ٱلآخِرَةِ . وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ وَٱلسَّنَامُ ٱلأَعْظَمُ . إِنَّ فِي ٱلْفِرَارِ مَوْجِدَةَ ٱللهِ٣ ، وَٱلذُّلَّ ٱللاَّزِمَ ، وَٱلْعَارَ ٱلْبَاقِيَ . وَإِنَّ ٱلْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلاَ مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ . ٱلرَّائِحُ إِلَى ٱللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ ٱلْمَاءَ . ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ ٱلْعَوَالِي٤ . ٱلْيَوْمَ تُبْلَى ٱلأَخْبَارُ . وَٱللهِ لأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا ٱلْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ٥ . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ

(١) أجزأ : كفى ، والقرن ـ بكسر القاف ـ المقارن في القتال ، وآسى: واسى .

(٢) اي لا يفر من قرنه اعتمادا على أخيه في دفعه فيجتمع على اخيه قرنه وقرن أخيـــه .

(٣) لهاميم العرب : اجوادهم ، والموجدة : الغضب .

(٤) العوالى : الرماح الطوال .

(٥) ابسلهم : اسلمهم للهلكة .

دِرَاكٍ[1] . يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلنَّسِيمُ[1] ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ ٱلْهَامَ ، وَيُطِيحُ ٱلْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ ٱلسَّوَاعِدَ وَٱلْأَقْدَامَ[2] وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا ٱلْمَنَاسِرُ ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا ٱلْحَلَائِبُ[3]. وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ ٱلْخَمِيسُ يَتْلُوهُ ٱلْخَمِيسُ ، وَحَتَّى تَدْعَقَ ٱلْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ[4]

قال الرضي رحمه الله : أقول : الدعق: الدق ، أي تدق الخيول بحوافرها أرضهم ، ونواحر أرضهم : متقابلاتها يقال : منازل بني فلان تتناحر : أي تتقابل .

أول هذه الخطبة : « أيها الناس ، إن الله تعالى ذكره قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب ، وتشفي بكم على الخير ، إيمان بالله ورسوله ، وجهاد في

---

(١) طعن دراك : متتابع ، يتبع بعضه بعضا ، يخرج منه النسيم لسعته او المراد بالنسيم : النفس

(٢) يفلق الهام : يشقها ويندر السواعد : يسقطها .

(٣) المناسر جمع منسر وهو القطعة من الجيش ، ويرجموا : يغزوا والكتائب جمع كتيبة وهي الطائفة من الجيش ، والحلائب : الانصار قد حلبوا اذا جاؤا من كل اوب للنصرة ، ورجل حالب اي ناصر .

(٤) الخميس : سمي بذلك لاشتماله على الميمنة والميسرة ، والقلب والجناحين ، ونواحر ارضهم : اقاصيها ، واعنان مساربهم : اقطارها والمسارب ما يسرب فيه المال الراعي ، والمسرح ما يسرح فيه ، والفرق بين سرح وسرب أن السروح يكون أول النهار وليس ذلك بشرط في السروب .

سبيله ، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ، ومساكن طيبة في جنات ورضوان من الله أكبر ، وأخبركم بالذي يحب فقال : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع ، وأخروا الحاسر .. إلى آخر الخطبة » .

روى ذلك نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » على ما نقله ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : م١ ص٤٨٤ ، وهي مذكورة في المطبوع من كتاب « صفين » ص ٢٣٥ ولكن رواية ابن أبي الحديد أكمل ، ورواها الطبري في « التاريخ » : ج٦ ص٩ في حوادث سنة ٣٧ بسنده عن أبي مخنف عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهني كرواية ابن مزاحم ، وهي مروية أيضاً في كتاب الجهاد من « الكافي » ج٥ ص٣٩ ، وفي كتاب «الفتوح» لأحمد بن أعثم الكوفي : ج٣ ص٧٣ .

وقال ابن أبي الحديد : وهذه الألفاظ لا يتبع بعضاً وإنما هي منتزعة من كلام طويل انتزعها الرضي رحمه الله واطرح ما عداها[1] .

١٢٣ — ومن كلام له عليه السلام

في الخوارج لما أنكروا عليه تحكيم الرجال ، ويذم فيه أصحابه في التحكيم

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ ٱلرِّجَالَ وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا ٱلْقُرْآنَ ، وَهٰذَا ٱلْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ ٱلدَّفَّتَيْنِ[2] لاَ يَنْطِقُ

---

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٢٦٨

(٢) الدفتان صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف

بِلِسَانٍ ، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ ٱلرِّجَالُ ، وَلَمَّا دَعَانَا ٱلْقَوْمُ إِلىٰأَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا ٱلْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ ٱلْفَرِيقَ ٱلْمُتَوَلِّي عَنْ كِتَابِ ٱللهِ تَعَالىٰ ، وَقَدْ قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللهِ وَٱلرَّسُولِ)١ فَرَدُّهُ إِلَى ٱللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ ٱللهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَحْنُ أَوْلاَهُمْ بِهِ ، وَأَمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي ٱلتَّحْكِيمِ ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ ٱلْجَاهِلُ ، وَيَتَثَبَّتَ ٱلْعَالِمُ ، وَلَعَلَّ ٱللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ ٱلْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ، وَلاَ تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا٢ فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ ٱلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ ٱلْغَيِّ . إِنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ مَنْ كَانَ ٱلْعَمَلُ

---

(١) النساء : ٥٨ .

(٢) الاكظام جمع كظم محركة : مخرج النفس ، والاخذ بالاكظام : المضايقة .

بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ – وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ[1] – مِنَ ٱلْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ . فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ! . وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ !. اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ ٱلْحَقِّ لاَ يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لاَ يَعْدِلُونَ بِهِ . جُفَاةٍ عَنِ ٱلْكِتَابِ ، نُكُبٍ عَنِ ٱلطَّرِيقِ[2]. مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا ، وَلاَ زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا[3]. لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ ٱلْحَرْبِ أَنْتُمْ[4] . أُفٌّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحاً ، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ ، فَلاَ أَحْرَارٌ عِنْدَ ٱلنِّدَاءِ ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلنَّجَاءِ[5].

---

(١) كرثه : اشتد عليه وبلغ منه المشقة .

(٢) موزعين : ملهمين ، وجفاة : اي أجلاف لا افهام لهم ، ونكب جمع ناكب وهو المنحرف عن السبيل .

(٣) الوثيقة : الثقة ، ويعلق بها يؤخذ ، والزوافر : العشيرة والانصار

(٤) حشاش الحرب : موقدوا نارها .

(٥) اف – بضم الفاء وفتحها وكسرها ، وتنون بالثلاث ايضا – : كلمة استقذار ،والبرح – بالتحريك – الشدة وتروى « ترحا » اي حزنا ، وقوله « فلا احرار » الخ اي لا تجيبون ندائي ، فتنصروني اذا ناديتكم ، ولا تكتمون السر اذا ناجيتكم ، والنجاء : كلام السر .

قال الطبري في « التاريخ » ج٦ ص٣٧ في حوادث سنة ٣٧ « خرج (علي) حتى انتهى اليهم (الخوارج) وهم يخاصمون ابن عباس فقال : انته عن كلامهم ألم أفهمك رحمك الله ؟ ثم تكلم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال : اللهم هذا مقام من أفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث [1] فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، ثم قال لهم : من زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكواء ، قال علي فما أخرجكم علينا ؟ قالوا حكومتكم يوم صفين قال : انشدكم بالله اتعلمون أنكم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله ، قلت لكم : إني أعلم بالقوم منكم إنهم ليس بأصحاب دين ولا قرآن ، إني صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال ، امضوا على حقكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً ومكيدة [2] فرددتم عليّ رأيي ، وقلتم : لا بل نقبل منهم ، فقلت لكم : اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي ، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحاكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ، وأن يميتا ما أمات القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم بما في القرآن ، وإن أبيا فنحن من حكمهما براء ، قالوا : فخبرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكمنا الرجال وانما حكمنا القرآن ... الخ ولكنه بأخصر مما ذكر الرضي رحمه الله .

ومثله ما رواه سبط ابن الجوزي في « التذكرة » ص١٠٠ عن هشام بن الكلبي . وفي « إرشاد المفيد » ص ١٥٧ أن هذا الكلام كلم به الخوارج بظاهر الكوفة بعد رجوعه اليها ورواه الطبرسي في « الاحتجاج » ج١ ص ٢٧٥ كما في « النهج » مع اختلاف بسيط جداً .

---

(١) الفلج : الظفر والفوز ، وأوعث : وقع في الوعث (بالسكون) المكان السهل الدهس الذي تغيب فيه لاقدام وهو الطريق العسر

(٢) الادهان : الغش .

١٢٤ — ومن كلام له عليه السلام

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ ٱلنَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِي مَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ . وَٱللهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ١ ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي ٱلسَّمَاءِ نَجْماً٢ . لَوْ كَانَ ٱلْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا ٱلْمَالُ مَالُ ٱللهِ . أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَاءَ ٱلْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي ٱلْآخِرَةِ ، وَيُكَرِّمُهُ فِي ٱلنَّاسِ ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ ٱللهِ . وَلَمْ يَضَعِ ٱمْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ ٱللهُ شُكْرَهُمْ ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ ٱلنَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ٣ ، وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ .

---

(١) اطور به : اقربه ، والسمير : الدهر ، وفي المثل ، ما سمر سمير ، وما سمر ابنا سمير وابنا سمير الليل والنهار لانه يسمر بهما ، اي لا افعل ذلك ما دام الناس يسمرون .

(٢) أمّ : قصد ، أو تقدم لان النجوم تتبع بعضها بعضا فلا بد فيها من تقدم وتأخر فلا يزال نجم يقصد نجما غيره ، ولا يزال نجم يتقدم آخر

(٣) الخدين : الصديق

هنا مختار كلام له طويل قاله عليه السلام لطائفة من أصحابه ، لما رأوا ما يفعله معاوية من بذل الأموال لأصحابه والمنقطعين اليه ، وتفضيل بعضهم على بعض في العطاء ، قالوا لأمير المؤمنين عليه السلام : إن عامة الناس أصحاب دنيا ، لها يسعون ، وفيها يكدحون ، فلو أعطيت من هذا المال ، وفضلت الأشراف من العرب ، وقريشاً على الموالي ، ومن تخاف خلافه وفراقه ، حتى إذا استتب لك ما تريد عدت الى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعية ، والقسم بالسوية ، فقال عليه السلام: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور ..الخ.

روى ذلك جماعة قبل الرضي وبعده منهم :

١ - المدائني على ما حكاه ابن أبي الحديد في (شرح النهج) م١ ص١٨٢

٢ - ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) : ج١ ص١٥٣ .

٣ - ابن شعبة في (تحف العقول) : ص١٣١ .

٤ - الكليني في (فروع الكافي) : ج٤ ص٣١ .

٥ - المفيد في (المجالس) : ص ٩٥ .

٦ - الطوسي في (الأمالي) : ج١ ص١٩٧ .

وغيرهم ..

ومما هو جدير بالذكر أن الكلام الذي يأتي برقم : (١٣٩) وأوله : (وليس لواضع المعروف في غير حقه ... الخ) تابع لهذا الكلام ، تعرف حقيقة ذلك إذا رجعت الى المصادر المذكورة .

١٢٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

للخوارج ايضاً

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِضَلاَلِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَإِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي. سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ ٱلْبُرْءِ وَٱلسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ ٱلْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ. وَقَتَلَ ٱلْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ ٱلسَّارِقَ وَجَلَدَ ٱلزَّانِيَ غَيْرَ ٱلْمُحْصَنِ. ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَيْءِ وَنَكَحَا ٱلْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ ٱللهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ ٱلإِسْلاَمِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ[١]. ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ ٱلنَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ ٱلشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ[٢].

(١) الضمير في أهله يعود على الاسلام

(٢) رمى به: اضله كأنه رماه مرمى بعيدا، وضرب به تيهه، حيره وجعله تائها.

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْحُبُّ إِلَى غَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ ٱلْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ ٱلْحَقِّ ، وَخَيْرُ ٱلنَّاسِ فِيَّ حَالاً ٱلنَّمَطُ ٱلْأَوْسَطُ ، فَٱلْزَمُوهُ وَٱلْزَمُوا ٱلسَّوَادَ ٱلْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ ٱللهِ عَلَى ٱلْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَٱلْفُرْقَةَ فَإِنَّ ٱلشَّاذَّ مِنَ ٱلنَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ ٱلشَّاذَّ مِنَ ٱلْغَنَمِ لِلذِّئْبِ أَلاَ مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا ٱلشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ[1] وَإِنَّمَا حُكِّمَ ٱلْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا ٱلْقُرْآنُ وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ ٱلْقُرْآنُ . وَإِحْيَاؤُهُ ٱلاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ ٱلافْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا ٱلْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ ٱتَّبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا ٱتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ ـ لاَ أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً ، وَلاَ خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ وَلاَ لَبَسْتُهُ عَلَيْكُمْ[2] ، إِنَّمَا ٱجْتَمَعَ

---

(١) يعنى شعار الخوارج . وكان شعارهم أنهم يحلقون وسط رؤسهم ويبقى الشعر حوله مستديرا كالاكليل قاله ابن ابي الحديد ، او ان المراد بالشعار مفارقة الجماعة ، والاستبداد بالرأي او ما كانوا ينادون به (لا حكم الا الله) لانها كلمة حق اريد بها باطل ، وقوله عليه السلام « تحت عمامتي » اي ولو اعتصم باعظم الاشياء

(٢) بجرا : داهية عظيمة ، ختلتكم : خدعتكم ، ولبسته : شبهته

رَأْيُ مَلإِكُمْ عَلَى ٱخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لاَ يَتَعَدَّيَا ٱلْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيْنَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا – فِي ٱلْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَٱلصَّمْدِ لِلْحَقِّ[1] – سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا .

هذا الكلام من جملة احتجاجه على الخوارج وقد روى الطبري في (التاريخ) ج٦ ص٤٨ في حوادث سنة ٣٧ آخره عن أبى مخنف بتفاوت مع رواية الرضي .

وقد فسر ابن الأثير في « النهاية » غريب هذه الخطبة فقال في باب الباء مع الجيم مادة (بجر) ومنه حديث علي رضي الله عنه : (لم آتِ لا أباً لكم بجراً) وقال البجر بالفتح والضم : الداهية والأمر العظيم .

وسيأتي في الحكمة (٤٦٩) إشارة لهذه الخطبة ان شاء الله .

١٢٦ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فيما يخبر به من الملاحم بالبصرة[2]

يَا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ ٱلَّذِي لاَ يَكُونُ

---

(١) الصمد : القصد .

(٢) الملاحم جمع ملحمة وهى الواقعة العظيمة

لَهُ غُبَارٌ وَلاَ لَجَبٌ[1] ، وَلاَ قَعْقَعَةُ لُجُمٍ ، وَلاَ حَمْحَمَةُ خَيْلٍ [2] . يُثِيرُونَ ٱلْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ ٱلنَّعَامِ .

(يُومِي بِذٰلِكَ إِلَى صَاحِبِ ٱلزِّنْجِ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ) . :

وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ ٱلْعَامِرَةِ[3] ، وَٱلدُّورِ ٱلْمُزَخْرَفَةِ ٱلَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ ٱلنُّسُورِ[4] ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ ٱلْفِيَلَةِ ، مِنْ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لاَ يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ ، وَلاَ يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ[5] .

أَنَا كَابُّ ٱلدُّنْيَا لِوَجْهِهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا .

---

(١) اللجب : الصياح ، وقعقعة اللجم ما يسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل

(٢) الحمحمة : وعر الفرس ـ اي صوته ـ عندما يقصر في الصهيل .

(٣) السكك جمع سكة : الطريق المستوي

(٤) اجنحة الدور الخشب الخارج من الدار الى الطريق ، والخراطيم: الميازيب .

(٥) لا يبكى القتيل منهم ولا يفتقد لكثرتهم .

(مِنْهُ ، وَيُومِي بِهِ إِلَى وَصْفِ ٱلْأَتْرَاكِ)

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ٱلْمَجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ[1] ، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ وَٱلدِّيبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ[2]. وَيَكُونُ هُنَاكَ ٱسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى[3] يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَى ٱلْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ ٱلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ ٱلْمَأْسُورِ .

(فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ ٱلْغَيْبِ ، فَضَحِكَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ (وَكَانَ كَلْبِيّاً) :

يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ . وَإِنَّمَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ « إِنَّ ٱللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ » ٱلْآيَةَ ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

---

(1) المجان جمع مجـن ـ بكسر الجيـم ـ : الترس ، والمطرقـة ـ بتشديد الراء ـ متخذه من حديد مطرق بالمطرقة ، واذا كانت مخففـة يكون المعنى جعل بعضها فوق بعض .

(2) السرق ـ محركة ـ شقق من الحرير بيضاء، والديباج: الابريسم، ويعتقبون الخيل : يجنبونهـا .

(3) استحرار القتل : شدته .

أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٌّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيد ، وَمَنْ يَكُونُ فِي ٱلنَّارِ حَطَباً ، أَوْ فِي ٱلْجِنَان لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً . فَهٰذَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ ٱلَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ ٱللهُ ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ ٱللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي[1] .

هذا الفصل من خطبة لهعليه السلام طويلة خطبها في البصرة بعد فراغه من حرب الجمل وقد نثر فصولاً منها الشيخ ميثم البحراني في شرحه على « نهج البلاغة » ج٣ : ١٥ و١٣٨ وقال : وهذا الفصل من خطبة له بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا منها فصولاً فيما سبق والخطاب مع الأحنف بن قيس لأنه كان رئيساً ذا عقل وسابقة في قومه ... الخ[2] .

وهذا الفصل يتصل بالفصل الذي مر برقم (٩٩) .

١٢٧ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذكر المكاييل والموازين

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّكُمْ ـ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ[3]. مُؤَجَّلُونَ ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ . أَجَلٌ مَنْقُوصٌ

---

(١) اي تجتمع عليه جوانح صدري
(٢) الشرح ج ٣ ص ١٣٧
(٣) أثوياء جمع ثوى ــ كقوي ــ وهو الضيف .

وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ . فَرُبَّ دَائِبٍ مُضِيعٌ ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ١ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ ٱلْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً ، وَٱلشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالاً ، وَٱلشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ ٱلنَّاسِ إِلَّا طَمَعاً . فَهٰذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ٢ . ٱضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ ٱلنَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً ، أَوْ غَنِياً بَدَّلَ نِعْمَةَ ٱللهِ كُفْراً ، أَوْ بَخِيلاً ٱتَّخَذَ ٱلْبُخْلَ بِحَقِّ ٱللهِ وَفْراً ، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ ٱلْمَوَاعِظِ وَقْراً . أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ ؟ وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ ؟ وَأَيْنَ ٱلْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَٱلْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلدَّنِيَّةِ وَٱلْعَاجِلَةِ ٱلْمُنَغِّصَةِ . وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ٣ لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ ٱلشَّفَتَانِ ، اسْتِصْغَاراً

---

(١) الدائب : المجد ، والكادح : الساعي
(٢) امكنت اي امكنته فحذف المفعول .
(٣) الحثالة : الرديء الساقط .

لِقَدْرِهِمْ ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فَلاَ مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ ، وَلاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ . أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا ٱللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ ؟ هَيْهَاتَ لاَ يُخْدَعُ ٱللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلاَ تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ . لَعَنَ ٱللَّهُ ٱلآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ ٱلتَّارِكِينَ لَهُ ،وَٱلنَّاهِينَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْعَامِلِينَ بِهِ.

ليس فيما نقله الرضي هنا ذكر للمكاييل اللهم إلا الإشارة إلى التورع في المكاسب بقوله عليه السلام : (أين المتورعون في مكاسبهم) ولا ريب أن المذكور هنا ملتقط من خطبة له عليه السلام في المكاييل ، وقد روى الزمخشري في « ربيع الأبرار » في باب تبدل الأحوال جزءاً من هذه الخطبة من قوله عليه السلام : (قد أصبحتم في زمان لا يزداد الخير فيه إلا ادباراً) إلى قوله سلام الله عليه : (ولا تنال مرضاته إلا بطاعته) وروى (جواداً) مكان (بخيلاً) .

وفي « غرر الحكم » ص ٣٢٠ : روى (هل تنظر إلا فقيراً ... الخ) .

١٢٨ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لابي ذر رحمه الله لما أُخرج الى الربذة

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ ، إِنَّ ٱلْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ،

فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَٱهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَىٰ مَا مَنَعْتَهُمْ وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ، وَسَتَعْلَمُ مَنِ ٱلرَّابِحُ غَداً ، وَٱلأَكْثَرُ حُسَّداً ، وَلَوْ أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَىٰ عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ ٱتَّقَىٰ ٱللّٰهَ لَجَعَلَ ٱللّٰهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً . وَلاَ يُؤْنِسَنَّكَ إِلاَّ ٱلْحَقُّ ، وَلاَ يُوحِشَنَّكَ إِلاَّ ٱلْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمِنُوكَ[1] .

هذا الكلام رواه الكليني في (روضة الكافي) ص ٢٠٦ مسنداً بتفاوت يسير عما هنا ، ونقله ابن أبي الحديد عن كتاب (السقيفة) لأحمد بن عبد العزيز الجوهري وذكر كلاماً لطيفاً مع هذا الكلام للحسن والحسين عليهما السلام وعقيل وعمار قالوه عند توديع أبي ذر لا يخلو ذكره هنا من عظيم فائدة.

قال : عن عبد الرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما اخرج أبو ذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه ، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به ، فخرج به وتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً عليهما السلام وعماراً فإنهم خرجوا معه يشيعونه ، فجعل الحسن عليه السلام يكلم أبا ذر فقال له مروان : إيها يا حسن ، ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ؟ فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك ، فحمل علي عليه السلام على مروان

---

(١) كنى بالقرض من الدنيا عن الاخذ

فضرب بالسوط بين اذني راحلته ، وقال : تنح لحاك الله إلى النار ، فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر ، فتلظى على علي عليه السلام ، ووقف أبو ذر فودعه القوم ، ومعه ذكوان مولى ام هانيء بنت أبي طالب ، قال ذكوان : فحفظت كلام القوم – وكان حافظاً – فقال علي عليه السلام: «يا أبا ذر إنك غضبت لله فارج من غضبت له إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلى ، ونفوك إلى الفلى، والله لو كانت السموات والأرض على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً ، يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشنك إلا الباطل » ثم قال لأصحابه : ودعوا عمكم ، وقال لعقيل : ودع أخاك ، فتكلم عقيل ، فقال : « ما عسى أن نقول يا أبا ذر وأنت تعلم إنا نحبك وأنت تحبنا ، فاتق الله فإن التقوى نجاة واصبر فإن الصبر كرم ، واعلم إن استثقالك الصبر من الجزع ، واستبطاءك العافية من اليأس ، فدع اليأس والجزع » ثم تكلم الحسن عليه السلام فقال :« يا عمّاه لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت ، وللمشيع أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف ، وقد أتى إليك من القوم ما ترى ، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك ﷺ وهو عنك راض » ثم تكلم الحسين عليه السلام ، فقال : « يا عماه إن الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى ، والله كل يوم هو في شأن ، وقد منعك القوم دنياهم ،ومنعتهم دينك فما أغناك عما منعوك ، وما أحوجهم إلى ما منعتهم ، فاسأل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع ، فإن الصبر من الدين والكرم ، وإن الجشع لا يقدم رزقاً ، والجزع لا يؤخر أجلا » .

ثم تكلم عمار مغضباً فقال : « لا آنس الله من أوحشك ، ولا آمن من أخافك ، أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك ، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك ، وما منع الناس أن يقولوا بقولك ، إلا الرضا بالدنيا ، والجزع من الموت ، ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه ، والملك لمن غلب ، فوهبوا لهم دينهم ،

ومنحهم القوم دنياهم ، فخسروا الدنيا والآخرة ، (ألا ذلك هو الخسران المبين)[١] .

فبكى أبو ذر رحمه الله — وكان شيخاً كبيراً — وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة ، إذا رأيتكم ، ذكرت بكم رسول الله ﷺ ، مالي بالمدينة سكن ولا شجن[٢] غيركم ، إني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام ، وكره أن اجاور أخاه وابن خاله بالمصرين[٣] فافسد الناس عليهما ، فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ، ولا دافع إلا الله ، والله ما اريد إلا الله صاحباً ، وما أخشى مع الله وحشة .

ورجع القوم إلى المدينة [٤] .

١٢٩ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيَّتُهَا ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُخْتَلِفَةُ ، وَٱلْقُلُوبُ ٱلْمُتَشَتِّتَةُ ، ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى ٱلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ ٱلْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ

---

(١) الحج : ١١ .

(٢) الشجن هنا : ما تهواه النفس ، ويميل اليه الطبع .

(٣) يعني مصر والبصرة كان والي مصر عبدالله بن سعد بن ابي سرح اخا عثمان من الرضاعه ، وكان على البصرة عبدالله بن عامر ابن خاله .

(٤) شرح نهج البلاغة المجلد الثاني ٣٧٥ ، وقد ذكر الكليني في « الروضة » ص ٢٠٧ مثل ذلك ، واشار اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٢٠ الى هذه القصة .

ٱلْأَسَد(١) ، هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ ٱلْعَدْلِ ، أَوْ أُقِيمَ ٱعْوِجَاجَ ٱلْحَقِّ(٢) . ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلاَ ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ ٱلْحُطَامِ ، وَلٰكِنْ لِنَرُدَّ ٱلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ ٱلْإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ . فَيَأْمَنَ ٱلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ ٱلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلاَّ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلاَةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْوَالِيَ عَلَى ٱلْفُرُوجِ وَٱلدِّمَاءِ وَٱلْمَغَانِمِ وَٱلْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ(٣) ، وَلاَ ٱلْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلاَ ٱلْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ،

---

(١) سيأتي معناها في المتن .

(٢) السرار ــ كقرار ــ آخر ليلة من الشهر والمراد الظلمة والمعنى هيهات أن اكشف بكم ما عرض على الظلمة كما يدل على ذلك قوله او اقيم اعوجاج الحق ، فان الحق لا اعوجاج فيه ، ولكن خلطه قوم بالباطل فهذا ما أصابه من الاعوجاج .

(٣) النهمة ــ بالفتح ــ افراط الشهوة .

وَلاَ ٱلْحَائِفُ لِلدِّوَلِ[1] فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ ، وَلاَ ٱلْمُرْتَشِي فِي ٱلْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ ٱلْمَقَاطِعِ[2] ، وَلاَ ٱلْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ ٱلْأُمَّةَ .

أول هذه الخطبة على ما رواه سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص »: ص ١٢٠ باسناده عن عبد الله بن صالح العجلي ، قال خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً على منبر الكوفة فقال : الحمد لله ، أحمده ، وأؤمن به ، وأستهديه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ثم قال : أيتها النفوس المختلفة ، والقلوب المشتتة ...الخ بتفاوت مع رواية الرضي في بعض الكلمات .

وقد روى القاضي النعمان الفصل الأخير من هذه الخطبة في الجزء الثاني من « دعائم الاسلام » : ص ٥٣١ .

وفي « النهاية الأثيرية » ج٣ ص ١٥٤ مادة (ظأر) قال : وحديث علي (أظأركم على الحق وأنتم تفرون منه) وفسر الظئار بقوله : (الظئار أن تعطف الناقة على غير ولدها ، قال : وكانوا إذا أرادوا ذلك شدوا أنف الناقة وعينيها ، وحشوا في حيائها خرقة ثم خلوه بخلالين ، وتركوها كذلك يومين فتظن أنها مخضت للولادة ، فاذا غمها ذلك وأكربها نفسوا عنها ، واستخرجوا الخرقة من حيائها ويكونون قد أعدوا لها حواراً من غيرها ، فيلطخونه بتلك

---

(١) الحائف : الجائر من الحيف وهو الجور . والدول جمع دولة ـ بالضم ـ المال لانه يتداول بين الناس .

(٢) المقاطع : الحدود .

الخرقة ، ويقدمونه اليها ، ثم يفتحون أنفها وعينها فاذا رأت الحوار وشمته ظنت أنها ولدته فترأمه وتعطف عليه اه .

وفي « النهاية » أيضاً ج٥ ص٢٧٠ مادة (وعا) قال : في حديث علي : (وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد) أي صوته ، ووعواع الناس : ضجتهم .

١٣٠ – ومن خطبة له عليه السلام

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى١ ، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ ، الْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ٢ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلاَنَ وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ .

(مِنْهَا) فَإِنَّهُ وَاللهِ الْجِدُّ لاَ اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لاَ الْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلاَّ الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ٣ وَأَعْجَلَ حَادِيهِ . فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ٤ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ

---

(١) أبلى : انعم واعطى ، وابتلى : اختبر وامتحن .

(٢) نجيبه : مصطفاه ، وبعيثه مبعوثه .

(٣) داعي الموت ما نراه من كثرة الموتى فهو ابلغ من المنطق المسموع ، فكأنه نادانا فاسمعنا .

(٤) اي لا يغرنك كثرة الناس من حولك وما فيهم من الشباب والصحة فتظن بذلك أن الموت بعيد عنك .

قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ ، وَحَذِرَ ٱلْإِقْلَالَ وَأَمِنَ ٱلْعَوَاقِبَ ، طُولَ أَمَلٍ(١) وَٱسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ ٱلْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ ٱلْمَنَايَا ، يَتَعَاطَى بِهِ ٱلرِّجَالُ ٱلرِّجَالَ ، حَمْلاً عَلَى ٱلْمَنَاكِبِ ، وَإِمْسَاكاً بِالْأَنَامِلِ . أَمَا رَأَيْتُمُ ٱلَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً ، وَيَبْنُونَ مَشِيداً ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً ، أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً ، وَمَا جَمَعُوا بُوراً ، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلاَ مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ . فَمَنْ أَشْعَرَ ٱلتَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ(٢) وَفَازَ عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا ، وَٱعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا . فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا ٱلْأَعْمَالَ

---

(١) طول الامل : منصوب على انه مفعول لاجله .

(٢) مهله تروى بالرفع على انه فاعل برز يقال برز فلان اقرانه اي فاقهم ، وتروى بالنصب على أن برز بمعنى أبرز اي أظهر ، والمهل : شوط الفرس والمراد التقدم في الخير .

إِلَى دَارِ ٱلْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ . وَقَرِّبُوا ٱلظُّهُورَ لِلزِّيَالِ ١ .

نثر الآمدي في « الغرر » جملة منها بتفاوت نجزم أنه لم يرجع إلى (النهج) في نقلها نذكر منه ما رواه في ص ٢٨٢ « من أشعر قلبــه التقوى فاز عمله » بينما المروي في (النهج) هذا « من أشعر التقوى قلبه برّز مهله ، وفاز عمله » وفي ص١١٩ « إن الدنيا لم تخلق دار مقام ولا محل قرار ، وإنما جعلت لكم مجازاً لتزودوا منها الأعمال الصالحة لدار القرار ، فكونوا على أوفاز ، ولا تخدعنكم منها العاجلة ، ولا تغرنكم فيها الفتنة » وفي (النهج) هذا « فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم مجازاً لتزودوا منها الأعمال إلى دار القرار ، فكونوا منها على أوفاز ، وقربوا الظهور للزيال » .

وفي « النهاية » لابن الاثير : ج٥ ص٢٣٩ مادة (هبل) قال : الهُبالة الغنيمة ومنه حديث علي « واهتبلوا هبلها » وقال في ج٢ ص٢١٠ مادة (وفز) في حديث علي « كونوا منها على أوفاز » الوفز والوَفَز : العجلة ، والجمع أوفاز .

١٣١ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ ٱلسَّمَوَاتُ وَٱلْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا٢ ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ٱلْأَشْجَارُ ٱلنَّاضِرَةُ ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا

(١) الظهور : الركاب ، والزيال : المفارقة .
(٢) المقاليد : المفاتيح .

ٱلنِّيرَانَ ٱلْمُضِيئَةَ ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ ٱلثِّمَارُ ٱلْيَانِعَةُ[1].

(مِنْهَا) وَكِتَابُ ٱللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لاَ يَعْيَى لِسَانُهُ ، وَبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

(مِنْهَا) أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَتَنَازُعٍ مِنَ ٱلْأَلْسُنِ ، فَقَفَّى بِهِ ٱلرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ ٱلْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي ٱللهِ ٱلْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَٱلْعَادِلِينَ بِهِ .

(مِنْهَا) وَإِنَّمَا ٱلدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ ٱلْأَعْمَى[2] ، لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَٱلْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّارَ وَرَاءَهَا ، فَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ ، وَٱلْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ[3]. وَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَٱلْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ .

---

(١) بكلماته : بأوامره ، والضمائر لله سبحانه وقد تقدم ذكره جل اسمه في اول الخطبة وان لم يذكره الرضي رحمه الله .
(٢) اي الاعمى عن الآخرة .
(٣) الشاخص في الاولى : الظاعن ، وفي الثانية : طامح البصر .

(مِنْهَا) وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلاَّ ٱلْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لاَ يَجِدُ لَهُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً[١] ، وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلعَيْنِ ٱلْعَمْيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلأُذُنِ ٱلصَّمَّاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَفِيهَا ٱلْغِنَىٰ كُلُّهُ وَٱلسَّلاَمَةُ . كِتَابُ ٱللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ . لاَ يَخْتَلِفُ فِي ٱللهِ ، وَلاَ يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ ٱللهِ . قَدِ ٱصْطَلَحْتُمْ عَلَى ٱلْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ[٢] ، وَنَبَتَ ٱلْمَرْعَىٰ

---

(١) هذا على الاعم الاغلب لان اكثرهم يكرهون الموت ولا يجدون فيه راحة لكثرة ذنوبهم ، او لانهم قصروا انظارهم على الدنيا فلا يتصورون راحة بعدها ولا لذة في غيرها ، والكلام غير منتظم ـ كما يرى ابن ابي الحديد ـ لان الرضي يلتقط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام ، ويرى الشيخ محمد عبده أن الكلام ملتئم ، فقال : انه لا يجد راحة في الموت حيث لم يهيء من العمل ما يكسبه السعادة بعد الموت ، وقال انما ذلك اي شعور الانسان بخيفة ما بعد الموت بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور ، وتبعثه الى خير العمل ، ثم أخذ يبين الوسيلة الى المنجاة مما يخشاه القلب ، وتتوجس منه النفس وانها التمسك بكتاب الله الخ قال : وبذلك التأم الكلام واندفعت حيرة الشارحين ا هـ ملخصا .

(٢) الغل : الحقد والدمن جمع دمنة ـ وهي في هذا الموضع ـ الحقد أيضا .

عَلَى دِمَنِكُمْ . وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ ٱلْآمَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ ٱلْأَمْوَالِ . لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكُمُ ٱلْخَبِيثُ¹ ، وَتَاهَ بِكُمُ ٱلْغُرُورُ ، وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

قال ابن أبي الحديد هذه فصول التقطها الرضي من خطبة طويلة على عادته في التقاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام ، وإن كان كل كلامه فصيحاً ولكن كل واحد له هوى ومحبة لشيء مخصوص (وضروب النـاس عشاق ضروباً)[2] وهذا نص صريح منه بأن ما روى في هـذا الموضع من خطبـة طويلة ولكنه لم يشر الى موضعها من كتب العلماء ، والواقع أنك بأدنى تأمل المروي هنا تعرف ذلك ، ولذا أن الرضي رحمه الله أكثر من كلمة (منها) في هذا المختار وقد روى الآمدي في (الغرر) ص ٨٨ الفصل الثالث بمغايرة طفيفة يمكننا القول معها أنه لم يأخذها عن (نهج البلاغة) .

١٣٢ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَقَدْ شَاوَرَهُ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ فِي ٱلْخُرُوجِ إِلَى غَزْوِ ٱلرُّومِ بِنَفْسِهِ

وَقَــدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ لِأَهْــلِ هَــذَا ٱلدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلْحَوْزَةِ³ ، وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ . وَٱلَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ ، حَيٌّ

(١) الخبيث : الشيطان ، واستهام بكم : ذهب من هام على وجهـه لا يدري اين يتوجـه .
(٢) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٣٨٦ .
(٣) الحوزة : الناحية ، والمراد بها بيضة الاسلام

لاٰ يَمُوتُ .

إِنَّكَ مَتٰى تَسِرْ إِلىٰ هٰذَا ٱلْعَـدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبْ لاَ تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصىٰ بِلاَدِهِم١ . لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِـعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ . فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مُحْرَباً ، وَٱحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ ٱلْبَلاَءِ وَٱلنَّصِيحَةِ٢ ، فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللّٰهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلأُخْرىٰ كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ٣ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

في « نهاية ابن الأثير » ج٤ ص٢٥٠ مادة (كنف) قال : ومنه حديث علي : « لا تكون للمسلمين كانفة » لاحظ أن روايته « لا تكون » ورواية الرضي « لا تكن » .

ورواه أبو عبيد في كتاب (الأموال) : ص٢٥٢ ، كما نقل ابن أبي الحديد وجوه الرواية في هذه المشورة مما يدل على أنه عثر عليها في غير (النهج) (٤).

قال الشيخ ميثم البحراني : ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير أهلهالى المسلمين ، وانزوى خالد بن الوليد ولازم بيته – أي بعد عزله – وصعب الأمر على أبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من امراء سرايا الإسلام (٥) .

---

(١) كانفة : اي جهة عاصمة ، وتروى « كهفة » اي كهف يلجأ اليه .
(٢) رجل محرب ـ بفتح الراء ـ صاحب حروب ، وتحفزه تدفعه ، واهل البلاء : اهل الخبرة بالحرب مع الصدق في القصد .
(٣) الردء : الملجأ ، والمثابة : المرجع
(٤) انظر الشرح م ٢ ص ٣٨٩ فما بعدها .
(٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ٣ ص ١٦٢

١٣٣ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَقَدْ وَقَعَتْ مُشَاجَرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَانَ فَقَالَ ٱلْمُغِيرَةُ ابْنُ ٱلْأَخْنَسِ لِعُثْمَانَ أَنَا أَكْفِيكَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلْمُغِيرَةِ :

يَابْنَ ٱللَّعِينِ ٱلْأَبْتَرِ ، وَٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي لاَ أَصْلَ لَهَا وَلاَ فَرْعَ ، أَنْتَ تَكْفِينِي ؟ وَٱللّٰهِ مَا أَعَزَّ ٱللّٰهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلاَ قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ . ٱخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ ٱللّٰهُ نَوَاكَ(١) ، ثُمَّ أَبْلِغْ جُهْدَكَ فَلاَ أَبْقَى ٱللّٰهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ .

كانت النسخة التي عليها تعليقات الإمام الفقيد الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء وهي النسخة المطبوعة ببيروت سنة ١٣٠٧ هـ عليها تعليقات الامام الشيخ محمد عبده لأول مرة قد أُسقط التمهيد الذي وضعه الشريف الرضي أمام هذا الكلام فأعاده كاشف الغطاء بقلمه الشريف ، وعلق على ذلك بقوله : « وما أدري سبب هذه التحريفات والاسقاط ؟» .

والمغيرة هذا هو ابن الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابيّ ، وإنما سمي الأخنس لأنه رجع ببني زهرة لما بلغه أن أبا سفيان نجا

---

(١) الابتر : من انقطع من الخير اثره ، وقوله والشجرة التي لا اصل لها الخ لانه كان مطعونا في نسبه ، والنوى ــ هنا ــ المنزل ، وابلغ جهدك : افعل ما تستطيع ويقال : ابقيت على فلان اذا راعيته ورحمته .

بالعير فقالوا : خنس الأخنس ببني زهرة ، وإنما قال له أمير المؤمنين : (يا ابن اللعين) لأن الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه[1] ، وابنه أبو الحكم بن الأخنس ، قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم احد كافراً [2] وهو أخو المغيرة هذا .

وقال ابن عطية : ما ثبت قط أن الأخنس أسلم وعقب ابن حجر على هذا بقوله : لا مانع أن يسلم ثم يرتد ثم رجع إلى الإسلام [3] .

قال ابن أبي الحديد : واعلم أن هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان ولكن عوانة روى عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن عثمان لما كثرت شكايته من علي عليه السلام أقبل لا يدخل عليه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا شكى اليه علياً فقال له زيد بن ثابت — وكان من شيعته وخاصته — : أفلا أمشي اليه فاخبره بوجدتك فيما يأتي اليك ؟ قال : بلى فأتى اليه زيد ومعه المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي — وعداده في بني زهرة وامه عمة عثمان — في جماعة فدخلوا عليه ، فحمد زيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فان الله قدم لك سلفاً صالحاً في الاسلام ، وجعلك من الرسول في المكان الذي أنت فيه ، فأنت للخير كل الخير آهل ، وأمير المؤمنين عثمان ابن عمك ، ووالي هذه الامة فله عليك حقان ، حق الولاية وحق القرابة ، وقد شكا الينا أن علياً يعرض لي ، ويردّ أمري عليّ ، وقد مشينا اليك نصيحة لك ، وكراهية أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه لكما .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م ٢ ص ٣٩٠ ، والاصابة ج ١ ص ٣٩

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٨٢

(٣) الاصابة : ١ ص ٤٠

قال : فحمد علي عليه السلام الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ثم قال : أما بعد ، فوالله ما احب الاعتراض ، ولا الرد عليه ، إلا أن يأبى حقاً لله لا يسعني أن أقول فيه إلا بالحق ، والله لأكفن عنه ما وسعني الكف .

فقال المغيرة — وكان رجلاً وقاحاً[1] وكان من شيعة عثمان وخلصائه : انك والله لتكفن عنه أو لتكفن : فانه أقدر عليك منه عليه ! وإنما ارسل هؤلاء القوم من المسلمين إغراراً لتكون له الحجة عندهم عليك فقال عليه السلام : يابن اللعين الابتر ... الخ .

فقال له زيد : والله ما جئنا لنكون عليك شهوداً ، ولا ليكون ممشانا اليك حجة ولكن مشينا فيما بينكما التماس الأجر أن يصلح الله ذات بينكما ، ويجمع كلمتكما ، ثم دعا له ولعثمان وقام فقاموا معه .

قال ابن أبي الحديد : وهذا الخبر يدل على أن اللفظة (أنت تكفني) وليست كما ذكره الرضي رحمه الله (أنت تكفيني) لكن الرضي طبق هذه اللفظة على ما قبلها وهي قوله : (أنا اكفيكه) ولا شبهة أنها رواية اخرى[2] .

ونقل ذلك أحمد بن أعثم الكوفي في (الفتوح) ج٢ ص١٦٥ .

١٣٤ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً ، إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلّٰهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ ،

(١) الوقاح : ذو الوقاحة .
(٢) شرح النهج م ٢ ص ٣٩٠

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، أَعِينُونِي عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ، وَأَيْمُ ٱللهِ لَأُنْصِفَنَّ ٱلْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ، وَلَأَقُودَنَّ ٱلظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ(١) ، حَتَّىٰ أُورِدَهُ مَنْهَلَ ٱلْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً .

هذا الكلام قاله سلام الله عليه لما تخلف عن بيعته عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ، وحسان بن ثابت ، واسامة ابن زيد — على ما رواه الشعبي — قال لما اعتزل سعد ومن سمينا أمير المؤمنين وتوقفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي ، وإنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا ، فاذا بايعوا فلا خيار لهم ، وإن على الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التسليم ، وهذه بيعة عامة ، من رغب عنها رغب عن دين الإسلام ، واتبع غير سبيل أهله ، ولم تكن بيعتكم إياي فلتة ... الخ (٢) .

وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر (رض) وإشارة إلى قول عمر (رض) : « إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة ولكن الله وقى شرها » (٣) وقال الهروي في (الجمع بين الغريبين) : أراد بالفلتة الفجأة ، ومثل هذه البيعة جديرة بأن تكون مهيجة للشر ، والفتنة فعصم الله من ذلك ووقى ، والفلتة كل شيء فعل من غير روية ، وإنما بودر بها خوف انتشار الأمر (٤) .

---

(١) الخزامة — بالكسر — حلقة من شعر توضع في أنف البعير يشد بها الزمام .

(٢) ارشاد المفيد : ص ١٤٢

(٣) صحيح البخاري : ٨/٢١٠ « كتاب المحاربين من اهل الكفر والردة ، باب رجم الحبلى » .

(٤) النهاية في غريب الحديث : ٣/٤٦٧ مادة (فلت)

١٣٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في معنى طلحة والزبير

وَٱللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً ، وَلاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفاً[١] . وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا ٱلطِّلْبَةُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ[٢]. وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلاَ لُبِسَ عَلَيَّ ، وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فِيهَا ٱلْحَمَا وَٱلْحُمَةُ ، وَٱلشُّبْهَةُ ٱلْمُغْدِفَةُ[٣] ، وَإِنَّ ٱلأَمْرَ لَوَاضِحٌ ، وَقَدْ زَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ ، وَٱنْقَطَعَ

---

(١) النصف ــ محركة ــ : الانصاف .

(٢) الطلبة ــ بكسر اللام ــ : ما طلبته من شيء .

(٣) الحمأ : الطين الاسود كما فسره ابن أبي الحديد ، أو الحما بألف مقصورة ، قال الشيخ محمد عبده « المراد بالحمـا هنا مطلق القريـب والنسيب وهو كناية عن الزبير فانه من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته ، قالوا : وكان النبي أخبر عليا انه ستبغي عليه فئة فيها بعض احمائه واحدى زوجاته » أ هـ وقال : ابن ابي الحديد : « فكنى عليه السلام عن الزوجة بالحمة وهي سم العقـرب » والشبهة المغدفة : اي الشبهـة الظلماء من أغدف الليل اذا اظلم .

لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِه[1] ، وَٱيْمُ ٱللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ لاَ يُصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ ، وَلاَ يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ[2] .

(مِنْهُ) فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ ٱلْعُوذِ ٱلْمَطَافِيلِ عَلَىٰ أَوْلاَدِهَا[3] ، تَقُولُونَ ٱلْبَيْعَةَ ٱلْبَيْعَةَ ، قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا ٱللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي ، وَنَكَثَا بَيْعَتِي ، وَأَلَّبَا ٱلنَّاسَ عَلَيَّ[4] . فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا ، وَلاَ تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِهِمَا ٱلْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلاَ وَعَمِلاَ . وَلَقَدِ ٱسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ ٱلْقِتَالِ ، وَٱسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ ٱلْوِقَاعِ ، فَغَمَطَا ٱلنِّعْمَةَ وَرَدَّا ٱلْعَافِيَةَ[5] .

---

(١) زاح الباطل : ذهب ، ونصابه : مركزه ومحله ، والشغب : تهييج الشر

(٢) لافرطن : لأملأن ، والماتح : المستقي ، والعب : شرب الماء بلا مص ، والحسي : ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج وجمعه احساء

(٣) العوذ : النوق الحديثات النتاج الواحدة عائذ ، والمطافيل جمع مطفل .

(٤) البا : حرضا

(٥) استثبتهما : طلبت منهما ان يثوبا اي يرجعا ، واستأنيت بهما من الاناة اي انتظرتهما ، والوقاع ـ بكسر الواو ـ مصدر واقعتهم في الحرب وقاعا . وغمطا النعمة : حقراها .

نقل هذا الكلام ابن عبد البر في (الاستيعاب) في ترجمة طلحة بن عبيد الله قال : ومن حديث صالح بن كيسان ، وعبد الله بن نوفل بن مساحق ، والشعبي وابن أبي ليلى بمعنى واحد : أن علياً رضي الله عنه قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل : « إن الله عز وجل فرض الجهاد ، وما صلحت دنيا ولا دين إلا به ، وإني منيت بأربعة أدهى الناس وأسخاهم طلحة ، وأشجع الناس الزبير ، وأطوع الناس في الناس عائشة ، وأسرع الناس إلى فتنة يعلى ابن منية والله ما أنكروا عليّ شيئاً منكراً الخ .

وروى مثل ذلك ابن الأثير في (اسد الغابة) ، في ترجمة طلحة أيضاً[1].

ورواه المفيد في كتاب « الجمل » عن الواقدي [2] وابن ابي الحديد عن أبي مخنف [3].

وفسر غريبه ابن الأثير في (النهاية) ج٣/٣١٨ مادة (عوذ) وذكره بوجهين « مطافيل » و « مطافل » . وقد أشرنا إلى هذا الكلام في الخطبة (٢٦) .

---

(١) الاستيعاب : ج ٢ ص ٢١١ و (أسد الغابة) ج ٢ ص ٦١

(٢) الجمل للمفيد : ص ١٤٣

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م ١ ص ١٠٢

١٣٦ - ومن خطبة له عليه السلام

يومي فيها الى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ ٱلْهَوَى عَلَى ٱلْهُدٰى١ إِذَا عَطَفُوا ٱلْهُدَى عَلَى ٱلْهَوَى ، وَيَعْطِفُ ٱلرَّأْيَ عَلَى ٱلْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا ٱلْقُرْآنَ عَلَى ٱلرَّأْيِ .

(مِنْهَا) حَتَّى تَقُومَ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا ، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا ، حُلْواً رَضَاعُهَا ، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا٢ . أَلاَ وَفِي غَدٍ - وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ ٱلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا٣ وَتُخْرِجُ لَهُ ٱلْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا٤ ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ

---

(١) يعطف الهوى : يقهره ويثنيه .

(٢) النواجذ : أقصى الاسنان والكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها ، والعلقم : المر .

(٣) قد سبق هذا الكلام ذكر طائفة يعود الضمير عليها في « غيرها » ان الوالي من غيرهم وهو القائم المذكور في هذا الكلام يأخذ عمالهم بمساوىء اعمالهم .

(٤) افاليذ جمع افلاذ وهي القطعة من الكبد ، والمراد كنوز الارض . وسلما : طوعا .

سِلْماً مَقَالِيدَهَا ، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ ٱلسِّيرَةِ ، وَيُحْيِي مَيِّتَ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ .

(مِنْهَا) كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ[1] ، وَفَرَشَ ٱلْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ . قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ ، وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ . بَعِيدُ ٱلْجَوْلَةِ ، عَظِيمُ ٱلصَّوْلَةِ . وَٱللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي ٱلْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذٰلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى ٱلْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا[2] . فَالْزَمُوا ٱلسُّنَنَ ٱلْقَائِمَةَ ، وَٱلْآثَارَ ٱلْبَيِّنَةَ ، وَٱلْعَهْدَ ٱلْقَرِيبَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي ٱلنُّبُوَّةِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[3] .

---

(١) نعق ــ بالعين المهملة ــ : صاح ، وفحص براياته : قلبها يمينا وشمالا وضواحي كوفان نواحي الكوفة ، والضروس الناقة التي تعض حالبها

(٢) عوازب احلامها : ما بعد من عقولها

(٣) يسنى : يسهل ، والعقب : الاثر .

أجمع شارحو (نهج البلاغة) على اختلاف مذاهبهم أن المراد بقوله عليه السلام في الفصل الاول « يعطف الهوى على الهدى » الإمام المنتظر ، الموعود به في الخبر والأثر ، ولا شك أنهم رووا ذلك عن غير الرضي ، وأخذوه عن غير (النهج) لأنهم لم يذكر ذلك ولم يشيروا اليه وقد روى أول هذا المختار الآمدي في (الغرر) : ص٢٩٦ في حرف الياء باللفظ المطلق .

وقال بعض الشارحين إنه عليه السلام وصف بالفصل الثاني قائماً بفتنة وقالوا أنه أراد بذلك عبد الملك بن مروان لأنه نعق بالشام وفحصت راياته بكوفان في قتاله لمصعب بن الزبير وفرش الأرض بجماجم القتلى في هذه الفتنة ، وفي قتال عبد الله بن الزبير بمكة ، وفي فتنة ابن الحجاج ورمى الحجاج بن يوسف وغيره من ولاته فقتلوا خلقاً كثيراً .

وأقول لعله صلوات الله عليه يقصد جباراً آخر لم تلده ام الدهر .

١٣٧ — ومن كلام له عليه السلام

في وقت الشورى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةِ رَحِمٍ وَعَائِدَةِ كَرَمٍ فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُوا مَنْطِقِي ، عَسَى أَنْ تَرَوْا هٰذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا ٱلْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ ٱلسُّيُوفُ ، وَتُخَانُ فِيهِ ٱلْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ ٱلضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ ٱلْجَهَالَةِ .

رواه الطبري في (التاريخ) ج٥ ص٣٩ في حوادث سنة ٢٣ .

وقال ابن أبي الحديد : هذا من جملة كلام قاله عليه السلام لأهل الشورى بعد وفاة عمر [١] .

وسيأتي في مصادر الكلمات القصار أن الحكمة (٢١) تابعة لهذا الكلام .

١٣٨ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في النهي عن عيب الناس

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ ٱلْعِصْمَةِ ، وَٱلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي ٱلسَّلَامَةِ [٢] ، أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ ٱلشُّكْرُ هُوَ ٱلْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ، وَٱلْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ ٱلَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ ، أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ ٱللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ ٱلذَّنْبِ ٱلَّذِي عَابَهُ بِهِ ، وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذٰلِكَ ٱلذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى ٱللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَأَيْمُ ٱللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي ٱلْكَبِيرِ ، وَعَصَاهُ فِي ٱلصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ

---

(١) شرح النهج م ٢ : ٤٠٩ .

(٢) اي الذين احسن الله صنعه اليهم بالسلامة من الانام .

عَلَى عَيْبِ ٱلنَّاسِ أَكْبَرَ .

يَا عَبْدَ ٱللَّهِ ، لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَد بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّه مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسكَ صَغِيرَ مَعْصِيَة فَلَعَلَّكَ مُعَذَّب عَلَيْهِ ، فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ ٱلشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ٱبْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ .

روى هذا الكلام صاحب (الغرر) في موضعين ص١٣٥ و٣٥٩ وفي بعض روايته هكذا : (أن يرحموا أهل المعصية والذنوب) مع أن في « النهج » (أهل الذنوب والمعصية) وفيها (ويكون الشكر على معافاتهم) وليس فيه (على معافاتهم) وفيها (لا تعجل في عيب عبد مذنب) وفيه (لا تعجل في عيب أحد) فالتقديم والتأخير والاختلاف البسيط يدل على انفراد صاحب (الغرر) بمصدر .

١٣٩ — وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ ، فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ ٱلرِّجَالِ ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي ٱلرَّامِي وَتُخْطِئُ ٱلسِّهَامُ ، وَيَحِيلُ ٱلْكَلاَمُ(١) ،

(١) يحيل الكلام : يكون باطلا يقال احال الرجل في منطقه اذا تكلم بالمحال الذي لا حقيقة له ، ويبور : يفسد .

وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ وَٱللّٰهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ (فَسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هٰذَا ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ) : ٱلْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ وَٱلْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ .

رواه القاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ١٣٩ .

وجاء في كتاب « عين الأدب والسياسة ، وزينة الحسب والرئاسة » لأبي الحسن علي بن هذيل ص٢١٥ ما يأتي :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وجه : « من علم من أخيه مروءة فلا يقبل فيه أقاويل الرجال ، ومن حسنت علانيته فنحن لسريرته أرجى ، ألا لا يردن يقينكم شكاً » فقال المسيب بن نجبة [1] ومن هو الذي يرد يقينه شكاً ؟ قال : « هو إذا علم من أخيه المروءة الجميلة ثم قبل فيه أقاويل الناس ، ألا وقد يرمي الرامي وقد تزل السهام ، ويحال الكلام على طريق الشنآن ، والباطل يبور ، والله شهيد ، ألا وان بين الحق والباطل أربع أصابع » ووضع يده بين اذنه وعينه وقال : الحق أن تقول : رأيت بعيني والباطل : أن تقول سمعت باذني» اه .

(١) المسيب بن نجبة الفزاري من قدماء التابعين وكبارهم ، وكان من وجوه أصحاب علي عليه السلام كان من قادة التوابين للطلب بثأر الحسين عليه السلام وكان أميرهم بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعي لما التقوا بجنود عبيدالله بن زياد في عين الوردة ولما قتل سليمان اخذ الراية وترحم على سليمان وحرض صحابه على القتال وتقدم بالراية وكر على القوم وأبلا بلاء حسنا حتى استشهد رحمه الله تعالى .

فذكر المسيب في هذه الرواية والاختلاف بينها وبين رواية (النهج) يدلان بوضوح أنها لم تنقل عنه .

وفي (الخصال) للصدوق :ج١ص١١٠ (باب الاربعة) بسنده عن ميسر ابن عبد العزيز قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول . سئل أمير المؤمنين عليه السلام : كم بين الحق والباطل ؟ فقال : أربع أصابع ، ووضع أمير المؤمنين عليه السلام يده على اذنه وعينه فقال : ما رأته عينك فهو الحق ، وما سمعته اذناك فأكثره باطل .

وفي « العقد الفريد » : ج٦ ص٢٦٨ عن الأصمعي قال سأل علي بن أبي طالب الحسن ابنه رضوان الله عليهم : كم بين الايمان واليقين ؟ قال : أربع أصابع ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : الإيمان كل ما سمعته اذناك وصدقه قلبك ، واليقين ما رأته عيناك فأيقن به قلبك ، وليس بين العين والاذن إلا أربع أصابع .

فيظهر من ذلك أنه عليه السلام قال هذا أكثر من مرة وبصور مختلفة .

١٤٠ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مِنَ ٱلْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلاَّ مَحْمَدَةُ ٱللِّئَامِ ، وَثَنَاءُ ٱلأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ ٱلْجُهَّالِ ، مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ ، مَا أَجْوَدَ يَدَهُ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ ٱللهِ بَخِيلٌ ! . فَمَنْ آتَاهُ ٱللهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ ٱلْقَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ ٱلضِّيَافَةَ ،

وَلْيَفُكَّ بِهِ ٱلْأَسِيرَ وَٱلْعَانِيَ ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ ٱلْفَقِيرَ وَٱلْغَارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى ٱلْحُقُوقِ وَٱلنَّوَائِبِ ٱبْتِغَاءَ ٱلثَّوَابِ ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهٰذِهِ ٱلْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ ٱلدُّنْيَا ، وَدَرْكُ فَضَائِلِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ .

هذا الكلام تابع لكلامه عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء وقد مر برقم (١٢٤) وقد استعرضنا مصادره هناك ، وقد أشرنا إلى ذلك والله ولي التوفيق .

١٤١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الاستسقاء

أَلَا وَإِنَّ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَٱلسَّمَاءَ ٱلَّتِي تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ ، وَلٰكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا ، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا .

إِنَّ ٱللّٰهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلسَّيِّئَةِ بِنَقْصِ ٱلثَّمَرَاتِ ، وَحَبْسِ ٱلْبَرَكَاتِ ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ ٱلْخَيْرَاتِ ،

لِيَتُوبَ تَائِب ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ . وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ٱلاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ ٱلرِّزْقِ ، وَرَحْمَةَ ٱلْخَلْقِ فَقَالَ : « ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ[1] » فَرَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً ٱسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ ، وَٱسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ .

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ ٱلْأَسْتَارِ وَٱلْأَكْنَانِ ، وَبَعْدَ عَجِيجِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ ، اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ ٱلْقَانِطِينَ ، وَلاَ تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ[2] ، وَلاَ تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنَا ٱلْمَضَايِقُ ٱلْوَعْرَةُ ، وَأَجَاءَتْنَا ٱلْمَقَاحِطُ ٱلْمُجْدِبَةُ[3] ، وَأَعْيَتْنَا

---

(١) نوح : ١١

(٢) جمع سنة ــ محركة ــ بمعنى الجدب والقحط .

(٣) أجاءته اليه : ألجأته .

ٱلْمَطَالِبُ ٱلْمُتَعَسِّرَةُ ، وَتَلاَحَمَتْ عَلَيْنَا ٱلْفِتَنُ ٱلْمُسْتَصْعَبَةُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لاَ تَرُدَّنَا خَائِبِينَ ، وَلاَ تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ ١ ، وَلاَ تُخَاطِبْنَا بِذُنُوبِنَا٢ ، وَلاَ تُقَايِسْنَا بِأَعْمَالِنَا ، ٱللَّهُمَّ ٱنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ ، وَبَرَكَتَكَ ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ . وَٱسْقِنَا سُقْياً نَافِعَةً مَرْوِيَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ . نَافِعَةَ ٱلْحَيَا٣ ، كَثِيرَةَ ٱلْمُجْتَنَى ، تُرْوِي بِهَا ٱلْقِيعَانَ٤ ، وَتَسِيلُ ٱلْبُطْنَانَ٥ . وَتَسْتَوْرِقُ ٱلْأَشْجَارَ ، وَتُرْخِصُ ٱلْأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ .

رواها الديلمي في (أعلام النبوّة) عن الصادق عليه السلام ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الله تعالى ابتلى عباده عند ظهور الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات ... الخ [6] .

---

(١) واجمين :كاسفين حزنين .

(٢) لا تخاطبنا ، اي لا تدعنا باسم المذنبين ولا تجعل فعلك بنا مناسبا لاعمالنا .

(٣) الحيا : الخصب والمطر .

(٤) القيعان جمع قاع: الارض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .

(٥) البطنان جمع بطن : بمعنى ما انخفض من الارض في ضيق

(٦) مستدرك الوسائل : ج ١ : ٤٣٩

وفي « النهاية الأثيرية » ج١/١٣٧ مادة (بطن) قال : « البطنان جمع بطن ، ومنه حديث علي في الاستسقاء : « تروي به البطنان ، وتسيل به القيعان » .

١٤٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَ ٱللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، لِئَلَّا تَجِبَ ٱلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ ٱلإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ . فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ ٱلصِّدْقِ إِلَىٰ سَبِيلِ ٱلْحَقِّ . أَلَا إِنَّ ٱللهَ قَدْ كَشَفَ ٱلْخَلْقَ كَشْفَةً(١) ، لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ ، وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، فَيَكُونَ ٱلثَّوَابُ جَزَاءً وَٱلْعِقَابُ بَوَاءً(٢) . أَيْنَ ٱلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا ٱللهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ . بِنَا يُسْتَعْطَى ٱلْهُدَىٰ وَيُسْتَجْلَى ٱلْعَمَى . إِنَّ ٱلْأَئِمَّةَ مِنْ

---

(١) كشف الخلق : علم حالهم في جميع اطوارهم

(٢) بواء مصدر باء فلان بفلان اي قتل به ، والعقاب قصاص

قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا ٱلْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ . لاَ تَصْلُحُ عَلىٰ سِوَاهُمْ ، وَلاَ تَصْلُحُ ٱلْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

(مِنْهَا) آثَرُوا عَاجِلاً وَأَخَّرُوا آجِلاً ، وَتَرَكُوا صَافِياً وَشَرِبُوا آجِناً[١] . كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلىَ فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ ٱلْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ ، وَبَسِيءَ بِهِ وَوَافَقَهُ[٢] ، حَتىٰ شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ[٣] . ثُمَ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتيَّارِ لاَ يُبَالِي مَا غَرَّقَ . أَوْ كَوَقْعِ ٱلنَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ لاَ يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ[٤] . أَيْنَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ ٱلْهُدىٰ ، وَٱلْأَبْصَارِ اللاَمِحَةُ إِلىَ مَنَارِ ٱلتقْوىٰ. أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلتِي وُهِبَتْ لِلّٰهِ وَعُوقِدَتْ عَلىَ طَاعَةِ ٱللهِ . ٱزْدَحَمُوا عَلىَ ٱلْحُطَامِ ، وَتَشَاحُّوا عَلىَ ٱلْحَرَامِ . وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ،

---

(١) الآجن : الماء المتغير اللون والطعم

(٢) بسيء به كفرح ــ استأنس به

(٣) اي صار طبعا له لان العادة طبيعة ثانية .

(٤) مزبد : أي ذو زبد وهو ما يخرج من الفم كالرغوة ، يضرب ذلك مثلا للرجل الصائل المقتحم ، والتيار : معظم اللجة ، والهشيم : دقاق الحطب ، ولا يحفل : ولا يبالي .

وَأَقْبَلُوا إِلَى ٱلنَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ . دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوا . وَدَعَاهُمُ ٱلشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا .

في رواية الآمدي زيادة على رواية الرضي بعد قوله عليه السلام : « وبغياً علينا » وهي قوله عليه السلام : « وحسداً لنا » وفيها زيادة أيضاً بعد قوله سلام الله عليه : « ويستجلى العمى » كلمة « لا بهم » وزيادة كلمة « أين » قبل قوله صلوات الله عليه : « الأبصار اللامحة » مع نقصان كلمة « الى » كما قدم « أين القلوب التي وهبت » الله على قوله عليه السلام : « أين القلوب المستصبحة بمصابيح الهدى » وفي التقديم والتأخير والزيادة والنقصان إثبات أن للآمدي مصدراً غير (النهج) .

١٤٣ - وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا١ ، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ . لاَ تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلاَّ بِفِرَاقِ أُخْرىٰ ، وَلاَ يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَلاَ تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلاَّ بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا

---

(١) الغرض : الهدف ، وتنتضل تترامى فيه للسبق كأنه جعل المنايا. اشخاصا تتناضل بالسهام ، من الناس من يموت قتلا ، ومنهم من يموت غرقا ، ومنهم من يتردى في بئر .. وهكذا .

مِنْ رِزْقِهِ ، وَلاَ يُحْيِي لَهُ أَثَرٌ إِلاَّ مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلاَ يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ . وَلاَ تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلاَّ وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ١ . وَقَدْ مَضَتْ أُصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ .

(مِنْهَا) وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلاَّ تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا ٱلْبِدَعَ وَٱلْزَمُوا ٱلْمَهْيَعَ٢ . إِنَّ عَوَازِمَ ٱلْأُمُورِ أَفْضَلُهَا٣. وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا .

روى طرفاً من هذه الخطبة ابن شعبة في (تحف العقول) ضمن خطبته عليه السلام المعروفة بالوسيلة ، ورواها المفيد في (الارشاد) ص١٣٩ بتفاوت يسير ، ورواها الطوسي في (الأمـــالي) ج١ ص٢٢٠ وسيأتي الكلام عليها في الحكمة (١٩١) إن شاء الله تعالى .

وقد أخذ أبو العتاهية بعض معاني هذا الكلام فقال :

كل حيـاة إلى ممات ... وكل ذي جدة يحول
كيف بقاء الفروع يوماً ... وقد ذوت قبلها الاصول؟

---

(١) تحيى له ذرية ويموت منه النشاط والهمة ، والشبيبة والقوة ، ولا تقوم له نابتة .. الخ . اشارة الى انه اذا ولد الاحفاد مات الاجداد .

(٢) المهيع : الطريق الواضح

(٣) عوازم الامور : المقطوع بصحتها .

١٤٤ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد استشاره عمر بن الخطاب في شخوصه لقتال الفرس بنفسه

إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَةٍ وَلاَ قِلَّةٍ ، وَهُوَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ ٱلَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ ٱللهِ ، وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ ، وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ ، وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ ٱلنِّظَامِ مِنَ ٱلْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ١ ، فَإِنِ ٱنْقَطَعَ ٱلنِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً٢ ، وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلاَمِ ، وَعَزِيزُونَ بِالاجْتِمَاعِ ، فَكُنْ قُطْباً ، وَٱسْتَدِرِ ٱلرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ ٱلْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا

---

(١) القيم بالامر : القائم به ، والنظام : السلك ينظم فيه الخرز .

(٢) الحذافير : اعالي الشيء ونواحيه .

وَأَقْطَارِهَا ، حَتي يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنْ ٱلْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِما بَيْنَ يَدَيْكَ ١ .

إِنَّ ٱلْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا هٰذَا أَصْلُ ٱلْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ ، فَيَكُونُ ذٰلكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ ٢عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ فِيكَ ، فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ ٱلْقَوْمِ إِلَىَ قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَٱلْمَعُونَةِ .

ذكر طرفاً من هذه المشورة أبو حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال): ص١٣٤ ورواها أحمد بن أعثم الكوفي في « الفتوح » ج٢/٣٧ والطبري في « التاريخ » ج٤ ص٢٣٧ وما بعدها في حوادث سنة ٢٧ وفيه : أن عمر لما لما أراد أن يغزو العجم وجيوش كسرى وهي مجتمعة بنهاوند[٣] استشار الصحابة وقال أوجزوا في القول ، ولا تطيلوا فتفشغ بكم الامور واعلموا أن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، فقام طلحة بن عبيد الله — وكان من

---

(١) شخصت : خرجت وانتقضت : فسدت ، والعورات جمع عورة، والمراد بها الخلل من قولهم : اعور الفارس اذا بدا فيه خلل للطعن والضرب

(٢) الكلب ـ بالتحريك ـ الصعوبة والشدة

(٣) نهاوند ـ بفتح النون ـ بلدة في بلاد فارس تقع قبلة همدان

خطباء أصحاب رسول الله ﷺ – فتشهد ثم قال : « أما بعد ، يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الامور، وعجمتك البلايا، واحتنكتك التجارب، وأنت وشأنك ، وأنت ورأيك لا تنبوا في يديك ، ولا تكلّ عليك ، إليك هذا الأمر ، فمرنا نطع ، وادعنا نجب ، واحمنا نركب ، وفدنا نفد ، وقدنا ننقد ، فانك ولي هذا الأمر ، وقد بلوت وجربت ، واختبرت فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء لك إلا عن خيار » .

ثم جلس فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده فتكلموا فقام عثمان فتشهد وقال :

«أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين ، فانك إذا سرت بمن معك وعندك قلّ في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم ، وكنت أعز عزاً وأكثر ، يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ، ولا تمتنع من الدنيا بعزيز ، ولا تلوذ منها بحريز ، إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه» ثم جلس .

فعاد عمر فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا فقام علي بن أبي طالب فقال : «أما بعد – يا أمير المؤمنين – فانك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم ، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم ، وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات ، أقرر هؤلاء في أمصارهم . واكتب الى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق ، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم ، إن الأعاجم إن ينظروا إليك

غداً يقولوا هذا أصل العرب ... » الخ .

كما ذكر الطبري هذه المشورة قبل ما نقلناه بقليل قال : فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : « ... ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة ... » الخ

وقال ابن أبي الحديد : واعلم أن هذا الكلام قد اختلف في الحال التي قاله فيها لعمر ، فقيل : قاله في غزاة القادسية ، وقيل : في غزاة نهاوند وإلى هذا القول الأخير ذهب محمد بن جرير الطبري في « التاريخ الكبير » والى القول الأول ذهب المدائني في كتاب « الفتوح »[1] .

وقال الشيخ المفيد : ومما جاء عنه عليه السلام في صواب الرأي وإرشاد القوم الى ما فيه مصالحهم ، وتداركه ما كان يفسد بهم لولا تنبيهه على وجه الرأي ما حدث به شبانة بن سواد عن أبي بكر الهذلي قال :سمعت رجلاً من علمائنا يقول : تكاتبت الأعاجم من أهل همدان وأهل الري وأصبهان وقومس ونهاوند وأرسل بعضهم الى بعض :إن ملك العرب الذي جاء بدينهم، وأخرج كتابهم قد هلك — يعنون النبي ﷺ — وأنه ملكهم من بعده رجل ملكاً يسيراً ثم هلك — يعنون أبا بكر— ثم قام بعده آخر طال عمره حتى تناولكم في بلادكم وأغزاكم جنوده — يعنون عمر بن الخطاب — وأنه غير منته عنكم حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده ، وتخرجوا اليه فتغزوه في بلاده ، فتعاقدوا على هذا وتعاهدوا عليه ، فلما انتهى الخبر إلى من بالكوفة من المسلمين أنهوه إلى عمر بن الخطاب فلما انتهى اليه الخبر فزع لذلك فزعاً شديداً ثم أتى مسجد رسول الله ﷺ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : معاشر المهاجرين والأنصار إن الشيطان قد جمع لكم جموعاً ، وأقبل ليطفىء بها نور الله ، الا إن أهل همدان وأهل أصبهان ، وأهل الري وقومس ونهاوند مختلفة ألسنتها وألوانها وأديانها قد تعاهدوا وتعاقدوا أن يخرجوا من

---

(١) نهج البلاغة : م ٢ ص ٤٢٥

بلادهم اخوانكم من المسلمين ، ويخرجوا اليكم ويغزوكم في بلادكم فأشيروا عليّ وأوجزوا ولا تطنبوا في القول فان هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا ، ثم ذكر ما أشار به طلحة وعثمان وعلي كما رواه الطبري — ثم علق المفيد على ذلك بقوله : فانظروا — أيدكم الله — إلى هذا الموقف الذي ينبىء بفضل الرأي إذ تنازعه أُولوا الألباب والعلم ، وتأملوا التوفيق الذي قرن الله به أمير المؤمنين عليه السلام في الأحوال كلها ، وفزع القوم اليه في المعضل من الامور (١) .

١٤٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَبَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ ٱلشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ ٱلْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ ، فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ ، وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ٢ ، وَٱحْتَصَدَ مَنِ ٱحْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ ، وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ

---

(١) الارشاد : ص ١٢٠

(٢) المثلات ــ بفتح فضم ــ العقوبات

مِنْ بَعدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ ٱلْحَقِّ ، وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ ، وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْكَذِبِ عَلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ، وَلاَ أَنْفَقُ مِنْهُ(١) إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلاَ فِي ٱلْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ، فَقَدْ نَبَذَ ٱلْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ(٢) ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ فِي ٱلنَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ، لأَنَّ ٱلضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ ٱلْهُدٰى وَإِنِ ٱجْتَمَعَا ، فَاجْتَمَعَ ٱلْقَوْمُ عَلَى ٱلْفُرْقَةِ ، وَٱفْتَرَقُوا عَنِ ٱلْجَمَاعَةِ ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ ٱلْكِتَابِ وَلَيْسَ ٱلْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ ٱسْمُهُ ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ(٣) . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا

---

(١) السلعة البائرة : الكاسدة ، وانفق منه : اروج منه .
(٢) يطردهما أهل الباطل ومع ذلك فانهما لا يفترقان
(٣) زبره : كتابته أي لا يعرفون منه الا انهم يقرؤونه ويكتبونه .

بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللهِ فِرْيَةً[١] ، وَجَعَلُوا فِي ٱلْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ ٱلسَّيِّئَةِ .

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ ٱلْمَوْعُودُ ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ ٱلْمَعْذِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ ٱلتَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ ٱلْقَارِعَةُ وَٱلنِّقْمَةُ[٢] .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهَ وُفِّقَ ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فَإِنَّ جَارَ ٱللهِ آمِنٌ ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ . وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَسَلاَمَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ . فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفَارَ ٱلصَّحِيحِ مِنَ

---

(١) مثلوا بهم ــ ان كانت بتخفيف المثلثة ــ فمعناها نكلوا بهم وهم احياء وان كانت بالتشديد فالمعنى شوهوا اجسامهم بعد الموت ، وقال الشيخ محمد عبده : مثلوا : أي شنعوا ، والفرية : الكذب

(٢) الموعود : الموت ، والقارعة : الداهية .

ٱلْأَجْرَبِ ، وَٱلْبَارِي مِنْ ذِي ٱلسُّقْمِ[1] . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا ٱلرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي تَرَكَهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ ٱلْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَبَذَهُ . فَٱلْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ . هُمُ ٱلَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ ٱلدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

رواها قبل الرضي الكليني في (روضة الكافي) ص٣٨٦ بصورة أبسط مما في هنا ، واختلاف يسير في بعض الكلمات .

وقد ضمن الحسن السبط سلام الله عليه كثيراً من خطبة أبيه صلوات الله عليه هذه في بعض حكمه[2] .

وسيأتي أن الخطبة (٢٣٧) فصل من هذه الخطبة كما ستأتي الاشارة اليها في باب الكلمات القصار في الحكمة (٩٨) .

---

(١) الباري : المعافى من المرض .
(٢) انظر (تحف العقول) ص : ١٦٣

١٤٦ - ومن خطبة له عليه السلام

في ذكر أهل البصرة

كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو ٱلْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ لاَ يَمُتَّانِ إِلَى ٱللهِ بِحَبْلٍ ، وَلاَ يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ . كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ ١ . وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ . وَٱللهِ لَئِنْ أَصَابُوا ٱلَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا نَفْسَ هٰذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَى هٰذَا . قَدْ قَامَتِ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ ٱلْمُحْتَسِبُونَ ٢؟ فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ ٱلسُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ ٱلْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَٱللهِ لاَ أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ ٱللَّدْمِ ٣ يَسْمَعُ ٱلنَّاعِيَ وَيَحْضُرُ ٱلْبَاكِيَ ثُمَّ لاَ يَعْتَبِرُ .

هذه الخطبة رواها قبل الرضي أبو مخنف في كتاب (الجمل) على ما حكاه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م١ ص٧٨ ، ورواها بعد الرضي المفيد في (الارشاد) ص١٤٢ بصورة تختلف مع رواية الشريف الرضي .

---

(١) ضمير التثنية راجع الى طلحة والزبير ، ويمتان : يتوسلان ، ويمدان : يتوصلان والضب : الحقد .

(٢) المحتسبون : طالبوا الحسبة وهي الاجر

(٣) الضلة : الضلالة ، ومستمع اللدم : الضبع ، وقد مر المعنى في الخطبة (٦)

١٤٧ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قبـــل موتـــه

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُّ ٱمْرِيءٍ لاَقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ ، وَٱلْأَجَلُ مَسَاقُ ٱلنَّفْسِ١ . وَٱلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ ، كَمْ أَطْرَدَتِ ٱلْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ فَأَبَى ٱللهُ إِلاَّ إِخْفَاءَهُ ، هَيْهَاتَ . عِلْمٌ مَخْزُونٌ ، أَمَّا وَصِيَّتِي : فَاللهُ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ ، أَقِيمُوا هٰذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ ، وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا٢ . حَمَلَ كُلُّ ٱمْرِيءٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ ، وَخَفَّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ ، وَدِينٌ قَوِيمٌ ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ . أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَأَنَا ٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ ، غَفَرَ ٱللهُ لِي وَلَكُمْ .

إِنْ تَثْبُتِ ٱلْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ ٱلْمَزَلَّةِ فَذَاكَ ، وَإِنْ تَدْحَضِ

---

(١) اي الامر الذي تساق اليه وتنتهي عنده .

(٢ اي برئتم من الذم ما لم تشردوا اي تنفروا وتميلوا عن الحق. وذم مرفوع بالفاعلية

ٱلْقَدَمُ١ فَإِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ ، وَمَهَبِّ رِيَاحٍ ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ ٱضْمَحَلَّ فِي ٱلْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا ، وَعَفَا فِي ٱلْأَرْضِ مَخَطُّهَا٢ ، وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً ، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً٣ : سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطُوقٍ ، لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي ، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي ٤ ، وَسُكُونُ أَطْرَافِي ، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ ٱلْمَنْطِقِ ٱلْبَلِيغِ ، وَٱلْقَوْلِ ٱلْمَسْمُوعِ ، وَدَاعِيكُمْ وَدَاعُ ٱمْرِيءٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي٥ ، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي ، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي ، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي .

سيأتي الكلام على مصادر هذا الكلام في باب (الكتب) برقم ٢٣ إن شاء الله تعالى .

---

(١) يريد بثبات الوطأة : معافاته من جرحه ، وتدحض : تزل .

(٢) الافياء جمع فيىء وهو الظل ، والمتلفق : المنضم بعضه الى بعض، وعفا : درس وذهب ، ومخطها : ما خطته في الارض ، وضمير متلفقها للغمام ، وضمير مخطها للرياح .

(٣) اي خالية من الروح

(٤) خفوت : سكون ، واطراقه : ارخاء عينيه ، واطرافه : يداه ، وراسه ، ورجلاه .

(٥) وداعيكم اي وداعي لكم ، وتروى « ودعتكم » ومرصد : منتظر، والتلاق : لقاء الله .

١٤٨ ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

يومي فيها الى ذكر الملاحم

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً طَعْناً فِي مَسَالِكِ ٱلْغَيِّ ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ ٱلرُّشْدِ ، فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ ، وَلاَ تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ ٱلْغَدُ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ ، وَمَا أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ(١) ، يَا قَوْمِ هٰذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ(٢) ، وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لاَ تَعْرِفُونَ ، أَلاَ وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ ٱلصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً(٣) ، وَيُعْتِقَ رِقّاً ، وَيَصْدَعَ شَعْباً ، وَيَشْعَبَ صَدْعاً(٤) ، فِي سُتْرَةٍ عَنِ ٱلنَّاسِ لاَ يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ أَثَرَهُ(٥) وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ ، ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ ٱلنَّصْلَ(٦) . تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ

(١) تباشير الصبح : اوائله

(٢) ابان ـ بكسر فتشديد ـ وقت

(٣) الربق : الحبال المعقدة وتقدم معناها غير مرة

(٤) اي يفرق جماعة من جماعات الضلال ، ويجمع ما تفرق من كلمة أهل الهدى والايمان .

(٥) في سترة اي استتار ، والقائف من يقفو الاثر فيعرف صاحبه .

(٦) القين الحداد ، والنصل حدة السيف والسهم والسكين ونحوها

أَبْصَارُهُمْ ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ ٱلصَّبُوحِ ١ .

(مِنْهَا) وَطَالَ ٱلْأَمَدُ ٢ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا ٱلْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا ٱلْغِيَرَ ٣ ، حَتَّى إِذَا ٱخْلَوْلَقَ ٱلْأَجَلُ ، وَٱسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى ٱلْفِتَنِ ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ ، وَلَمْ يَمُنُّوا عَلَى ٱللهِ بِالصَّبْرِ ٤ ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي ٱلْحَقِّ ، حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ ٱلْقَضَاءِ ٱنْقِطَاعَ مُدَّةِ ٱلْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ ٥ ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ .

(مِنْهَا) حَتَّى إِذَا قَبَضَ ٱللهُ رَسُولَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

---

(١) الغبوق : الشرب مساء والصبوح : الشرب صبحا

(٢) وطال بهم .. الخ هذا الفصل يقتضي أنه متصل بكلام لم يذكره الرضي رحمه الله في وصف قوم من اهل الضلال .

(٣) الغير ــ بكسر ففتح ــ تقلبات الدهر ونوائبه .

(٤) اخلولق الاجل : قارب أمرهم الانتهاء ، واستراح .. الخ اي استراحوا لانشغال القوم بعض ببعض بالفتن ، ورفعوا ايديهم عن تهييج الحرب ، والكلام استعارة من القح الفحل الناقة والضمائر في « يمنوا » وما قبلها للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب .

(٥) يريد أظهروا عقيدتهم داعين اليها قال الشيخ محمد عبده : من الطف انواع التمثيل .

وَآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى ٱلْأَعْقَابِ ، وَغَالَتْهُمُ ٱلسُّبُلُ ، وَٱتَّكَلُوا عَلَى ٱلْوَلَائِجِ ١ وَوَصَلُوا غَيْرَ ٱلرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا ٱلْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ٢ ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ . قَدْ مَارُوا فِي ٱلْحَيْرَةِ ٣ ، وَذَهَلُوا فِي ٱلسَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى ٱلدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ .

روى الطبري في (المسترشد) ص ٧٤ فقرات من أواخر هـذه الخطبة باختلاف في بعض الألفاظ ، ويظهر من رواية الطبري أن هذه الخطبة طويلة لأنه جاء في روايته فصول لم يروها الرضي ولأنه قال في أول روايته لما رواه وقال عليه السلام أيضاً في خطبته ... الخ .

١٤٩ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ ٱلشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ ، وَٱلِاعْتِصَامِ

---

(١) غالتهم : أهلكتهم ، والسبل الطرق ، والمراد بها اختلاف الاراء ، والولائج جمع وليجة وهي البطانة يتخذها الانسان لنفسه .

(٢) المراد من كل ما ذكر انهم نقلوا الامر عن اهل البيت ووضعوه في غير موضعه .

(٣) الضارب : الداخل ، والمراد بالغمرة الجهل والضلال ، وما روا اضطربوا .

مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ١ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ ، لَا يُوَازَي فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ ، أَضَاءَتْ بِهِ ٱلْبِلَادُ بَعْدَ ٱلضَّلَالَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ ، وَٱلْجَهَالَةِ ٱلْغَالِبَةِ ، وَٱلْجَفْوَةِ ٱلْجَافِيَةِ ، وَٱلنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ ٱلْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ ٱلْحَكِيمَ ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ٢ ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ ٱقْتَرَبَتْ ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ ٱلنِّعْمَةِ ، وَٱحْذَرُوا بَوَائِقَ ٱلنِّقْمَةِ وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ ٱلْعَشْوَةِ٣ ، وَٱعْوِجَاجِ ٱلْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا ، وَظُهُورِ كَمِينِهَا ، وَٱنْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا٤ ، تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ

---

(١) مداحره ما يدحر بها أي يطرد ، ومزاجره ما يزجر به اي يمنع ، وحبائله : مكائده واشراكه ، ومخاتله : ما يختل بها اي يخدع .

(٢) لا يوازى : لا يساوى ، والجفوة الجافية : غلظ الطبع ، وبلادة الفهم ، والفترة : انقطاع الوحي بين النبوتين .

(٣) القراض : اهداف ، وسكرات النعمة : ما تحدثه النعمة من الغفلة المشابهة للسكر والبوائق : الدواهي ، والقتام: الغبار والعشوة : ركوب الامر على غير بينة .

(٤) اعوجاج الفتنة : عدولها عن المنهج ، وكنى عن ظهور المستور الخفي بالجنين ، وكنى عن استحكام الفتنة بانتصاب قطبها ... الخ .

جَلِيَّة[1] . شَبَابُهَا كَشَبَابِ ٱلْغُلَامِ ،وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ[2] تَتَوَارَثُهَا ٱلظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ[3] ، عَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ ٱلتَّابِعُ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِ ، وَٱلْقَائِدُ مِنَ ٱلْمَقُودِ ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ[4] ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ ٱلْفِتْنَةِ ٱلرَّجُوفِ ، وَٱلْقَاصِمَةَ ٱلزَّحُوفِ[5] ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ ٱسْتِقَامَةٍ ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ ، وَتَخْتَلِفُ ٱلْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ ٱلْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[6] ،

---

(١) تبدا في مدارج .. الخ اي تبدو يسيرة ثم تصير الى فضاعة اي شدة وشناعة .

(٢) شباب الغلام ــ بكسر الشين ــ : لعبه ومرحه ، والسلام جمع سلمة ــ بكسر اللام ــ وهي الحجارة اي أن هذه الفتنة حين تقوم يمرحون فيها ويفرحون ثم تكون آثارها فيهم كأثر الحجارة في الرض والتحطم .

(٣) تتوارثها الظلمة اي يأخذها الخلف بعهد من السلف ، وجيفة مريحة اي منتنة قد ظهر ريحها .

(٤) يتزايلون : يتفرقون

(٥) طالعها : اولها ، ورجوف : مرتجفة اي مضطربة ، والقاصمة : المحطمة : والزحوف الزاحفة ، تشبها لها بزحف الدبى على الزرع .

(٦) وتزيغ تنحرف ، ونجومها : ظهورها ، اي يضلون بعد هدى ، ويكفرون بعد ايمان .

مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَىٰ فِيهَا حَطَمَتْهُ ، يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ١ . قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلْأَمْرِ ، تَغِيضُ فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ٢ ، وَتَنْطِقُ فِيهَا ٱلظَّلَمَةُ ، وَتَدُقُّ أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا ، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا٣ ، يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ٤ ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا ٱلرُّكْبَانُ . تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ ٱلدِّمَاءِ٥ ، وَتَثْلِمُ مَنَارَ ٱلدِّينِ ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ ، تَهْرُبُ مِنْهَا ٱلْأَكْيَاسُ ، وَتُدَبِّرُهَا ٱلْأَرْجَاسُ ٦ ، مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ٧ ، تُقَطَّعُ فِيهَا ٱلْأَرْحَامُ ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلْإِسْلَامُ ، بَرِيُّهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ .

---

(١) الكدم : العض ، والعانة : القطيع من حمر الوحش جمعها عون
(٢) تغيض : تنقص وتغور .
(٣) المسحل المبرد : والكلاكل : الصدر .
(٤) الوحدان : جمع واحد .
(٥) الدم العبيط : الطري الخالص .
(٦) الاكياس جمع كيس ــ كخير ــ : العاقل والارجاس جمع رجس وهو النجس .
(٧) مرعاد : مبراق : أي ذات تهديد ووعيد اويجوز أن يريد صوت الاسلحة وبريقها وكاشفة عن ساق ، اي عن شدة ومشقة .

(مِنْهَا) بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[1] ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ ، يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ بِغُرُورِ ٱلْإِيمَانِ[2] ، فَلاَ تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ[3] وَأَعْلاَمَ ٱلْبِدَعِ ، وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ ٱلطَّاعَةِ ، وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللهِ مَظْلُومِينَ وَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ، وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ ٱلشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ ، وَلاَ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ[4] ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ[5] ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلطَّاعَةِ .

استشهد السيد اليماني رحمه الله في (الطراز) ج١ ص٣٣٤ بفقرات منها بما يختلف قليلاً مع رواية الشريف الرضي ، فروى : « تمتد فيمدارج خفية » والذي في (النهج) « تبدأ » فيقتضي ذلك أن مرجعه فيها غير الرضي .

---

(١) دم مطلول : مهدر .

(٢) اي يخدعون بالاقسام ، وبما يتظاهرون به من الايمان .

(٣) الانصاب : ما ينصب ليقصد .

(٤) لعق ــ بضم اللام وفتح العين ــ جمع لعقة وهو ما يؤخذ بالملعقة

(٥) بعين من حرم المعصية : أي بمنظر من الله جل وعلا والكلام استعارة .

١٥٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

ٱلْحَمْدُ لله ٱلدَّالِّ عَلَىٰ وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ . وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ أَزَلِيَّتِهِ . وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ . لاَ تَسْتَلِمُهُ ٱلْمَشَاعِرُ١ ، وَلاَ تَحْجُبُهُ ٱلسَّوَاتِرُ ، لاِفْتِرَاقِ ٱلصَّانِعِ وَٱلْمَصْنُوعِ ، وَٱلْحَادِّ وَٱلْمَحْدُودِ ، وَٱلرَّبِّ وَٱلْمَرْبُوبِ . ٱلْأَحَدِ لاَ بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَٱلْخَالِقِ لاَ بِمَعْنَىٰ حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ ، وَٱلسَّمِيعِ لاَ بِأَدَاةٍ ، وَٱلْبَصِيرِ لاَ بِتَفْرِيقِ آلَةٍ٢ ، وَٱلشَّاهِدِ لاَ بِمُمَاسَّةٍ وَٱلْبَائِنِ لاَ بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ ، وَٱلظَّاهِرِ لاَ بِرُؤْيَةٍ ، وَٱلْبَاطِنِ لاَ بِلَطَافَةٍ٣ . بَانَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهَا . وَبَانَتِ ٱلْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَٱلرُّجُوعِ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ٤ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ

(١) المشاعر : الحواس ، ولا تستلمه : اي لا تلمسه كما رويت بهذا اللفظ ، والسواتر : الحجب ، والمعنى ان السواتر انما تحجب ما كان في جهة والصانع جل وعلا منزه عن ذلك ويبينه الفقرات بعده .

(٢) الاداة : الآلة ، وتفريق الآلة : تفريق الاجفان ، وتفريق بعضها عن بعض .

(٣) البائن المنفصل فهو سبحانه بائن عن خلقه لا بمسافة بين الذاتين ، واللطافة : الصغر والدقة .

(٤) المراد بوصفه : توهمه بصفات المحدثين .

أَزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ ٱسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ . وَعَالِمٌ إِذْ لاَ مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذْ لاَ مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذْ لاَ مَقْدُور .

(مِنْهَا) قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لاَمِعٌ ، وَلاَحَ لاَئِحٌ وَٱعْتَدَلَ مَائِلٌ ، وَٱسْتَبْدَلَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً ، وَبِيَوْمٍ يَوْماً . وَٱنْتَظَرْنَا ٱلْغِيَرَ ٱنْتِظَارَ ٱلْمُجْدِبِ ٱلْمَطَرَ . وَإِنَّمَا ٱلْأَئِمَّةُ قُوَّامُ ٱللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، لاَ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلاَ يَدْخُلُ ٱلنَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ . إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلاَمِ وَٱسْتَخَصَّكُمْ لَهُ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلاَمَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ . ٱصْطَفَى ٱللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حِكَمٍ[1] . لاَ تَفْنَى غَرَائِبُهُ ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ . فِيهِ مَرَابِيعُ ٱلنِّعَمِ[2] ، وَمَصَابِيحُ

---

(١) منهجه : طريقه الواضح ، وحججه : الادلة والامارات ، ومن : للتفسير والمراد بظاهر العلم : ظاهر الشريعة واحكامها ، وباطن الحكم ما يشتمل عليه القرآن الكريم من الاسرار .

(٢) مرابيع النعم : الامطار التي تأتي في اول الربيع

ٱلظُّلَمِ . لاَ تُفْتَحُ ٱلْخَيْرَاتُ إِلاَّ بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلاَ تُكْشَفُ ٱلظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِمَصَابِيحِهِ . قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ[1] وَأَرْعَى مَرْعَاهُ . فِيهِ شِفَاءُ ٱلْمُشْتَفِي ، وَكِفَايَةُ ٱلْمُكْتَفِي .

هذه الخطبة خطب بها عليه السلام حين أفضت الخلافة اليـه ، نص على ذلك ابن أبي الحديد [2] وفي نصه هذا دليل على أنه رآها في غير (النهج) . وقد روى الكليني في (اصول الكافي) ج١ ص١٣٩ منها فقرات عديدة ، كما روى الآمدي منها في (غرر الحكم) ص٢٣٢ في حـرف القاف بلفظ (قد) قوله عليه السلام : « قد طلع طالع ، ولمع لامع ، ولاح لائح ،واعتدل مائل »وفي حرف الالف بلفظ (إنما) ص٢٣٥ قوله عليه السلام : « إنمـــا الأئمة قوام الله على خلقـه ، وعرفاؤه على عباده ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه » وفي حـرف الالف بلفظ (إن) المشددة قوله سلام الله عليه : (إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق ، ولا تفنى عجائبـه ، ولا تكشف الظلمات إلا به) فلاحظ هـذا التفاوت لترى أن مصدر الآمدي غير مصدر الرضي .

١٥١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ ٱللهِ يَهْوِي مَعَ ٱلْغَافِلِينَ[3] ، وَيَغْدُو مَعَ ٱلْمُذْنِبِينَ ، بِلاَ سَبِيلٍ قَاصِدٍ ، وَلاَ إِمَامٍ قَائِدٍ .

(١) احمى : منع والضمير في أحمى الى الله تعالى وفي حمـاه الى القرآن أو الى الاسلام ، ورعى مرعاه : أباح ما تنبته أرضه الطيبـة من الفوائد لمن يريد رعيـه .

(٢) شرح النهج م ٢ ص ٤٤٤

(٣) يصف انسانا من أهل الضلال غير معين

(مِنْهَا) حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ . وَٱسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلاَبِيبِ غَفْلَتِهِمْ١ ، ٱسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً ، وَٱسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً٢ . فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ ، وَلاَ بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ . إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ٣ ، فَلْيَنْتَفِعِ ٱمْرُؤٌ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّمَا ٱلْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَٱنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ ٱلصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهَاوِي ، وَٱلضَّلاَلَ فِي ٱلْمَغَاوِي٤ . وَلاَ يُعِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ . فَأَفِقْ أَيُّهَا ٱلسَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ،

---

(١) فاعل كشف الله تعالى ، وجلابيب جمع جلباب وهو الملحفة والمعنى كأنهم كانوا من الغفلة في لباس نزع عنهم .

(٢) المدبر الذي استقبلوه الشقاء والعذاب فانه كان في ظنهم واعتقادهم مدبرا ، والمقبل الذي استدبروه : ما خولهم الله من الاموال والاولاد والنعم .

(٣) تروى « المزلة » من الزلل .

(٤) الجدد : الطريق اللاحب ، والمهاوي جمع مهواة وهي الهوة والمغاوي جمع مغواة ، وهي الشبهة يذهب معها الانسان الى ما يخالف الحق

وَأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ . وَضَعْ فَخْرَكَ وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ . وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً ، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ(١) وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ . وَٱلْجِدَّ ٱلْجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » .

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللهِ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ(٢) ٱلَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً ــ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ــ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يَعُرَّ بِأَمْرٍ

---

(١) مهد ــ كمنع ــ بسط .

(٢) عزائم الله : موجباته : والامر المقطوع عليه لا ريب فيه ولا شبهة

فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى ٱلنَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ١ ، أَوْ يَلْقَى ٱلنَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . ٱعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ٢ .

إِنَّ ٱلْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا ، وَإِنَّ ٱلسِّبَاعَ هَمُّهَا ٱلْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا . وَإِنَّ ٱلنِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْفَسَادُ فِيهَا . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ ، إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ ، إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ٣ .

في بعض نسخ (نهج البلاغة) أن هذا الفصل تابع للخطبة السابقة ، وكيف كان فقد نص ابن أبي الحديد : إن هذه الخطبة خطب بها وهو سائر الى البصرة[٤] ولا ريب أنه بقوله هذا اطلع عليها في غير (نهج البلاغة) هذا وما ذكره الرضي في هذا الموضع ملتقط من خطبة له عليه السلام رواها قبل الرضي ابن شعبة في « تحف العقول » ص١٠٨ ، كما روى الكليني فقرات منها في (الكافي) ج٥ ص٨٢ ، وسيأتي في باب الكلمات القصار أن الحكمة (٣٩٨) منتزعة من هذه الخطبة .

---

(١) يعره : يعيبه من عر يعر عراً ويستنجح : اي يطلب حاجته من الناس بالابتداع في الدين .

(٢) اي هذا الحكم بعدم المغفرة لمن أتى شيئاً من هذه الاشياء عام ، والواحد منها دليل على ما يشابهه ويماثله .

(٣) مستكينون : خاضعون لله ، مشفقون من عذابه ، خائفون من عقابه .

(٤) شرح النهج م ٢ ص ٤٤٨

١٥٢ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَنَاظِرُ قَلْبِ ٱللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ(١) . دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَٱتَّبِعُوا ٱلرَّاعِيَ .

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ ٱلْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ ٱلسُّنَنِ(٢) ، وَأَرَزَ ٱلْمُؤْمِنُونَ(٣) . وَنَطَقَ ٱلضَّالُونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ، نَحْنُ ٱلشِّعَارُ وَٱلْأَصْحَابُ ، وَٱلْخَزَنَةُ وَٱلْأَبْوَابُ(٤) ، لَا تُؤْتَى ٱلْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً .

(مِنْهَا) : فِيهِمْ كَرَائِمُ ٱلْقُرْآنِ(٥) ، وَهُمْ كُنُوزُ ٱلرَّحْمٰنِ . إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا . فَلْيَصْدُقْ

---

(١) اي ان قلب اللبيب له عين يبصر بها غايته التي يجري اليها والغور ما انخفض من الارض ، والنجد ما ارتفع منها اي يدرك باطن الامر وظاهره.

(٢) قال ابن ابي الحديد: هذا الكلام متصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه الله وهو ذكر قوم من اهل الضلال ، قد كان أخذ في ذمهم ونعى عليهم عيوبهم .

(٣) أرز المؤمنون : انقبضوا .

(٤) الشعار : ما يلي الجسد من ثياب والكلام كناية عن قربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وهم خزنة علمه وابوابها .

(٥) الضمير لاهل البيت عليهم السلام ، والكرائم جمع كريمة قال الشيخ محمد عبده : والمراد انزلت في مدحهم آيات كريمات والقرآن كريم كله وهذه كرائم من كرائمه .

رَائِدٌ أَهْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ . فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ ٱلْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ . فَإِنَّ ٱلْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ ، فَلاَ يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ إِلاَّ بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ ، وَٱلْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ ؟ وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ ٱلرَّسُولُ ٱلصَّادِقُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ « إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْعَبْدَ(١) ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ ٱلْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ » وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً ، وَكُلُّ نَبَاتٍ لاَ غِنًى بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ ، وَٱلْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ .

(١) اي ان المؤمن اذا أساء فالله تعالى يحبه ويبغض سيئته ، والكافر اذا احسن يبغضه ويحب حسنته .

هذا كلام متصل بكلام لم يحكه الرضي رحمه الله [1] .

وروى الآمدي من هذه الخطبة في حرف القاف بلفظ (قد) قوله عليه السلام (قد خاضوا بحار الفتن ، وأخذوا بالبدع دون السنن ، وتوغلوا الجهل ، واطرحوا العلم) وفي حرف النون : ص ٣٢٤ قوله عليه السلام : (نحن الشعار والأصحاب ، والسدنة والأبواب ، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ومن أتاها من غير أبوابها كان سارقاً لا تعدوه العقوبة) وفي حرف الهاء ص ٣٣١ قوله سلام الله عليه (هم كرائم الايمان ، وكنوز الرحمن ، إن قالوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يسبقوا) وفي حرف الألف بلفظ (إن) المشددة قوله صلوات الله عليه : (إن الناظر بالقلب العامل بالناظر يكون مبتدأ عمله أن ينظر عمله عليه أم له فان كان له مضى فيه ، وإن كان عليه وقف عنه) كما روى قوله عليه السلام ص٢٥٢ (لكل ظاهر باطن على مثاله ... الخ) بحذف إن ، ألا يدل هذا الاختلاف البسيط في بعض الكلمات أن الآمدي نقل ذلك عن غير « نهج البلاغة » .

وروى السيد في (الطراز) ج١ ص٢١٧ بعض هذا الكلام بنقصان كلمة « الأصحاب » من قوله عليه الصلاة والسلام « نحن الشعار والاصحاب » وكلمة « بابها » بدل « أبوابها » من قوله عليه السلام « فمن أتاها من غير أبوابها » .

١٥٣ - ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش [2]

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ

---

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٤٤٤

(٢) الخفاش واحد الخفافيش : الطائر المعروف ، كأن اسمه مأخوذ من الخفش : وهو ضعف البصر خلقة .

وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ ٱلْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَىٰ بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ(١) ، هُوَ ٱللهُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى ٱلْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً ، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ ، وَلاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ ، وَلاَ مَعُونَةِ مُعِينٍ ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ ، وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلاَمُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ، وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا(٢) عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلُ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا ، وَرَدَعَهَا بِتَلأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ

---

(١) انحسرت : كلت ، وردعت : كفت ، والمساغ : المسلك .

(٢) العشا ــ مقصورا ــ سوء البصر وضعفه

ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا ، وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ ٱلذَّهَابِ فِي بَلَجِ ٱئْتِلاقِهَا[1] ، فَهِيَ مُسْدِلَةُ ٱلْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا ، فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ[2] ، وَلاَ تَمْتَنِــعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ ، فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا[3] ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى ٱلضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا[4] أَطْبَقَتِ ٱلْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[5] وَتَبَلَّغَتْ بِمَا ٱكْتَسَبَتْ مِنْ فَيْءِ ظُلَمِ لَيَالِيهَا[6] . فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ٱللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً ، وَٱلنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً . وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً

---

(١) سبحات النور : درجاته وأطواره ، الائتلاق : اللمعان . والبلـج ـ بالتحريك ـ الضوء ووضوحه .

(٢) أسدف الليل : أظلم . والدجنة الظلمة ، وغسق الدجنة شدتها

(٣) اوضاح ـ جمع وضح بالتحريك ـ وهو هنا بياض الصبح

(٤) الضباب ـ ككتاب ـ جمع ضب الحيوان المعروف . والوجار ـ ككتاب ـ الجحر .

(٥) جمع ماق ، وهو طرف العين مما يلي الانف

(٦) تبلغت : اكتفت أو اقتاتـت

مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إلى ٱلطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا ٱلْآذَانِ[1] ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ [2] ، إلاَّ أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً[3] . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا ، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ ، تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا لاَجِيءٌ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ ، لاَ يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ ، فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ[4] .

تقدم الكلام منا حول هذه الخطبة في الجزء الأول من هـــذا الكتاب : ص١١٣ و١٥٩ ، وروى السيد في (الطراز) ج١ ص٣٣٤ بعض هذا الكلام بابدال كلمة « مواضع العروق » بـ « موضع العروق » .

---

(١) شظايا جمع شظية ـ كعطية ـ الفلقة من الشيء اي كانها مؤلفة من شقق الآذان .

(٢) القصب : عمود الريشة او اسفلها المتصل بالجناح

(٣) اي رسوما ظاهرة .

(٤) خلا : تقدمه من سواه فحاذاه .

١٥٤ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خاطب به اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَفْعَلْ[١] . فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَلَى سَبِيلِ ٱلْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ[٢] .

وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ ٱلنِّسَاءِ ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ ٱلْقَيْنِ[٣] ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ ،وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا ٱلْأُولَى وَٱلْحِسَابُ عَلَى ٱللهِ تَعَالَى .

---

(١) يعتقلها على الله : يحبسها على طاعته

(٢) لان للتكليف مرارة ، وجاء في الحديث الشريف « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »

(٣) المرجل : القدر . والقين ـ بالفتح ـ الحداد ، قال الشيخ محمد عبده : اي ان ضغينتها وحقدها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد فانه يغلي ما دام يصنع . ولو دعاها احد لتصيب من غيري غرضا من الاساءة والعدوان مثل ما أتت اليّ ـ اي فعلت بي ـ لم تفعل ، لان حقدها كان علي خاصة .

(مِنْهُ) سَبِيلٌ أَبْلَجُ ٱلْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ ٱلسِّرَاجِ ،فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلصَّالِحَاتِ . وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلْإِيمَانِ ، وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ ٱلْعِلْمُ . وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ ٱلْمَوْتُ ،وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ ٱلدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ ٱلْآخِرَةُ١. وَإِنَّ ٱلْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ ٱلْقِيَامَةِ ٢ ، مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى ٱلْغَايَةِ ٱلْقُصْوَى .

(مِنْهُ) قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ ٱلْأَجْدَاثِ ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ ٱلْغَايَاتِ٣. لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا ، لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا. وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ. وَإِنَّهُمَا لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلاَ يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللهِ فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ ، وَٱلشِّفَاءُ ٱلنَّافِعُ ،

---

(١) وبالدنيا الخ لانها مزرعة الآخرة .

(٢) المقصر ــ كمقعد ــ المحبس ، اي لا مستقر لهم دون القيامة فهم ذاهبون اليها مرقلين اي مسرعين في ميدان هي غايته ومنتهاه .

(٣) شخصوا : ذهبوا والاجداث : القبور ، والمصائر : جمع مصير وهو المال

وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ(١) وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ ، وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ ، وَلاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ ٱلرَّدِّ وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ(٢) ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

وقام اليه رجل فقال : يا امير المؤمنين اخبرنا عن الفتنة وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنها فقال عليه السلام:

لَمَّا أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ (إلٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ)(٣) عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لاَ تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ ٱللهِ صَلى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللهُ تَعَالَى بِهَا ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ : أَوَلَيْسَ قَدْ

---

(١) الري ــ بالفتح والكسر ــ مصدر روي يروى ، ونقع العطش : ازالــه .

(٢) لا يزيغ : لا يميل ، ويستعتب : يطلب منه العتبى وهي الرضا ، ولا يخلقه : لا يبليه ، والرد الترداد وهذا من خصائص القرآن الكريم فانه لا ولن يزال غضا طريا غير مملول مع ان من طبيعة النفس معادات المعادات، وكراهة المكــررات .

(٣) العنكبوت : ٢

قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي ٱلشَّهَادَةُ(١) فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي : « أَبْشِرْ فَإِنَّ ٱلشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ » ؟ فَقَالَ لِي : « إِنَّ ذٰلِكَ لَكَذٰلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً » فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ ٱللهِ لَيْسَ هٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ ٱلصَّبْرِ ، وَلٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ ٱلْبُشْرٰي وَٱلشُّكْرِ . فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ . وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ ٱلْكَاذِبَةِ وَٱلْأَهْوَاءِ ٱلسَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ ٱلْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، وَٱلسُّحْتَ(٢) بِالْهَدِيَّةِ . وَٱلرِّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ : بِأَيِّ ٱلْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذٰلِكَ ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ : « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

ما اختاره الرضي هنا من خطبة له عليه السلام خطبها في البصرة بعد أن وضعت الحرب أوزارها يوم الجمل ، وفيها جوابات من سأله عن أهل الجماعة ، وأهل الفرقة ، وأهل السنة وأهل البدعة ، ولماذا حل له قتال أهل الجمل وقسمة ما

---

(١) حيزت : منعت

(٢) السحت ـ بضم السين وسكون الحاء ويجوز ضمها ـ : الحرام

في عسكرهم دون نسائهم وأموالهم وذراريهم ، وعن معنى الايمان والكفر ودعائمها ، وعن ميت الأحياء ، وعن المعروف والمنكر ، وأحاديث البدع وعن الفتنة ... الخ

وعند المقارنة يظهر لك أن ما نقله الرضي في هذا الموضع وما يأتي في (باب الكلمات القصار) تحت الأرقام التالية : (٣١ و٣٢ و ٢٦٦ و ٣٧٤) من خطبة واحدة .

أما مصادر الخطبة فروى بعضها الطبرسي في (الاحتجاج) ج١ ص ٣٢٦ بسنده عن يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه ، والمتقي الهندي في (كنز العمال) ج٨/٢١٥ ، و (منتخب كنز العمال) ج٦/٣١٥ وأشار اليها الطوسي في (تلخيص الشافي) ج١/٣٢٦ فقال : « والذي تظاهرت به الرواية ... أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بالبصرة وأجاب بمسائل شتى سئل عنها وأخبر بملاحم وأشياء تكون بالبصرة » .

وقال الحلي في (مختصر بصائر الدرجات) ص١٩٥ : « وقفت على كتاب (خطب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام) وعليه خط السيد رضي الدين علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس ما صورته : « هذا الكتاب ذكر كاتبه رجلين بعد الصادق عليه السلام فيمكن أن يكون تاريخ كتابته بعد مائتين من الهجرة لأنه عليه السلام انتقل بعد سنة مائة وأربعين من الهجرة ، وروى بعض ما فيه عن أبي روح فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عليه السلام » ثم قال بعد ذلك : « ومن الكتاب المذكور خطبته وفيها بعد كلام طويل : يا رسول الله فبأي منازل أنزلهم إذا فعلوا ذلك ؟ قال . بمنزلة فتنة ... » الخ .

وقد جمع المجلسي شتات هذه الخطبة وأورده ايراداً واحداً في (الفتن والمحن) من كتاب (بحار الأنوار) ص٤٤٨ ط الكمباني .

وسنذكر مصادر الكلمات المنتزعة من هذه الخطبة في محالها من هـذا الكتاب والله ولي التوفيق .

وقال ابن أبي الحديد : « قد كان عليه السلام يتكلم في الفتنة فلذلك ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذلك قال : فعليكم بكتاب الله فلذلك قام اليه من سأله عن الفتنة ، وهذا الخبر مروي عن رسول الله ﷺ قد رواه كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « إن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين » قال: فقلت : يا رسول الله إنك قد وعدتني الشهادة فاسأل الله أن يعجّلها لي بين يديك . قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . أمـا أني وعدتك الشهادة وستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذاً ؟ قلت : يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال : أجل أصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم ، فقلت : يا رسول الله لو بينت لي قليلاً ، فقال : ان امتي ستفتتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيـذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه . وتغلب كلمـة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها جاشت عليـك الصدور وقلبت لك الامور . فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيـله فليست حالهم الثانية دون حالهم الاولى . فقلت : يا رسول الله فبأي المنازل انزل هؤلاء المفتونين من بعدك أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة ؟ فقال : بمنزلة فتنـة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل . فقلت : يا رسول الله أيدركهم العـدل منا أم من غيرنا ؟ قال : بل منا . فبنا فتح وبنا يختم وبنا ألف الله بـين القلوب بعد الشرك وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة . فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله »[1] .

---

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ : ٤٦٢ وانظر « شرح نهج البلاغة » لابن ميثم: ج ٣ ص ٢٦٥

١٥٥ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَدَلِيلاً عَلَى آلائِهِ وَعَظَمَتِهِ١ .

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ ٱلدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ ، لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلاَ يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ ، آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ٢ ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلاَمُهُ ، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ ٱلزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ٣ ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي ٱلظُّلُمَاتِ ، وَٱرْتَبَكَ فِي ٱلْهَلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّءَ أَعْمَالِهِ ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ ٱلسَّابِقِينَ ، وَٱلنَّارُ غَايَةُ ٱلْمُفَرِّطِينَ .

---

(١) الذكر : القرآن المجيد : وجعل الحمد مفتاحه له لان اوله (الحمد لله رب العالمين) وحيث ان المراد بالحمد هنا الشكر فهو سبب للمزيد من فضله سبحانه لقوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم) ، والآلاء : النعم واحدها الى بالقصر والفتح وقد تكسر الهمزة .

(٢) متشابهة اموره : اي يشبه بعضها بعضا وتروى « متسابقة » اي كأن كلا من حوادثه ونوازله يطلب النزول قبل الآخر .

(٣) الشول : النوق التي قل لبنها ، وخف ضرعها . والزاجر السائق ، والمعنى ان سائق الشول يعسف بها ولا يرفق كما يرفق بالعشار

ٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلتَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ ، وَٱلْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ ، لاَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ ، وَلاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ ، أَلاَ وَبِالتقْوَىٰ تُقْطَعُ حُمَةُ ٱلْخَطَايَا ١ ، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ ٱلْغَايَةُ ٱلْقُصْوَىٰ .

عِبَادَ ٱللهِ ، ٱللهَ ٱللهَ فِي أَعَزِّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحبِّهَا إِلَيْكُمْ فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ ، فَشقْوَةٌ لَازِمَةٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيامِ ٱلْفَنَاءِ لِأَيَّامِ ٱلْبَقاءِ ، فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى ٱلْمَسِيرِ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ ، أَلاَ فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ ، وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ٢ .

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلاَ فِيمَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنَ ٱلشَّرِّ مَرْغَبٌ ، عِبَادَ ٱللهِ ، ٱحْذَرُوا

---

(١) الحمة : أبرة العقرب ، والسم ، والمراد سموم الخطايا .
(٢) التبعة واحدة التبعات وهي المظالم .

يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِ ٱلزِّلْزَالُ[١] ، وَتَشِيبُ فِيهِ ٱلْأَطْفَالُ .

ٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ[٢] ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعمَالَكُم ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ ، لاَ تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلاَ يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ ، وَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ .

يَذْهَبُ ٱلْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ ٱلْغَدُ لاَحِقاً بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِيءٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ ، فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ ، وَكَأَنَّ ٱلصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَٱلساعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ . قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ ٱلْأَبَاطِيلُ[٣] . وَٱضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ ٱلْعِلَلُ ، وَٱسْتَحَقَّتْ

---

(١) تفحص الاعمال : تكشف ، الزلزال : الاضطراب

(٢) الرصد : الرقيب ، والمراد بها الجوارح لانها تشهد على صاحبها بما عمله بهـا .

(٣) زاحت : انكشفت

بِكُمُ ٱلْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ مَصَادِرَهَا ، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ ، وَٱعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ ، وَٱنْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ

فسر ابن الأثير غريب هذه الخطبة في (النهاية) ج٢/٥١٠ مادة (شول) فقال : ومنه حديث علي : « فكأنكم والساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله » وفي مادة (ربك) ج٢/١١٩ قال ومنه حديث علي : « تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات » .

وجاء في (غرر الحكم) ص٩٧ فيما ورد من كلامه عليه السلام في حرف الألف بلفظ إنما قوله عليه السلام « إنما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى بالسير يؤمرون » ورواية (النهج) « لا يدرون متى يؤمرون بالسير » .

١٥٦ - ومن خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ وَٱنْتِقَاضٍ مِنَ ٱلْمُبْرَمِ ١ ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَٱلنُّورِ ٱلْمُقْتَدَى بِهِ ، ذٰلِكَ ٱلْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلٰكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ ، أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَٱلْحَدِيثَ عَنِ ٱلْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

---

(١) الهجعة المرة من الهجوع وهو النوم ليلا ، والمراد به نوم الغفلة في ظلمات الجهل ، والمبرم : المفتول

(منْهَا) فَعنْدَ ذٰلكَ لاَ يَبْقٰى بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إلاَّ وَأَدْخَلَهُ ٱلظَّلَمَةُ تَرْحَةً١ ، وَأَوْلَجُوا فيه نقْمَةً . فَيَوْمَئذٍ لاَ يَبْقٰى لَكُمْ في ٱلسَّمَاء عَاذرٌ ، وَلاَ في ٱلْأَرْض نَاصرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيرَ أَهله٢ ، وَأَورَدْتُمُوهُ غَيرَ مَوردِه . وَسَيَنتَقِمُ ٱللهُ ممَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ ، وَمَشْرَباً بِمشربٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ ٱلْعَلْقَمِ وَمَشَارِبِ ٱلصَّبْرِ وَٱلْمَقَرِ ، وَلِباسِ شِعَارِ ٱلخوفِ وَدثَارِ ٱلسَّيْفِ ٣ . وَإِنَّما هُمْ مطَايَا ٱلخَطيئَات ، وَزَوَامِلُ ٱلآثَامِ ٤ . فَأُقسم ثمَّ أُقْسِمُ ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدي كَمَا تُلْفَظُ ٱلنُّخَامَةُ ، ثُم لا تَذُوقُهَا وَلاَ تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ ٱلْجَدِيدَانِ .

• يظهر أن هذه الخطبة هي التي مرت برقم (٨٦) وإنما أعادها الرضي رحمه الله هنا لاختلاف وجه الرواية ، والزيادة فيها ، وقد ذكرنا مصادرها هناك فراجع (٥) ، ونضيف الى ذلك أن ابن الأثير فسر غريب هذه الخطبة في

---

(١) الترحة : الحزن

(٢) أصفيتم : خصصتم ، وصفايا المغنم شيء يصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه .

(٣) جعل شعارهم الخوف لانه باطن في القلوب ، ودثارهم السيف لانه ظاهر في البدن وتقدم معنى الشعار والدثار غير مرة .

(٤) الزوامل جمع زاملة وهي ما يحمل عليها المتاع من الابل .

(٥) انظر هذا الجزء ص ١٣٤ .

(النهاية) في مواضع منها مادة (عذر) قال في حديث علي (لم يبق لهم عاذر أي أثر [1] وفي مادة (مقر) قال : المقر شيء يشبه الصبر وليس به ومنه حديث علي « أمر من الصبر والمقر »[2] ولاحظ نقصان كلمة (في الأرض) وزيادة كلمة « أمر من » لتعرف أنه أخذ ذلك عن غير (نهج البلاغة) وفي مادة (نخم) قال : النخامة البزقة التي تخرج من أقصى الحلق ، ومن مخرج الخاء المعجمة ، ومنه حديث علي : (اقسم لتنخمنها امية من بعدي كما تلفظ النخامة) [3] .

١٥٧ - ومن خطبة له عليه السلام

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي[4] مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ ٱلذُّلِّ ، وَحَلَقِ ٱلضَّيْمِ شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ ٱلْقَلِيلِ ، وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ ٱلْبَصَرُ وَشَهِدَهُ ٱلْبَدَنُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْكَثِيرِ .

الكلام على هذا الفصل في كلمة الختام .

---

(١) « النهاية في غريب الحديث » : ج ٣ ص ١٩٨ .
(٢) المصدر السابق : ج ٤ ص ٣٤٧ .
(٣) المصدر السابق : ج ٥ ص ٣٤ .
(٤) احطت بجهدي من ورائكم : اي حميتكم ، والربق جمع ربقة حبل يربط به البهم . وحلق ـ بفتح الحاء ويجوز كسرها ـ جمع حلقة ـ بالتسكين ـ وهي الدرع ، والحديدة المستديرة ، استعارة لاحاطة البلاء بهم ، والضيم : الظلم ، والاطراق : الاغضاء

١٥٨- ومن خطبة له عليه السلام

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ، يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ ، ٱللَّهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى ٱلْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ . حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْداً لاَ يُحْجَبُ عَنْكَ وَلاَ يَقْصُرُ دُونَكَ . حَمْداً لاَ يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلاَ يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لاَ تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ ، أَدْرَكْتَ ٱلْأَبْصَارَ ، وَأَحْصَيْتَ ٱلْأَعْمَالَ ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ . وَمَا ٱلَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَٱنْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ ٱلْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ ،.

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ[1] ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي ٱلْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ ٱلْمَاءِ أَرْضَكَ[2] رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً ، وَعَقْلُهُ مَبْهُوراً ، وَسَمْعُهُ وَالِهاً ، وَفِكْرُهُ حَائِراً[3] .

(مِنْهَا) يَدَّعِي بِزَعْمِهِ[4] أَنَّهُ يَرْجُو ٱللّٰهَ . كَذَبَ وَٱلْعَظِيمِ ، مَا بَالُهُ لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلا رَجَاءَ ٱللّٰهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ[5] وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلاَّ خَوْفَ ٱللّٰهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ يَرْجُو ٱللّٰهَ فِي ٱلْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو ٱلْعِبَادَ فِي ٱلصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي ٱلْعَبْدَ مَا لاَ يُعْطِي ٱلرَّبَّ . فَمَا

---

(١) ذرات : خلقت .

(٢) المور — بالفتح — الموج

(٣) المبهور : المنقطع نفسه من الاعياء ، والواله : الحائر من الوله وهو ذهاب الشعور ، وتقدم معناه غير مرة .

(٤) الزعم — مثلثة العين — واكثر ما يكون فيما يشك فيه ولا يتحقق

(٥) المدخول : المعيب الناقص من الدخل — بالتحريك — العيب ، والخوف المعلول : ما لم يثبت في النفس ولم يخالط القلب .

بَالُ ٱللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً ؟ أَوْ تَكُونَ لاَ تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً ؟ وَكَذٰلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاَ يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ ٱلْعِبَادِ نَقْداً ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَاراً وَوَعْداً(١) . وَكَذٰلِكَ مَنْ عَظُمَتِ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى ٱللهِ تَعَالَىٰ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْداً لَهَا . وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي ٱلْأُسْوَةِ(٢) ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ ٱلدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا(٣) ، وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا ، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا . وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ « رَبِّ

---

(١) الضمار ــ ككتاب ــ من الوعود ما كان مسوفا به .

(٢) الاسوة : القدوة .

(٣) الاكاف : الجوانب .

إنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِليَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ[1] » وَٱللهِ مَا سَأَلَهُ إلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ لأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ ٱلْأَرْضِ . وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ[2]. وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبِ ٱلْمَزَامِيرِ وَقَارِىءِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ ٱلْخُوصِ بِيَدِهِ[3] ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ، وَيَأْكُلُ قُرْصَ ٱلشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ ٱلْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ ٱلْخَشِنَ وَيَأْكُلُ ٱلْجَشِبَ ، وَكَانَ إِدَامُهُ ٱلْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ ٱلْقَمَرَ ، وَظِلاَلُهُ فِي ٱلشِّتَاءِ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا[4] ، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ

---

(١) القصص : ٢٤ .

(٢) الصفاق ــ ككتاب ــ جلد البطن كله . والتشذب : التفرق . وانهضام اللحم : تحلل الاجزاء وتفرقها واظن ان اللفظة « كادت » ولكن الرواية وردت كما في المتن .

(٣) السفائف ــ جمع سفيفة ــ وصف ، من سف الخوص اذا نسجه، اي منسوجات الخوص .

(٤) ظلاله ــ جمع ظل ــ بمعنى السكن والمأوى ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كن له .

ٱلْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ ،وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ ، وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ ، وَلاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ ، دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ . فَتَأَسَّ ١ بِنَبِيِّكَ ٱلْأَطْيَبِ ٱلْأَطْهَرِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى ، وَأَحَبُّ ٱلْعِبَادِ إِلَى ٱللهِ ٱلْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ ، وَٱلْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ ، قَضَمَ ٱلدُّنْيَا قَضْماً٢ ، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً ، أَهْضَمُ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا كَشْحاً٣ ، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ ٱلدُّنْيَا بَطْناً . عُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا . وَعَلِمَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلّٰهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ ٱللهِ٤. وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى

---

(١) تاس : اي اقتد .

(٢) القضم الاكل بأطراف الاسنان .

(٣) أهضم من الهضم وهو خاو البطن من الطعام ، وكشحا مر معناه في الخطبة الشقشقية ، واخمصهم : اخلاهم .

(٤) المحادة : المخالفة في عناد

ٱلْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ ٱلْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِه نَعْلَهُ ١ ، وَيرقَعُ بِيَدِه ثَوْبَهُ ، وَيرْكَبُ ٱلْحِمَارَ ٱلْعَارِيَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ . وَيَكُونُ ٱلسِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِه فَتَكُونُ فِيهِ ٱلتَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلاَنَةُ ـ لإِحْدي أَزْوَاجِه ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ ٱلدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا٢ . فَأَعْرَضَ عَنِ ٱلدُّنْيَا بِقَلْبِه ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِه ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِه ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً٣ ، وَلاَ يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً وَلاَ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً ، فَأَخْرَجَهَا مِنَ ٱلنَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ ٱلْقَلْبِ ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ . وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي ٱلدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا . إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ، وَزُوِيَتْ

---

(١) خصف النعل : خرزها

(٢) الزخارف جمع زخرف وهو الذهب

(٣) الرياش : اللباس الفاخر ، او الزينة مطلقا في الاثاث واللباس

عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ ٱللهُ مُحَمَّداً بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَٱلْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ ٱلدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ ٱلنَّاسِ مِنْهُ . فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ ، وَٱقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ ٱلْهَلَكَةَ فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَمًا لِلسَّاعَةِ وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِراً بِٱلْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا خَمِيصاً ، وَوَرَدَ ٱلْآخِرَةَ سَلِيمًا . لَمْ يَضَعْ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ، وَٱللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا١ . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا تَنْبُذُهَا ؟ فَقُلْتُ ٱغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ ٱلسُّرَى٢

---

(١) المدرعة : الدراعة وهي ثوب من صوف .

(٢) اغرب عنى : ابعد عني ، والسرى بضم السين : السير ليلا وعند الصباح ... الخ . مثل يضرب لمن يتحمل المشقة رجاء الراحة ، وهو من الامثال التي تمثل بها امير المؤمنين عليه السلام .

من قوله عليه السلام : « ولقد كان في رسول الله ﷺ كاف لـك في الاسوة » الى « عند الصبـاح يحمـد القوم السرى » رواه الزمخشري في باب اليأس والقناعة من « ربيع الأبرار » باختلاف بعض الألفاظ .

١٥٩- ومن خطبة له عليه السلام

بَعَثَهُ بِالنُّورِ ٱلْمُضِيءِ وَٱلْبُرْهَانِ ٱلْجَلِيِّ ، وَٱلْمِنْهَاجِ ٱلْبَادِي١ وَٱلْكِتَابِ ٱلْهَادِي . أُسْرَتُهُ٢ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ . أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ٣ . مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ٤ . عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ وَٱمْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ . أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلاَفِيَةٍ٥ . أَظْهَرَ بِهِ ٱلشَّرَائِعَ ٱلْمَجْهُولَةَ ،

---

(١) البادي : الظاهر .

(٢) اسرته : أهل بيته

(٣) معتدلة : غير معوجة ، ومتهدلة : سهلة التناول .

(٤) طيبة وطابة اسم من اسماء المدينة المنورة سماهـا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسماها يزيد بن معاوية خبيثة وسماها مسرف بن عقبة نتنة مراغمة لقوله صلى الله عليه وآله .

(٥) متلافية لما فسد من الشرائع قبل الاسلام .

وَقَمَعَ بِهِ ٱلْبِدَعَ ٱلْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ ٱلْأَحْكَامَ ٱلْمَفْصُولَةَ[1] . فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمُ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمُ كَبْوَتُهُ[2] ، وَيَكُونُ مَآبُهُ إِلَى ٱلْحُزْنِ ٱلطَّوِيلِ ، وَٱلْعَذَابِ ٱلْوَبِيلِ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللهِ تَوَكُّلَ ٱلْإِنَابَةِ إِلَيْهِ ، وَأَسْتَرْشِدُهُ ٱلسَّبِيلَ ٱلْمُؤَدِّيَ إِلَى جَنَّتِهِ ، ٱلْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ وَطَاعَتِهِ فَإِنَّهَا ٱلنَّجَاةُ غَداً ، وَٱلْمَنْجَاةُ أَبَداً ، رَهَّبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ[3] ، وَوَصَفَ لَكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱنْقِطَاعَهَا ؛ وَزَوَالَهَا وَٱنْتِقَالَهَا ، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا ، أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ ٱللهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ ٱللهِ ، فَغُضُّوا عَنْكُمْ ـ عِبَادَ ٱللهِ ـ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا ، فَٱحْذَرُوهَا

---

(١) المفصولة : ما فصله وبينه من احكام دينه .

(٢) الكبوة : السقطة

(٣) أسبغ أي أحاط بجميع وجوه الترغيب

حَذَرَ ٱلشَّفِيقِ ٱلنَّاصِحِ(١) ، وَٱلْمُجِدِّ ٱلْكَادِحِ ، وَٱعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ ٱلْقُرُونِ قَبْلَكُمْ قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ(٢) ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَٱنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ ، فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ ٱلْأَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ ٱلْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا ، لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ حَذَرَ ٱلْغَالِبِ لِنَفْسِهِ ، ٱلْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ ، ٱلنَّاظِرِ بِعَقْلِهِ ، فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ وَاضِحٌ ، وَٱلْعَلَمَ قَائِمٌ ، وَٱلطَّرِيقَ جَدَدٌ ، وَٱلسَّبِيلَ قَصْدٌ(٢) .

ستأتي الإشارة إلى هذه الخطبة في نهاية الكتاب والله الموفق .

١٦٠ - وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فقال :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ ٱلْوَضِينِ(٣) تُرْسِلُ فِي غَيْرِ

---

(١) الشفيق : الخائف . والناصح : الخالص . والمجد : المجتهد . والكادح : المبالغ في سعيه

(٢) تزايلت : تفرقت . والاوصال : المفاصل أو مجتمع العظام

(٣) الوضين تقدم معناه في ص ٢٠٩ من هذا الجزء ، والسدد : الاستقامة اي يتكلم في غير صواب .

سَدَد ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ ٱلصِّهْرِ وَحَقُّ ٱلْمَسْأَلَة[1] ، وَقَد ٱسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ . أَمَّا ٱلإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهٰذَا ٱلْمَقَامِ وَنَحْنُ ٱلأَعْلَوْنَ نَسَباً ،وَٱلأَشَدُّونَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَوْطاً[2] ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةٌ شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ[3] ، وَٱلْحَكَمُ ٱللهُ وَٱلْمَعْوُدُ إِلَيْهِ ٱلْقِيَامَةُ (وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِه[4]) وَهَلُمَّ ٱلْخَطْبَ فِي ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ[5] ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي ٱلدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ ، وَلَا غَرْوَ وَٱللهِ

(١) الذمامة والذمام ـ بكسر الذال ـ : الحرمة

(٢) النوط : التعلق والالتصاق .

(٣) الاثرة ـ بفتحتين ـ : الاستبداد . وشحت : بخلت ؛ وسخت هنا أعرضت .

(٤) صيح بالبناء للمفعول اي صاحوا ، والحجرات جمع حجرة ـ بالفتح الناحية ، والبيت الذي تمثل امير المؤمنين عليه السلام في صدره لامرىء القيس بن حجر الكندي وعجزه (وهات حديثا ما حديث الرواحل ، نزل في جوار خالد بن سدوس النبهاني فأغارت عليه بنو جذيلة فنهبوا أبله فتبعهم خالد على رواحل امرىء القيس وقال لهم : اغرتم على ابل جاري ، فقالوا : ما هو لك بجار فقال : بلى والله وهذه رواحله ، فانزلوه عنها ، وذهبوا بالجميع فقال امرؤ القيس هذا البيت في مطلع ابيات أخرى .

(٥) أي دع عنك ما مضى وهلم ما نحن فيه الان من أمر معاوية ، والخطب الحادث الجديد .

فَيَا لَهُ خَطْباً ، يَسْتَفْرِغُ ٱلْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ ٱلْأَوَدَ ١ ، حَاوَلَ ٱلْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ ٱللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ ٢ ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً ٣ . فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ ٱلْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَى « فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » ٤

رواه قبل الشريف الرضي الصدوق في كتابيه (الأمـالي) ص ٣٦٨ في المجلس التاسع والثمانين ، وفي (العلل) في الباب ١١٩ في العلة التي من أجلها ترك الناس علياً رواه في الكتابين عن أبي أحمد العسكري كما رواه الطبري في (المسترشد) ص٦٤ ، والمفيد في (الإرشاد) ص١٧٢ ، وفي (المسترشد) و (الارشاد) أن السائل ابن دودان وأنه استفهم عن ذلـك بهذا اللفظ : « وأنتم الأعلون نسباً ،والاشدون نوطاً برسول الله ﷺ ، وفهماً للكتاب »وجواب أمير المؤمنين المروي في (النهج) أن السؤال يقتضي أن يكون كذلك .

وقال ابن أبي الحديد : « سألت يحيى بن محمـد العلوي نقيب البصرة وقت قراءتي عليه هذا الكلام ، وكان رحمه الله على ما يذهب اليه من مذهب

---

(١) لا غرو : لا عجب ، ويستفرغ العجب : يستنفده ويفنيه ، والاود الاعوجاج .

(٢) الفوار من الينبوع : الثقب الذي يفور منه الماء بشدة .

(٣) جدحوا : مزجوا ، وبيئا اي ذا وباء ، وهو المرض .

(٤) محض الحق : خالصة ، وان تكن الاخرى ان مت أو قتلت والفئة على ما هي عليه فلا تمت اسفا عليهم . والآية في سورة فاطر برقم ٨

العلوية منصفاً ، وافر العقل ، فقلت له : من يعني عليه السلام بقوله : شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ؟ ومن القوم الذين عناهم الاسدي بقوله : كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ وهل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى ؟ فقال : يوم السقيفة ، فقلت : إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله ﷺ ودفع النص ، فقال : وأنا فلا تسامحني نفسي أبداً أن أنسب الرسول ﷺ إلى إهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين ، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمّر عليها وهو حي ليس ببعيد عنها فكيف لا يؤمّر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث ، ثم قال : ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله ﷺ كان كامل العقل ، أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم ، وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة ، سديد الرأي ، أقام ملة ، وشرّع شريعة ، فاستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره ، وهذا الرجل العاقل الكامل ، يعرف طباع العرب وغرائزهم ، وطلبهم بالثارات والذحول ولو بعد الازمان المتطاولة ، ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر فلايزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثأرهم منه فان لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به ، وإن لم يكونوا رهطه الأدنين ، والإسلام لم يحل من طبعهم ، ولا غير هذه السجية المركوزة في أخلاقهم ، والغرائز بحالها فكيف يتوهم لبيب أن هذا العاقل الكامل وتر العرب وعلى الخصوص قريشاً وساعده على سفك الدماء وازهاق الأنفس ،وتقلد الضغائن ابن عمه الادنى وصهره وهو يعلم أنه سيموت كما مات الناس ويتركه بعده وعنده ابنته ، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنواً عليهما ، ومحبة لهما ويعدل عنه ، ولا ينص عليه ، ولا يستخلفه فيحقن دمه ودم أهله باستخلافه ؟ ألا يعلم هذا العاقل الكامل أنه إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة ورعية فقد عرض دماءهم للاراقة بعده بل يكون

عليه السلام هو الذي قتلهم ، وأشاط بدمائهم لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم ، وإنما يكونون مضغة للآكل ، وفريسة للمفترس ، يتخطفهم الناس وتبلغ فيهم الأغراض ، فأما إذا جعل السلطان فيهم والأمر اليهم يكون قد عصمهم ، وحقن دمائهم بالرئاسة التي يعولون بها ، ويرتدع الناس عنهم لأجلها ومثل هذا معلوم بالتجربة ؟ ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ، ووترهم ، وأبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه ثم أهمل ولده وذريته من بعده وفسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرضهم وواحداً منهم وجعل بنيه سوقة كبعض العامة لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم ، سريعاً هلاكهم ، ولوثب عليهم الناس ذوو الأحقاد والترات من كل جهة يقتلونهم ويشردونهم كل مشرد ؟ ولو أنه عين ولداً من أولاده للملك ، وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره بعده لحقنت دماء أهل بيته ولم تطل يد أحد من الناس عليهم لناموس الملك ، وأبهة السلطنة ، وقوة الرئاسة ، وحرمة الامارة ، أفترى ذهب عن رسول الله ﷺ هذا المعنى ؟ أم أحب أن تستأصل ذريته وأهله من بعده ؟ وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده ، الحبيبة إلى قلبه ؟ أتقول : إنه أحب أن يجعلها كواحدة منفقراء المدينة تتكفف الناس؟ وأن يجعل علياً المكرم المعظم عنده الذي كانت حاله معلومة معه كأبي هريرة الدوسي ، وأنس بن مالك الأنصاري يحكم الامراء في دمه وعرضه ونفسه وولده ، فلا يستطيع الامتناع وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول ، تتلظى أكباد أصحابها عليه ، ويودوا أن يشربوا دمه بأفواههم ، ويأكلوا لحمه بأسنانهم ،قدقتل أبناءهم واخوانهم وآبائهم وأعمامهم ،والعهد لم يطل ، والقروح لم تنقرف ، والجروح لم تندمل ؟ فقلت له : لقد أحسنت فيما قلت إلا أن لفظه عليه السلام يدل على أنه لم يكن نص عليه ، ألا تراه يقول : ونحن الأعلون نسباً ، والأشدون بالرسول نوطاً فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب ، فلو كان عليه نص لقال : عوض ذلك وأنا المنصوص عليّ ، المخطوب باسمي ؟

فقال رحمه الله : إنما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل ، ألا ترى أنه سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به ، فهو إنما سأل عن دفعهم عنه وهم أحق به من جهة اللحمة والعترة ، ولم يكن الاسدي يتصور النص ولا يعتقده ، ولا يخطر بباله ، لأنه لو كان هذا في نفسه لقال له : لم دفعك الناس عن هذا المقام وقد نص عليك رسول الله ﷺ ؟ ولم يقل هذا وإنما قال له كلاماً عاماً لبني هاشم كافة كيف دفعكم قومكم عن هذا، وأنتم أحق به ؟ أي باعتبار الهاشمية والقربى ، فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلق به الأسدي بعينه تمهيداً للجواب ، فقال إنما فعلوا ذلك مع أننا أقرب إلى رسول الله ﷺ من غيرنا لأنهم استأثروا علينا ، ولو قال له : أنا المنصوص عليّ ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله ﷺ لما كان قد أجابه ، لأنه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم لا ؟ وهل نص رسول الله ﷺ بالخلافة على أحد أم لا ؟ وإنما قال له : لم دفعكم قومكم عن هذا الامر وأنتم أقرب الى ينبوعه ومعدنه منهم؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه ، أيضاً فلو أخذ يصرح له بالنص ، ويعرفه تفاصيل باطن الامر لنفر عنه واتهمه ، ولم يقبل قوله ، ولم ينجذب الى تصديقه ، فكان أولى الامور في حكم السياسة ، وتدبير الناس ، أن يجيب بما لا نفرة منه ، ولا مطعن عليه فيه »[1] .

أما المصاهرة التي أشار اليها أمير المؤمنين عليه السلام فقد قال بعض الشارحين : أن زينب بنت جحش زوجة النبي ﷺ كانت أسدية وقال الشيخ سعيد بن هبة الله المعروف بالقطب الراوندي في (شرح نهج البلاغة) : كان أمير المؤمنين عليه السلام قد تزوج في بني أسد ، وأنكر ابن أبي الحديد ذلك وقال : لم يصب – أي الراوندي – فان علياً عليه السلام لم يتزوج في بني أسد البتة ، ثم عدد أولاده عليه السلام وامهاتهم ، ثم قال بعد ذلك :

---

(١) شرح نهج البلاغة م ٢ ص ٤٧٧ .

وليس فيهم أحـــد من أسدية ، ولا بلغنا أنه تزوج في بني أسد ولم يولد له ولكن الراوندي يقول ما يخطر له ولا يحقق [1] ، وردّ الشيخ ميثم البحراني على ابن أبي الحديد بقوله : نقل القطب الراوندي أن علياً عليه السلام كان متزوجاً من بني أسد وأنكره ابن أبي الحديد معتمداً على أنه لم يبلغنا ذلك والانكار لا معنى له إذ ليس كل ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقاً ويلزم أن لا يصل إلى غيرنا[2] .

١٦١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ خَالِقِ ٱلْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ ٱلْمِهَادِ ، وَمُسِيلِ ٱلْوِهَادِ ، وَمُخْصِبِ ٱلنِّجَادِ٣ ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ٱنْقِضَاءٌ ، هُوَ ٱلْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَٱلْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ ، خَرَّتْ لَهُ ٱلْجِبَاهُ ، وَوَحَّدَتْهُ ٱلشِّفَاهُ ، حَدَّ ٱلْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا٤ ، لَا تُقَدِّرُهُ ٱلْأَوْهَامُ بِٱلْحُدُودِ وَٱلْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَدَوَاتِ ، لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى ، وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م ٢ : ص ٤٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٣) المهاد ـ هنا ـ : الارض ، وأصله الفراش ، والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن ، ومسيلها : مجرى السيل فيها ، والنجاد جمع نجدة ، ومخصبها : مروضها وجاعلها ذوات خصب .

(٤) الابانة ـ هنا ـ التمييز الفصل .

بِحَتَّى ، الظَّاهِرُ لاَ يُقَالُ مِمَّا[1] ، وَٱلْبَاطِنُ لاَ يُقَالُ فِيمَا ، لاَ شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى[2] ، وَلاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى ، لَمْ يَقْرُبْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ[3] ، لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ ، وَلاَ كُرُورُ لَفْظَةٍ ، وَلاَ ٱزْدِلاَفُ رَبْوَةٍ[4] ، وَلاَ انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ[5] ، وَلاَ غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ ٱلْقَمَرُ ٱلْمُنِيرُ[6] ، وَتَعْقُبُهُ ٱلشَّمْسُ ذَاتُ ٱلنُّورِ فِي ٱلْأُفُولِ وَٱلْكُرُورِ[7] ، وَتَقَلُّبِ ٱلْأَزْمِنَةِ وَٱلدُّهُورِ . مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ[8] ،

---

(١) اي ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من اي شيء ظهر

(٢) اي ليس بجسم فيتقصى اي يطلب اقصاه ، ويحوى يستولى عليه الحجاب لان الحجاب من لوازم الاجسام التي تنزه قدسه عنها .

(٣) لان هذا من خصائص الاجسام

(٤) شخوص لحظة : اي امتداد بصر ، وكرور اللفظة ترديدها ، وازدلاف الربوة تقربها من النظر وظهورها له لانه يقع عليها قبل المنخفضات.

(٥) انبساط الخطوة : مقدارها ، والداج : المظلم ، والغسق : الليل، وساج : ساكن

(٦) يتفيأ عليه اي يتقلب ذاهبا وجائيا في حالتي اخذه في الضوء الى التبدر ، واخذه في النقص الى المحاق .

(٧) المراد بالافول والكرور : الغروب والشروق

(٨) خبر عن ضمير الذات المقدسة اي هو سبحانه موجود قبل كل غاية ومدة الخ .

وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ . تعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ١ ٱلْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ ٱلْأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ ٱلْأَقْطَارِ ، وَتَأَثُّلِ ٱلْمَسَاكِنِ٢ ، وَتَمَكُّنِ ٱلْأَمَاكِنِ . فَٱلْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَىٰ غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ . لَمْ يَخْلُقِ ٱلْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ ٱمْتِنَاعٌ٣ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ ٱنْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ ٱلْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ ٱلْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ ٱلْعُلَىٰ كَعِلْمِهِ بِمَا فِي ٱلْأَرْضِينَ ٱلسُّفْلَىٰ .

(مِنْهَا) أَيُّهَا ٱلْمَخْلُوقُ ٱلسَّوِيُّ ، وَٱلْمُنْشَأُ ٱلْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ ٱلْأَسْتَارِ . بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ٤ ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَىٰ

---

(١) نحله اي أعطاه هذه الصفات ونسبها اليه ، وهي تحديده بالاقدار جمع قدر ، ــ بتسكين الدال ــ وهو حال الشيء من الطول والعرض ، والصغر والكبر ، والاقطار جمع قطر وهو البعد .

(٢) التأثل : التأصل ، يقال بيت أثيل ومجد أثيل اي اصيل قديم .

(٣) اي لا يمنع عليه ممكن . فمتى أراد ايجاد شيء اوجده .

(٤) السوي : التام الخلقة ، والمرعي : المحفوظ ، والسلالة من الشيء ما انسل وظلمات الارحام ومضاعفات الاستار مستقر النطفة والرحم

قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لاَ تَحِيرُ دُعَاءً وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً[1] . ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا . فَمَنْ هَدَاكَ لاِجْتِرَارِ ٱلْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ[2] ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ . هَيْهَاتَ ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي ٱلْهَيْئَةِ وَٱلْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ ٱلْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ .

هذه الخطبة روى بعضها أبو نعيم في (حلية الاولياء) ج١ ص٧٢ ورواها الواسطي في (عيون الحكم والمواعظ) إلى قوله عليه السلام « كعلمه بما في الارض السفلى »[3] وروى منها الزمخشري في الجزء الاول من (ربيع الابرار) في باب الملائكة (مخطوطة مكتبة الاوقاف ببغداد) من قوله عليه السلام : «تمور في بطن امك جنيناً » الى قوله عليه السلام : « مواضع طلبك » وفي رواية الزمخشري « وحرّك عند الحاجة »مكان « وعرفك عند الحاجة » .

(١) تمور : تتحرك ، ولا تحير من قولهم ما أحار جوابا اي لم يستطع .
(٢) الاجترار : الامتصاص .
(٣) انظر (بحار الانوار) ج : ٧٧ ص : ٣٠٦

١٦٢ – ومن كلام له عليه السلام

لما اجتمع الناس عليه وشكوا ما نقموه[١] على عثمان وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال:

إِنَّ ٱلنَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ ٱسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ[٢] وَوَٱللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ. مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ. وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ٱبْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلاَ ٱبْنُ ٱلْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ ٱلْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا[٣]. وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالاَ. فَٱللهَ ٱللهَ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ

---

(١) نقموا عليه – بفتح القاف وكسرها –: عتبوا، والعتبى: الرضا اي طلبوا منه ما يرضيهم عنه.

(٢) استفسروني جعلوني سفيرا اي وسيطا بينهم وبينك

(٣) الوشيجة في الاصل عروق الشجر ثم استعملت في اشتباك القرابة

وَٱللهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى ، وَلاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّ ٱلطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ ٱلدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ ٱللهِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ عادِلٌ هُدِيَ وَهَدَىٰ ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً . وَإِنَّ ٱلسُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ . وَإِنَّ ٱلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ . وَإِنَّ شَرَّ ٱلنَّاسِ عِنْدَ ٱللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَىٰ بِدْعَةً مَتْرُوكَةً . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ « يُؤْتَىٰ يَـوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ ٱلْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلاَ عَاذِرٌ فَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ ٱلرَّحَىٰ ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا(١) » وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللهَ أَنْ لاَ تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ٱلْمَقْتُولَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا ، وَيَبُثُّ ٱلْفِتَنَ عَلَيْهَا ، فَلاَ يُبْصِرُونَ ٱلْحَقَّ مِنَ ٱلْبَاطِلِ . يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً ،

---

(١) ربطه فارتبط ، أي شده وحبسه

وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً[1] . فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً[2] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلِ ٱلسِّنِّ وَتَقَضِّي ٱلْعُمُرِ .

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : « كَلِّمِ ٱلنَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ » فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ : مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

سفارته عليه السلام هذه مروية قبل الرضي في (أنساب الأشراف) للبلاذري ج٥ ص٦٠ ، و (تاريخ الطبري) ج٥ ص٩٦ في حوادث سنة ٣٤ ، وفي (العقد الفريد) لابن عبد ربه المالكي ج٤ ص٣٠٨ط دار التأليف والترجمة والنشر ، عن ابن دأب ، ورواها المدائني عن ابن دأب أيضاً كما في كتاب (الجمل) للمفيد : ص١٠٠ قال : روى المدائني عن علي بن صالح قال: ذكر ابن دأب قال : لما عاب الناس على عثمان ما عابوا كلموا علياً فيه فدخل عليه، وقال : إن الناس ورائي .. الخ .

واجمال القصة : أن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب بعضهم الى بعض إن أقدموا فان الجهاد بالمدينة لا بالروم ، واستطال الناس على عثمان ونالوا

---

(١) المرج : الخلط

(٢) السيقة ــ كضيقة ــ ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتبا ومشيرا لعثمان

منه ، ولم يكن أحد من الصحابة يذب عنه إلا نفير منهم زيد بن ثابت [1] وأبو أسيد الساعدي [2] وكعب بن مالك [3] ، وحسان بن ثابت [4] فاجتمع الناس فكلموا علياً عليه السلام وسألوه أن يكلم عثمان فدخل عليه وقال : إن الناس ورائي ، إلى آخر ما نقله الرضي ، فقال عثمان وقد علمت أنك لتقولن ما قلت ، أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا عتبت عليك ، ولم

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري الخزرجي كان عمره يوم قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة احدى عشرة سنة ، ورده النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر ، واول مشاهده الخندق ، وحمل راية بني مالك بن النجار يوم تبوك ، وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكتب بعده الى ابى بكر وعمر وهو الذي كتب القرآن في عهد ابى بكر وعمر (رض) وكان عمر يستخلفه على المدينة ، وكان عثمان يستخلفه أيضا ، وكان على بيت المال في عهده، وكان من افكه الناس مع خاصته ، وازمتهم اذا كان في القوم ، وروى ابن الاثير في (اسد الغابة) ان عثمان سمع مولى لزيد يغني ، فقال عثمان : من هذا ؟ فقال : زيد مولاي وهيب ففرض له عثمان الفا ، وكان زيد عثمانيا ولم يشهد مع علي عليه السلام شيئا من حروبه ، توفي بالمدينة وصلى عليه مروان بن الحكم واختلفوا في سنة موته ما بين سنة ٤٥ ــ ٥٥ .

(٢) ابو اسيد (بالتصغير) الساعدي اشتهر بكنيته اسمه مالك بن ربيعة انصاري خزرجي من بني ساعدة ، شهد بدرا واحدا فما بعدها ، وكانت معه راية بني ساعدة يوم الفتح ، كان قصيرا ابيض الرأس واللحية كثير الشعر ، ذهب بصره ومات سنة ستين وعمره نحوا من ثمانين .

(٣) كعب بن مالك انصاري خزرجي من بني سلمة ، شهد العقبة وبايع بها ، وتخلف عن بدر وشهد احدا فما بعدها وتخلف في تبوك وهو احد (الثلاثة الذين خلفوا) وكان من شعراء المسلمين انضم الى معاوية بعد مقتل عثمان ولم يسمع له خبر في صفين وذهب بصره ومات بالشام في خلافة معاوية على اختلاف في سنة وفاته .

(٤) حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وآله .

آت منكراً ، إنما وصلت رحماً ، وسددت خلة، وآويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يوليه ، انشدك الله يا علي ألا تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك قال : بلى ، قال: أفلا تعلم أن عمر ولاه؟قال: بلى،قال: فلم تلومني ان وليت ابن عامر[1] في رحمه وقرابته ؟ فقال علي عليه السلام : إن كان عمر يطأ على صماخ من يوليه ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أقصى العقوبة ، وأنت فلا تفعل ضعفت ورققت على أقربائك ، فقال عثمان : أفلا تعلم أن عمر ولى معاوية فقد وليته ؟ قال علي : انشدك الله ألا تعلم إن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ [2] غلامه له ؟ قال : بلى ، قال : فإن معاوية يقطع الامور دونك ويقول للناس هـذا بأمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه ، ثم قام علي فخرج عـثمان على أثره فجلس على المنبر فخطب الناس وقال : أما بعد ، فإن لكل شيء آفـة ، ولكل أمر عاهة ، وإن آفة هذه الامة ، وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ، ويسرون عنكم ما تكرهون ، يقولون لكم ويقولون ،

(١) هو عبد الله بن عامر بن كريز العبشمي ابن خال عثمـان ، لان ام عثمان أروى بنت كريز ، ولد على عهـد رسول الله صلى الله عليه وآلـه ، استعمله عثمان على البصرة سنة ٢٩ بعد ابي موسى الاشعري وكان عمـره يوم ذاك ٢٤ سنة ، ثم ولاه بلاد فارس بعد عثمان بن أبي العـاص فافتتـح خراسان كلها وأطراف فارس وفي ولايته قتل كسرى يزدجرد وحج بعد هذه الفتوح ، وأحرم بالعمرة من نيسـابور ، وقدم على عثمان بالمدينة وقال لـه عثمان صل قرابتك ففرق في قومه شيئا عظيما من الاموال والكسوات،وعاد الى عمله الى ان قتل عثمان فلما سمع بقتله، حمل ما في بيت المال وسار الى مكة فوافى بها طلحة والزبير وعائشة وهم يريدون الشام . قال لهم : ان الشام قد كفاكم معاوية امرها فأتوا البصرة فان لي بها صنائع ، وهي ارض اموال ، وبها عدد الرجال ، فساروا الى البصرة وسار معهم ، وشهدمشهدهم فلما انهزموا سار الى دمشق فأقام بها فلما تم الامر لمعاوية ولاه البصرة ثلاث سنوات ، وتوفي سنة ٥٨ وأوصى الى عبد الله بن الزبير .

(٢) يرفأ حاجب عمر ادرك الجاهلية معدود في التابعين وحج مع عمر في خلافة أبي بكر .

آمثال النعام يتبع أول ناعق ، أحب مواردهـــا اليها البعيد، لا يشربون إلا نغصاً(١) ولا يردون إلا عكراً ، أما والله لقد عبتم عليّ مـــا أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطأكم برجله ، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ، ولنت لكم وأوطأتكم كتفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم عليّ ، أما والله لأنا أقرب ناصراً وأعز نفراً ، وأكثر عدداً وأحرى إن قلت : هلم أن يجاب صوتي ، ولقد أعـددت لكم أقرانكم ، وكشرت لكم عن نابي ، وأخرجتم مني خلقاً لم أكن احسنه ، ومنطقـاً لم أكن أنطق به ، فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم ، وعيبكم على ولاتكم ، فما الذي تفقدون من حقكم ؟ والله ما قصرت شيئاً عن بلوغ من كان قبلي ، وما وجدتكم تختلفون عليه فما بالكم ؟ فقام مروان بن الحكم فقال : وإن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف ، فقال عثمان : أسكت لأسكتَ ، دعني وأصحابي ، ما منطقك في هذا ؟ ألم أتقدم اليـــك أن لا تنطق ؟ فسكت مروان ونزل عثمان (٢) .

١٦٣ - ومن خطبة له عليه السلام

يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ(٣) ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ . فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ

---

(١) النغص محركة : صرف الابل عن الورد قبلَ اتمام شربها .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٥ ص ٩٦ ، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديـد م٢ ص ٤٨٢ ، البيان والتبيين : ج ١ ص ٢٠ ، (اعجاز القرآن) : ص١١٨ .

(٣) الموات : ما لا حياة فيه كالارض والجبال ، والحيوان المخلوقات الحيـة .

صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ،وَمُسَلِّمَةً لَهُ . وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلَفِ صُوَرِ١ ٱلْأَطْيَارِ ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا ، وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا٢ . مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ٣ وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ٤ ، وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ . كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ . وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي ٱلسَّمَاءِ خُفُوفاً ، وَجَعَلَهُ يَدُفُّ دَفِيفاً٥ . وَنَسَقَهَا عَلَىٰ ٱخْتِلَافِهَا فِي

(١) نعقت صاحت ، وذرأ : خلق .

(٢) اخاديد الارض : شقوقها جمع اخدود ، والخروق جمع خرق : الارض الواسعة ، تتخرق فيها الرياح ، الفجاج جمع فج : الطريق بين الجبلين والرواسي : الجبال .

(٣) مصرفة في زمام التسخير ، اي مسخرة تحت القدرة الالهية .

(٤) مرفرفة باجنحتها اي تبسطها وتقبضها عند الطيران ، والمخارق جمع مخرق وهي الفلاة وشبه الجو بالفلاة للسعة فيهما .

(٥) الحقاق ــ ككتاب ــ جمع حق ــ بالضم ــ مجمع المفصلين ، واحتجاب المفاصل : استتارها باللحم والجلد . والعبالة : الضخامة ، والخفوف : سرعة الحركة ، والدفيف للطائر : طيرانه فوق الارض .

ٱلْأَصَابِيغِ ١ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ،وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ . فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ لاَ يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ . وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ٢فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً ٱلطَّاوُوسُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى ٱلْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ٣ ، وَسَمَا بِهِ مُطِلاًّ عَلَى رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ . يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ٤ . يُفْضِي كَإِفْضَاءِ ٱلدِّيَكَةِ ، وَيَؤُرُّ

---

(١) نسقها : رتبها ، وأصابيغ جمع اصباغ ، وأصباغ جمع صبغ

(٢) المغموس الاول : هو ذو اللون الواحد ، والمغموس الثاني ذي اللونين كأن يكون لونه احمر وعنقه خضراء ، والقالب : مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره

(٣) التنضيد : النظم والترتيب ، واشرج قصبه : داخل بين آحادها ونظمها على اختلافها في الطول والقصر ، اذا درج أي مشى الى انثاه ليسافدها نشر ذلك الذنب .

(٤) سما به : اي ارتفع ، ويختال : يعجب ، ويميس : يتبختر ، والزيفان ــ هنا ــ حركة ذنب الطاووس يمينا وشمالا .

بِمُلاَقَحةٍ أَرَّ ٱلْفُحُولِ ٱلْمُغْتَلِمَةِ فِي ٱلضِّرَابِ١ . أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلىٰ مُعايَنَةٍ ، لا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِه٢ . وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَن يزعمُ أَنَّهُ يُلقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ ، ثُمَّ تَبِيضُ لاَ مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى ٱلدَّمْعِ ٱلْمُنْبَجِسِ لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ ٱلْغُرَابِ. تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ ٱلْعِقْيَانِ٣ وَفِلَذَ

---

(١) يفضي : اي يسافد انثاه كما تسافد الديكة جمع ديك ، ويؤر : كيشد اي يأتي انثاه ، بملاحقة : اي مسافدة ، والمغتلمة : الهائجة ، والضراب : لقاح الفحل بانثاه .

(٢) اي انه لم يقل ذلك عن اسناد ضعيف بل عن عيان ومشاهدة رد عليه السلام بذلك على من زعم ان الذكر من الطواويس تدمع عينه فتقف الدمعة بين أجفانه فتأتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة ، ثم قال وحتى لو صح هذا الزعم فما هو بأعجب من مطاعمة الغراب لان العرب يزعمون : أن لقاح الغربان من مطاعمة الذكر والانثى منهما وانتقال جزء من الماء الذي في قانصته اليها من منقاره .

(٣) القصب جمع قصبة وهي عمود الريشة ، والمداري جمع مدراة وهي ما يصنع من خشب أو حديد كاسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد . والدارات : هالات القمر ، والعقيان الذهب الخالص .

ٱلزَّبَرْجَدِ . فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ ٱلْأَرْضُ قُلْتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كلِّ رَبِيعٍ . وإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ ٱلْحُلَلِ ، أَوْ مُونِقِ عَصْبِ ٱلْيَمَنِ١ . وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ ٱلْمُكَلَّلِ٢ . يَمْشِي مَشْيَ ٱلْمَرِحِ ٱلمُخْتَالِ٣ وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَأَصَابِيغِ وِشَاحِه٤ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ ٱلدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ٥

---

(١) الجني : المجتنى ، وموشى الحلل : المنقوش المنمنم ، والعصب ـ بالفتح ـ ضروب من البرود منقوش

(٢) اللجين : الفضة ، ونطقت : جعلت كالنطاق لها ، والمكلل : المزين بالجواهر .

(٣) المرح : المعجب ، والمختال : الزاهي

(٤) السربال : اللباس مطلقا ، او الدرع خاصة ولوشاح ـ بالكسر ـ شيء ينسج من اديم عريضا ويرصع بالجواهر وتشده المراة بين عاتقها وكشحها ولفظ الضحك والقهقهة والسربال والوشاح مستعار .

(٥) زقا : صاح ، ومعولا من اعولت الفرس : اذا صوتت ومنه العويل والحمش الساق ، دقيقه ، والديك الخلاسي ـ بكسر السين ـ المتولد بين الديك الهندي والدجاجة الفارسية .

وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَّةٌ خَفِيَّةٌ١ . وَلَهُ فِي مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ٢ . وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ . وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ ٱلْيَمَانِيَّةِ٣ ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ٤ . إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ ٱلنَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي لَوْنِ ٱلْأُقْحُوَانِ أَبْيَضُ يَقَقٌ . فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ٥ . وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ٦ ، وَعَلَاهُ

(١) نجمت : نبتت ، وظنبوب الساق ــ كعرقوب ــ عظمة الاسفل ، والصيصية : شوكة تكون في رجل الديك وبعض الطيور .

(٢) القنزعة ــ بضم القاف والزاي بينهما سكون : الخصلة من الشعر تترك على راس الصبي ، وموشاة : منقوشة .

(٣) مغرزها : الموضع الذي غرز فيه العنق منتهيا الى مكان البطن ، والوسمة : خضاب معروف .

(٤) الصقال : الجلاء ، وملتفع : ملتحف ، والمعجر ــ كمنبر ــ ثوب تعتجر به المراة فتمر طرفه على راسها ثم تمر الطرف الاخر من تحت ذقنها حتى ترده الى الطرف الاول فيغطي راسها وعنقها وعاتقها وهو معنى التلفع ههنا ، والاسحم : الاسود .

(٥)الاقحوان : البابونج ، واليقق ــ بالتحريك ــ شديد البياض ، ويتالق : يلمع .

(٦) القسط : النصيب .

بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ١ . فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تَرُبُّهَا٢ أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ . وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى٣ ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً ، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ . لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ٤ . وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً٥ . فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ٦ ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ

---

(١) البصيص : البريق .

(٢) تربها : تربيها وتجمعها .

(٣) يتحسر : ينكشف ، وتترى شيئا فشيئا .

(٤) اي تساقط ريشه ثم نمى مرة اخرى تعود كل ريشة ملونه بلون الريشة الاولى وفي مكانها فلا يتخالف الاوائل والاواخر .

(٥) العسجد : الذهب

(٦) عمائق جمع عميقة ، والقرائح جمع قريحة : الخاطر .

ٱلْعُقولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ . وَأَقَلُّ أَجْزَائِه قَدْ أَعْجَزَ ٱلْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَٱلْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ . فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْعُقُولَ[1] عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً ، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً . وَأَعْجَزَ ٱلْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِه . وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ ٱلذَّرَّةِ[2] وَٱلْهَمَجَةِ إِلَىٰ مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ ٱلْحِيتَانِ وَٱلْأَفْيِلَةِ . وَوَأَى عَلَىٰ نَفْسِه أَنْ لاَ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ ٱلرُّوحَ إِلاَّ وَجَعَلَ ٱلْحِمَامَ مَوْعِدَهُ ، وَٱلْفَنَاءَ غَايَتَهُ[3] .

(مِنْهَا فِي صِفَةِ ٱلْجَنَّةِ) فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ[4] عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَىٰ ٱلدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ

---

(١) بهر : غلب ، وجلاه : اظهره .

(٢) الذرة : النملة الصغيرة ، والهمجة واحدة الهمج وهو ذباب صغار كالبعوض يتطاير على وجوه الغنم والحمر واعينها .

(٣) واى : وعـد

(٤) عزفت : كرهت وزهدت

مَنَاظِرِهَا ، ولَذَهلْتَ بِالْفِكْرِ فِي ٱصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ١
غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ ٱلْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ،
وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا
وَأَفْنَانِهَا ٢ ، وَطُلُوعِ تِلْكَ ٱلثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ
أَكْمَامِهَا ٣ . تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ ٤ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ
مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا
بِالأَعْسَالِ ٱلْمُصَفَّقَةِ ، وَٱلْخُمُورِ ٱلْمُرَوَّقَةِ٥ ، قَوْمٌ لَمْ
تَزَلِ ٱلْكَرَامَةُ تَتَمَادَي بِهِم٦ حَتَّي حَلُّوا دَارَ ٱلْقَرَارِ ،
وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ
بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْمُونِقَةِ٧

---

(١) اصطفاق الاشجار : تضارب أوراقها بالنسيم ، وتروى اصطفاف – بالفاء – اي انتظامها صفا

(٢) الافنان جمع فنن الغصن

(٣) غلف – بالضم – جمع غلاف ، واكمام جمع كم ، وعـاء الطلع ، وغطاء النور

(٤) تجنى – بالجيم – تقتطف من غير تكلف .

(٥) العسل المصفق : المصفى تحويلا من اناء الى اناء ، والمروقة:المصفاة بالراووق وهو المصفاة

(٦) يقال : تمادى بالامر اذا لج فيه وتوسع

(٧) المونقة : المعجبة

لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلىَ مجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱسْتِعْجَالاً بِهَا . جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلىَ مَنَازِلِ ٱلْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

قال الرضي رحمه الله تعالى : تفسير بعض ما في هـذه الخطبة من الغريب، قوله عليه السلام : « ويؤر بملاقحة » : الار كناية عن النكاح، يقال : أر المرأة يؤرها أي نكحها ، وقوله : « كأنه قلع داري عنجه نوتيه » : القلع:شراع السفينة، وداري : منسوب الى دارين، وهي بلدة على البحر يجلب منها الطيب . وعنجه أي عطفه . يقال عنجت الناقة ـ كنصرت ـ أعنجها عنجاً اذا عطفتها • والنوتي: الملاح. وقوله: «ضفتي جفونه » : أراد جانبي جفونه . والضفتان الجانبان . وقوله : « وفلذ الزبرجد » الفلذ : جمع فلذة ، وهي القطعة . وقوله : « كبائس اللؤلؤ الرطب » الكباسة : العذق[1] والعساليج الغصون ، واحدها عسلوج .

---

(١) العذق للنخلة كالعنقود للعنب وما قامت عليه من العرجون

روى الزمخشري[1] في الجزء الأول من (ربيع الابرار) صفته عليه السلام للجنة من (فلو رميت ببصرك) الى (وأمنوا نقلة الأسفار) وفسر ابن الاثير في « النهاية » غريبها ، ففي الجزء الاول ص٢٧ قال : في خطبة علي بن أبي طالب (يفضي كافضاء الديكة ، ويؤر بملاقحة) . وتأمل قوله : في خطبة علي ، وقال في الجزء الثاني ص١٤٠ مادة (دور) ومنه كلام علي (كأنه قلع داري) وقال في الجزء الثالث ص٢٣٨ مادة (عسلج) ومنه حديث علي (تعليق اللؤلؤ الرطب في عساليجها) وفسر الجميع بنحو ما فسره الرضي وفي نقصان كلمة (كبائس) دليل على أن ابن الاثير نقل ذلك عن غير (نهج البلاغة) .

هذا وقد تقدم منا كلام على هذه الخطبة في الجزء الاول من هذا الكتاب ص١٨٩ فراجعه إن شئت .

---

(١) الزمخشري ــ نسبة الى زمخشر قرية من قرى خوارزم ــ وهو جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن محمد من اكابر علماء المعتزلة صاحب المؤلفات المعروفة كـ (اساس البلاغة) و (الفائق) و (أطواق الذهب) و (الانموذج) و (الكشاف) و (ربيع الابرار) وقد اطلعت على نسخ مخطوطة من (ربيع الابرار) في النجف وبغداد والمدينة المنورة ومكة المكرمة ودمشق وقد نقل في هذا الكتاب كثيرا من كلام امير المؤمنين عليه السلام بصور تدل بكل وضوح على انها لم تنقل عن (نهج البلاغة) وقال ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م ٢ ص ٤٨٨ عن الزمخشري : « مذهبه في الاعتزال ونصرة اصحابنا ــ اي المعتزلة ــ معلوم ، وكذلك في انحرافه عن الشيعة ، وتسخيفه لمقالاتهم » توفي الزمخشري بجرجانيه بعد رجوعه من مكة سنة ٥٣٨ .

١٦٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ١ ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ . وَلاَ تكُونُوا كَجُفَاةِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ لاَ فِي ٱلدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلاَ عنِ ٱللهِ يَعْقِلُونَ . كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ٢ يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً . وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَراً .

(مِنْهَا) ٱفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَه . عَلى أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ ٱللهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ ٱلسَّحَابِ ٣ . ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ

---

(١) يتأس : يقتدي لان الكبير احزم واكثر تجربة .

(٢) قيض البيض : كسره ، والاداح ـ في الاصل ـ المواضع التي يضع النعام فيها بيضه ، سميت بذلك لانها تدحوها بارجلها اي توسعها ثم سمي بذلك أعشاش القطا والحيات . والمعنى ان المار يمر على البيض فيراه في الاداحي فيظنه بيض قطا فيتجنب كسره وفي الحقيقة هو بيض الافاعي لا يخرج حضانه الا شرا فشبه امير المؤمنين عليه السلام جفاة الجاهلية بذلك لا يحل اذاهم لحرمة ظاهر الاسلام عليهم وان اهملوا وتركوا على ما هم عليه من الجهل لا يخرجون الا شياطين .

(٣) القزع ـ محركة ـ القطع المتفرقة من السحاب جمع قزعة ـ بالتحريك ـ والركام: السحاب المتراكم، والمستثار : موضع انبعاثهم ثائرين، وسيل الجنتين : سيل العرم

مُسْتَثَارِهِم كَسَيْلِ ٱلْجَنَّتَيْنِ ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ ، وَلاَ حِدَابُ أَرْضٍ١ . يُزَعْزِعُهُمُ ٱللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ٢ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنَ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ وَٱيْمُ ٱللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ ٱلْعُلُوِّ وَٱلتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ ٱلْأَلْيَةُ عَلَى ٱلنَّارِ٣ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ ٱلْحَقِّ ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ ٱلْبَاطِلِ . لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَم يَقْوَ مَن قَوِيَ عَلَيْكُمْ لٰكِنَّكُمْ تُهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ ٱلتِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً ٤ بِمَا خَلَّفْتُمُ ٱلْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ

---

(١) القارة كالقرارة : ما اطمئن من الارض ، والاكمة ــ محركة غليظ من الارض يرتفع عما حواليه ، والسنن ــ هنا ــ الجري ، والطود : الجبل العظيم ، والرص : الانضمام والتلاصق ، والحداب جمع حدب ــ بالتحريك ــ ما غلظ من الارض في ارتفاع .

(٢) يزعزعهم : يفرقهم ، وبطون الاودية : كناية عن مسالك الاختفاء .

(٣) الالية ــ بالفتح ــ الية الشاة .

(٤) أي لتزدان لكم الحيرة اضعاف ما هي لكم الان .

ٱلْأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ ٱلْأَبْعَدَ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ ٱتَّبَعْتُمُ ٱلدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ ٱلرَّسُولِ ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ ٱلاعْتِسَافِ ، وَنَبَذْتُمُ ٱلثِّقْلَ ٱلفَادِحَ عَنِ ٱلْأَعْنَاقِ[1] .

رواها قبل الشريف الرضي سليم بن قيس في كتابه ص ٨٩ كما رواها الكليني في (روضة الكافي) ص٦٢ ويظهر من روايته لها ورواية المفيد في (الارشاد) ص٣٧٣ أن المختار هنا وما مر برقم (٨٦) [2] من خطبة واحدة في مقام واحد وسيأتي ذكر مصدر لها في باب الكتب برقم (٤٧) .

١٦٥ - ومن خطبة له عليه السلام

في أوائل خلافته

إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى أَنزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ ٱلخَيرَ وَٱلشَّرَّ . فَخُذُوا نَهْجَ ٱلْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ ٱلشَّرِّ تَقْصِدُوا[3] . ٱلْفَرَائِضَ ٱلْفَرَائِضَ ، أَدُّوهَا إِلَى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ

---

(١) الفادح من فدحه الدين اذا اثقله .

(٢) انظر هذا الجزء ص ١٣٤

(٣) اصدفوا : اعرضوا ، والسمت الجادة ، وتقصدوا : تعدلوا والقصد : العدل .

حَلاَلاً غَيْرَ مَدْخُولٍ[1] ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِالْإِخْلاَصِ وَٱلتَّوْحِيدِ حُقُوقَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا[2] . فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلاَّ بِالْحَقِّ . وَلاَ يَحِلُّ أَذَى ٱلْمُسْلِمِ إِلاَّ بِمَا يَجِبُ . بَادِرُوا أَمْرَ ٱلْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ ٱلْمَوْتُ[3] فَإِنَّ ٱلنَّاسَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا ، فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ . ٱتَّقُوا ٱللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلاَدِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ ٱلْبِقَاعِ وَٱلْبَهَائِمِ ، أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَلاَ تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ ٱلشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

. هذه الخطبة رواها الطبري في (التاريخ) ج٥ ص١٥٧ في حوادث سنة ٣٥ ، وقد مر جزء منها برقم (٢١) .

---

(١) غير مدخول : لا عيب فيه ولا نقص

(٢) اي جعل حقوق المسلمين مرتبطة بالاخلاص والتوحيد ، ومعاقدها: مواضعها من الذمم .

(٣) سمى الموت أمر العامة لانه يعم جميع الاحياء ثم سماه خاصة احدكم لان له مع كل واحد منهم خصوصية زائدة على العموم .

١٦٦ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

بعد ما بويع بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوماً ممن أجلب[١] على عثمان ؟ فقال عليه السلام :

يَا إِخْوَتَاهُ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلٰكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَٱلْقَوْمُ ٱلْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ[٢] ، يَمْلِكُونَنَا وَلاَ نَمْلِكُهُمْ . وهَا هُمْ هٰؤُلاءِ قَدْ ثَارَتْ معهم عُبْدَانُكُمْ . وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ ، وَهُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا[٣]. وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ . إِنَّ هٰذَا ٱلأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ . وَإِنَّ لِهٰؤُلاَءِ ٱلْقَوْمِ مَادَّةً[٤] . إِنَّ ٱلنَّاسَ مِنْ هٰذَا ٱلأَمْرِ ــ إِذَا حُرِّكَ ــ عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى هٰذَا وَلاَ ذَاكَ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ ٱلنَّاسُ ، وَتَقَعَ ٱلْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ ٱلْحُقُوقُ

---

(١) أجلب عليه : أعان عليه .

(٢) شوكتهم : شدتهم ، أي لم تنكسر سورتهم

(٣) عبدانكم ــ بضم العين ــ عبيدكم ، والتفت اليهم ، انضمت اليهم ، واختلطت بهم ، وهم خلالكم : أي بينكم ، ويسومونكم : يكلفونكم

(٤) مادة : عون ومدد

مُسْمِحَةً فَاهْدَأُوا عَنِّي[1] ، وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي. وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً ، وَتُسْقِطُ مُنَّةً ، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً[2] . وَسَأُمْسِكُ ٱلْأَمْرَ مَا ٱسْتَمْسَكَ . وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ ٱلدَّوَاءِ ٱلْكَيُّ[3] .

هذا الكلام رواه الطبري في (التاريـــخ) ج ٥ ص ١٥٨ في حوادث سنة ٣٥ .

١٦٧ — ومن خطبة له عليه السلام

عند مسير أصحاب الجمل الى البصرة

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ إِلاَّ هَالِكٌ . وَإِنَّ ٱلْمُبْتَدَعَاتِ ٱلْمُشَبَّهَاتِ

---

(١) سمحة : من اسمح اي ذل وانقاد .

(٢) المنة ــ بضم الميم ــ كقنة : القوة ، والوهن والضعف .

(٣) اي سامسك نفسي عن محاربة الناكثين ما امنني والا فآخر الدواء الكي : يريد القتال ، ويقال آخر الطب الكي : وهو مثل مشهور من الامثال التي تمثل بها امير المؤمنين في كلامه وللعلامة الاستاذ الشيخ عبد الهـادي الفضلي موضوع قيم بعنوان (الامثال في نهج البلاغة) ذكر فيه ما تمثل به عليه السلام من كلام غيره .

هُنَّ ٱلْمُهْلِكَاتُ١ إِلاَّ مَا حَفِظَ ٱللَّهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ ٱللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلاَ مُسْتَكْرَهٍ بِهَا ٢ . وَٱللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ ٱللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ ٱلْإِسْلاَمِ ، ثُمَّ لاَ يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ ٱلْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ٣ .

إِنَّ هٰؤُلاَءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي٤ ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ . فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هٰذَا ٱلرَّأْيِ٥ ٱنْقَطَعَ نِظَامُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا ٱللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ

---

(١) أمر قائم : أي مستقيم ليس بذي عوج ، المشبهات ــ بفتح الباء ــ اي التي تشبه السنن وليس منها .

(٢) غير ملاومة اي مخلصين غير ملومين عليها بالنفاق . ولا مستكره بها : أي ليست عن استكراه

(٣) يارز : ينقبض وينضم

(٤) تمالاوا : اجتمعوا وتعاونوا ، والسخطة ــ بالفتح ــ الكراهة وعدم الرضا

(٥) فيالة الراي : ضعفه ، وكذلك فيولته ، ورجل فيل الراي : ضعيفه .

ٱلْأُمُورِ عَلَىَ أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا ٱلْعَمَلُ بِكِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىَ وَسِيرَةِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَٱلْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَٱلنَّعْشُ لِسُنَّتِه١ .

روى الطبري هذه الخطبة في (التاريخ) ج٦ ص١٦٣ الى قوله عليه السلام : « حتى يأزر الأمر الى غيركم » .

١٦٨ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق ، ثم قال له بايع ، فقال: اني رسول قوم ولا احدث حدثاً حتى ارجع اليهم . فقال عليه السلام :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ ٱلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ ٱلْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَىَ ٱلْمَعَاطِشِ وَٱلْمَجَادِبِ٢ مَا كُنْتَ

---

(١) النعش : الرفع

(٢) مساقط الغيث : المواضع التي يقع فيها ، والكلأ : النبت اذا طال وامكن أن يرعى وأول ما يظهر يسمى الرطب فاذا طال قليلا فهو الخلا فاذا طال شيئا آخر فهو الكلا ، فاذا يبس فهو الحشيش ، والمعاطش والمجادب موضع العطش والجدب .

صَانِعاً ؟ قَالَ كُنتُ تَارِكَهُم وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ . فَقَالَ عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ:فَامدُد إِذاً يَدَكَ . فَقَالَ ٱلرجلُ فَوَٱللهِ مَا ٱستَطَعتُ أَن أَمتَنِـعَ عِندَ قِيَامِ ٱلْحُجَّة عَلَيَّ ، فَبَايَعتُهُ عَلَيهِ ٱلسَّلَامُ . وَٱلرَّجُلُ يُعرَفُ بِكُلَيب ٱلْجَرْمِيِّ .

هذا الكلام رواه الواقدي بسنده عن عامر بن كليب عن أبيه ، قال : لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلاً حتى قدم طلحة والزبير البصرة ، ثم ما لبثنا بعد ذلك إلا يسيراً حتى أقبل علي بن أبي طالب بذي قار ، فقال شيخان من الحي : اذهب معنا إلى هـذا الرجل فلننظر ما يدعو اليـه ، فلما أتينا ذا قار قدمنا على أذكى العرب ، فوالله لدخل على نسب قومي فجعلت أقول هو أعلم به مني ، وأطوع فيهم ، فقال : من سيد بني راسب ؟ فقلت : فلان فقال : فمن سيد بني قدامة ؟ قلت : فلان لرجل آخر ، فقال : أنت مبلغهما كتابين مني ؟ قلت : نعم ، قال : أفلا تبايعني ؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقفت عن بيعته ، فجعل رجال عنده قـد أكل السجود وجوههم ، يقولون : بايع بايع ، فقال : دعوا الرجل ، فقلت : إنما بعثني قومي رائداً وسانهي اليهم ما رأيت ، فإن بايعوا بايعت ، وإن اعتزلوا اعتزلت ، فقال : أرأيت لو أن قومك بعثوك رائداً ... الخ[1]

ورواه الطبري في (التاريخ) ج٥ ص١٩٢ في حوادث سنة ٣٦ والزمخشري في (ربيـع الأبرار) في باب الجوابات المسكتة ورشقات الكلام، وكليب بن

---

(١) الجمل للمفيد : ص ١٥٦ عن كتاب (الجمل) للواقدي .

شهاب الجرمي من أكابر التابعين بالكوفة ، وقيل : إن له ولأبيه صحبة [١].

وقال ابن أبي الحديد : لا شيء ألطف ولا أوقع ولا أوضح من المثال الذي ضربه عليه السلام وهو حجة لازمة لا مدفع لها [٢] .

١٦٩ - ومن كلام له عليه السلام

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ [٣] ، ٱلَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ ٱلسَّيَّارَةِ . وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ [٤] . وَرَبَّ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ

---

(١) الاصابة في حرفي الكاف والشين

(٢) شرح النهج م ٢ ص ٤٩٤

(٣) قال الشيخ محمد عبده : « الجو ما بين الارض والاجرام العالية، وفيه من مصنوعات الله ما لا يحصى نوعه ، ولا يعد جنسه ، وهو بحر تسبح فيه الكائنات الجوية ولكنها مكفوفة عن الارض لا تسقط عليها حتى يريد الله احداث امر فيها ، ومغيضا من غاض الماء اذا نقص ، كأن هذا الجو منبع الضياء والظلام ، وهو مغيضها كما يغيظ الماء في البئر ، والكلام الاتي صريح في ان الكواكب السيارة تختلف اي يختلف بعضها في الجو فهو مجال سيرها وميدان حركتها ، فعلى هذا يكون معنى المكفوف : الممنوع

(٤) السبط : الامة ، ولا يسأمون : لا يملون

وَٱلْأَنْعَامِ[1] ، وَمَا لا يُحْصِي مِمَّا يُرِي وَمِمَّا لَا يُرَى . وَرَبَّ ٱلْجِبَالِ ٱلرَّوَاسِي ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَلِلْخَلْقِ ٱعْتِمَاداً ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا ٱلْبَغْيَ ، وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ . وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا ٱلشَّهَادَةَ وَٱعْصِمْنَا مِنَ ٱلْفِتْنَةِ . أَيْنَ ٱلْمَانِعُ لِلذِّمَارِ وَٱلْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ ٱلْحِفَاظِ . ٱلْعَارُ وَرَاءَكُمْ . وَٱلْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ[2] .

من رواة هذا الدعاء قبل الرضي :

١ — نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) ص ٢٣٢ بسنده عن زيد بن وهب عنه عليه السلام ونقله عنه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) م١ ص٤٨٠.

٢ — الحسين بن سعيد الاهوازي في كتاب (الدعاء والذكر) — على ما حكاه ابن طاووس في (مهج الدعوات) — باسناده عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان من دعاء أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم صفين : اللهم رب هذا السقف المرفوع ...الخ .

٣ — الطبري في (التاريخ) ج٦ ص٨ في حوادث سنة ٣٧ عن أبي مخنف بسنده عن زيد بن وهب الجهني أن علياً خرج اليهم غداة يوم الاربعاء فاستقبلهم فقال : اللهم رب السقف المرفوع .. الخ .

---

(١) قرار الانام : موضع استقرارهم ، ومدرج الهوام محل دروجهم وحركاتهم ، والهوام : المخوف من الحشرات والاحناش .

(٢) الذمار : ما يحامى عنه ، الغائر : الغيور ، والحقائق : الامور الشديدة .

١٧٠- وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لاَ تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً ، وَلاَ أَرْضٌ أَرْضاً .

(مِنْهَا) وَقَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هٰذَا ٱلْأَمْرِ يَا ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ، فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَٱللّٰهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ(١) . فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي ٱلْمَلَإِ ٱلْحَاضِرِينَ هَبَّ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ(٢) .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي . ثُمَّ قَالُوا: إِلاَّ أَنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ

---

(١) ضرب الوجه كناية عن الرد والمنع

(٢) قرعته بالحجة : صدمته بها ، وفسر ابن ابي الحديد قوله عليه السلام : هب .. الخ كأنما استيقظ من نومه غافلا ذاهلا ، وقال الشيخ محمد عبده : هب من هبيب التيس اي صياحه اي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب كأنه مخبول .

تَأْخُذَهُ وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ(١) .

منها في ذكر أصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا تُجَرُّ ٱلْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى ٱلْبَصْرَةِ ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا ، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَقَدْ أَعْطَانِي ٱلطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا . فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً(٢) ، وَطَائِفَةً غَدْراً . فَوَٱللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلاَّ رَجُلاً وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلا جُرْمٍ جَرَّهُ ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذٰلِكَ ٱلْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلاَ يَدٍ . دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ٱلْعِدَّةِ ٱلَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ .

---

(١) اي انهم اعترفوا بأنه في الحق أن يأخذ الامر ثم اعطوه لغيره وقالوا في الحق أن تتركه ، فتناقض حكمهم في الحقية في القضيتين

(٢) القتل صبرا : هو ان يقاد المقتول للقتل .

قد مر في الخطبة المرقمة (١٢٥) والتي أول ما ذكر الرضي منها قوله عليه‌السلام : « والله ما أنكروا علي منكراً » الخ أن هذا الكلام من جملة كتاب كتبه سلام الله عليه في أواخر أيام خلافته ، استعرض فيه الأحـداث التي حدثت بعد وفاة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى حين كتابة ذلك الكتاب وأمر أن يقرأ على الناس ، وذكرنا مصادره السابقة لـ (نهج البلاغة) هناك ؛ والذي قال للامام عليه السلام (إنك على هذا الأمر لحريص) هو عبد الرحمـن بن عوف قال ذلك يوم الشورى ذكر ذلك الطبري في « المسترشد » ص٨٠ .

وقال ابن أبي الحديد : والذي قال له : (إنك على هذا الأمر لحريص » سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه : (أنت مني بمنزلة هرون من موسى) وهذا عجب فقال لهم : بل أنتم أحرص وأبعد ... الكلام المذكور ، وقد رواه الناس كافة وقالت الامامية : هذا الكلام قاله يوم السقيفة والذي قال له : إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيدة بن الجراح والرواية الأولى أظهر وأشهر اهـ [1] .

وليت ابن أبي الحديد ذكر لنا قائل ذلك من الامامية حتى نكون على بينة من الامر ، وقد ذكرنا رواية صاحب (المسترشد) وهو من علماء الامامية أن الكلام يوم الشورى والقائل عبد الرحمن بن عوف .

أما قوله عليه السلام (اللهم اني استعينك على قريش) فسيأتي الكلام على مصادره تحت رقم ٢١٥ وفي معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام « فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم » قال غلام شاب من بني سعد لطلحة والزبير أرى امكما معكما ، فهل جئتما بنسائكما ؟ قالا : لا ، قال : فما أنا منكما في شيء واعتزل، وقال السعدي في ذلك :

---

(١) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٤٩٥

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم | هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها | فهوت تشق البيد بالايجاف(١)
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها | بالنبل والخطي والأسياف(٢)
هتكت بطلحة والزبير ستورها | هذا المخبر عنهم والكافي(٣)

١٧١ – ومن خطبة له عليه السّلام

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ ٱلنَّاسِ بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ ٱللّٰهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ ٱسْتُعْتِبَ(٤) فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ ٱلْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ ٱلنَّاسِ فَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ سَبِيلٌ ، وَلٰكِن أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ .

أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا ٱدَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ،

(١) تشق : تقطع ، والايجاف : الاسراع في السير .
(٢) الغرض : الهدف ، والخطي : الرمح منسوب الى خط
(٣) تاريخ الطبري : ج ٥ ص ١٧١ حوادث سنة : ٣٦
(٤) الشغب : تهييج الشر ، واستعتب : يكلف بان يطلب العتبى أي الرضا عنه .

وَآخَرَ مَنَعَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ .

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى ٱلْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ عِنْدَ ٱللهِ . وَقَدْ فُتِحَ بَابُ ٱلْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ ٱلْقِبْلَةِ ، وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا ٱلْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ ٱلْبَصَرِ وَٱلصَّبْرِ[1] وَٱلْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ ٱلْحَقِّ . فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ . وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً[2] .

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَلَا مَنْزِلُكُمْ ٱلَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا ٱلَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ . أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا . وَهِيَ

---

(١) أهل القبلة من يشهد الشهادتين ويصلي الى القبلة ، ولم يكن المسلمون يعرفون قبل حرب الجمل حكم قتال اهل القبلة ، وانما تعلموا فقه ذلك من امير المؤمنين عليه السلام حتى قال الشافعي : اولا علي لما عرف شئى من احكام اهل البغي . واهل البصر : اهل النظر

(٢) غيرا اي تغييرا .

وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِها ، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا . وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى ٱلدَّارِ ٱلَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا ، وَٱنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا . وَلاَ يَخْنِنْ أَحَدُكُمْ خَنِينَ ٱلْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا(١) . وَٱسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ ٱللهِ ، وَٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا ٱسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ . أَلاَ وَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ . أَلاَ وَإِنَّهُ لاَ يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُم شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكِم إِلَى ٱلحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ .

روى الفصل الاخير من هذه الخطبة وهو قوله عليه السلام : (ألا وإن هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها ... » الخ قبل الرضي ابن شعبة في « تحف العقول » ص١٣٠ ، كما أورد أبو جعفر الاسكافي المتوفى سنة ٢٤٠ بعض هذا الكلام في رسالته « نقض العثمانية »(٢) .

---

(١) الخنين ضرب من البكاء يردد به الصوت في الانف ، وزوي عنه : نحي عنه

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » لابن ابي الحديد م ٢ ص ١٧١ – ١٧٣

١٧٢ - ومن كلام له عليه السلام

في معنى طلحة بن عبيد الله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ، وَلا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ ٱلنَّصْرِ ، وَٱللهِ مَا ٱسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً للطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ(١) إلاَّ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ (٢) ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ ٱلأَمْرَ(٣) وَيَقَعَ ٱلشَّكُّ . وَوَٱللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ : لَئِنْ كَانَ ٱبْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ(٤) أَوْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ ، وَلَئِن كَانَ مَظْلوماً لقَد كَانَ يَنْبَغِي لَهُ

---

(١) متجردا : متفرغا كأنه سيف تجرد من غمده

(٢) الضمير في عليه يعود الى دم عثمان اي على سفكه .

(٣) المغالطة : الايهام ، واجلب : حرض ، ولبس الامر : خلطه ، يقال: في الامر لبسة : أي شبهة .

(٤) يوازر: يعين ، قال ابن ابي الحديد : فان قلت: كيف قال: فما فعل واحدة من ثلاث وقد فعل واحدة منها لانه وازر قاتليه حيث كان محصورا؟ قلت مراده ان يوازر قاتليه بعد قتله يحامي عنهم ، ويمنعهم ممن يروم دماءهم . والمنابذة : المراماة ، والمراد المعارضة .

أَنْ يَكُونَ مِن ٱلْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ ، وَٱلْمُعَذِّرِينَ فِيهِ[1]. وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً[2] وَيَدَعَ ٱلنَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ ٱلثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ .

هذه الخطبة تتصل بالخطبتين (٢٢) و (١٣٥) وقد أشرنا إلى ذلك هناك[3] ونزيد على ذلك أن الطوسي رواها في (الأمالي) ج ١ ص ١٧٢ بسنده المتصل باسماعيل بن الرجا الزبيدي ، قال : لما رجعت رسل أمير المؤمنين عليه السلام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنون بالحرب قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال : يا أيها الناس إني قد راقبت هؤلاء القوم كيما يرعووا أو يرجعوا ، وقد وبختهم بنكثهم ، وعرفتهم بغيهم ، فليسوا يستجيبون ، ألا وقد بعثوا إلي أن أبرز إلى الطعان ، وأصبر للجلاد ، فإنما منتك نفسك من أبناء الأباطيل ، هبلتهم الهبول قد كنت وما أهدد بالحرب . الخطبة بزيادة على رواية الرضي ، واختلاف في بعض الألفاظ .

وقريباً منه ما رواه الخوارزمي في (المناقب) ص١١٧ .

وفسر ابن الأثير غريب هذه الخطبة بكلا قسميه في مواطن من (النهاية) منها في ج١ ص١٧١ وفي ج٢ ص١٦٧ مادة (ذمر) قال : ومنه حديث علي :

---

(١) نهنه عن الامر : كفه وزجره ، والمعذرين فيه : المعتذرين عنه .
(٢) يركد جانبا : يسكن في جانب .
(٣) انظر ج ١ ص ٣٧٤ و ج ٢ ص ٣٠٧

« ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه » أي حضهم وشجعهم . وفي ج٥/٦٦ مادة (نصف) قال : ومنه حديث علي « ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً » أي إنصافاً ، وفي ج٥ ص٢٤٠ ، قال : ومنه حديث علي « هبلتهم الهبول » أي ثكلتهم الثكول ، وهي – بفتح الهاء – من النساء التي لا يبقى لها ولد ، وفي ج١ ص٢٨٢ مادة (جلب) ، قال : وفي حديث علي رضي الله عنه « أراد أن يغالط بما أجلب فيه » يقال : أجلبوا عليه إذا تجمعوا وتألبوا ، وأجلبه : أعانه ، وأجلب عليه إذا صاح به واستحثه .

١٧٣ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ غَيْرُ ٱلْمَغْفُولِ عَنْهُمْ ، وَٱلتَّارِكُونَ ٱلْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ١ . مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ ٱللهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَىٰ غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ، كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَىٰ مَرْعًى وَبِيٍّ وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ٢ . إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَىٰ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا٣

---

(١) غافلون : عما يراد بهم ، غير مغفول عنهم ، لان اعمالهم محفوظة ، تاركون ما يراد منهم ، والمأخوذ مرفوعة لانها صفة للتاركين ، ومعنى الاخذ منهم ، انتقاص اعمارهم ، وانتقاص قواهم .

(٢) النعم : الابل أو هي والغنم ، وأراح بها ذهب بها ، والسائم : الراعي ، ووبي اي ذو وباء ، ودوي : ذو داء .

(٣) المدى – بالضم والقصر – جمع مدية – مثلثة الميم – وهي الشفرة سميت بذلك لانها تقطع مدى حياة المقتول بها كما سميت السكين سكينا لانها تسكن حركته .

وَشَبِعَهَا أَمْرَهَا[1]. وَٱللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَلاَ وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى ٱلْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ[2] . وَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَٱصْطَفَاهُ عَلَى ٱلْخَلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلاَّ صَادِقاً . وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذٰلِكَ كُلِّهِ ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو ، وَمَآلِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ . وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلاَّ أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي وَٱللهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلاَّ وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ، وَلاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

---

(١) اي لا تنظر الى عاقبة امرها ، فلا تعد شيئا لما بعد يومها واذا شبعت ظنت ان لا شيء بعد الشبع ، قال الشيخ محمد عبده : هذا كلام كأنه ثوب فصل على اهل هذا الزمان .

(٢) مفضيه : مفض به اي مخرجه الى من يؤمن الكفر منه .

قال ابن أبي الحديد : وفي هذه الخطبة قال وهو يشير إلى السارية التي كان يستند اليها في مسجد الكوفة : « كأني بالحجر الأسود منصوباً ههنا ، ويحهم إن فضيلته ليست في نفسه ، بل في موضعه وأُسّه ، يمكث ههنا برهة ، ثم ههنا برهة — وأشار إلى البحرين — ثم يعود إلى مأواه ، وام مثواه » قال : ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما اخبر به[1] .

وفيما ذكر دليل واضح على أن الخطبة مروية في غير (نهج البلاغة) وأنها أكثر مما نقله الرضي .

وروى الآمدي في (الغرر) ص١٩١ في حـــرف اللام بلفظ « لو » من قوله عليه السلام : « لو شئت أن اخبر كل رجل منكم » . . الخ باختلاف يسير .

١٧٤ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ٱنْتَفِعُوا بِبَيَانِ ٱللهِ ، وَٱتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱللهِ ، وَٱقْبَلُوا نَصِيحَةَ ٱللهِ . فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِٱلْجَلِيَّةِ[2] ، وَٱتَّخَذَ عَلَيْكُمُ ٱلْحُجَّةَ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ ، وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ ٱلْجَنَّةَ

---

(١) شرح النهج م ٢ ص ٥٠٨

(٢) أعذر اليكم : أوضح عذره في عقابكم اذا خالفتم اوامره والعذر هنا مجاز في سبب العقاب ، والجلية : اليقين .

حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ ٱلنَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ » وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتِي فِي كُرْهٍ١ ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ ٱللهِ شَيْءٌ إِلاَّ يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ ٱللهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ٢ ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلنَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً٣ . وَإِنَّهَا لاَ تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَىٰ مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى . وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ ، فَلاَ يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيداً لَهَا٤ . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُم وَٱلْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قَوَّضُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا تَقْوِيضَ ٱلرَّاحِلِ ، وَطَوَوْهَا طَيَّ ٱلْمَنَازِلِ٥ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ هُوَ ٱلنَّاصِحُ ٱلَّذِي لاَ يَغُشُّ ،

---

(١) لان النفس للهوى اطوع منها للعقل .

(٢) نزع عن الشيء أقلع واليه تاق .

(٣) منزعا أي نزوعا بمعنى الكف عن المعاصي .

(٤) الظنون، في الاصل البئر التي لا يدرى أفيها ماء أم لا، فالمؤمن متهم لنفسه يظن فيها التقصير في كل وقت ، زاريا أي عائبا لها ، مستزيدا لها اي طالبا الاكثار من عمل الخير .

(٥) التقويض : قلع أعمدة الخيمة واطنابها ، والمراد انهم على استعداد للسفر ، وطووا مدة الحياة كما يطوى المسافر منازل سفره .

وَٱلْهَادِي ٱلَّذي لاَ يُضِلُّ ، وَٱلْمُحَدِّثُ ٱلَّذي لاَ يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَة فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ فِي عَمًى . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ[1] ، وَلاَ لأَحَدٍ قَبْلَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوه مِن أَدوَائِكم وَٱسْتَعِينوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ[2] ، فَإِنَّ فِيه شِفَاءً مِنْ أَكْبرِ ٱلدَّاءِ وَهُوَ ٱلْكُفْرُ وَٱلنِّفَاقُ وَٱلْغَيُّ وَٱلضَّلاَلُ . فَاسْأَلُوا ٱللَّهَ بِهِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلاَ تسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ[3] إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ ٱلْعِبَادُ إِلَى ٱللهِ بِمِثْلِه . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ . وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ ٱلْقُرْآنَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ ٱلْقُرْآن يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ صَدَقَ عَلَيْهِ[4] ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : « أَلاَ إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ[5]

(١) الفاقة : الفقر والحاجة .

(٢) اللأواء : الشدة .

(٣) اي تقربوا الى الله تعالى بالقران ، ولا تتقربوا به الى العباد بان تجعلوه وسيلة لنيل ما عندهم .

(٤) يقال : محل به ــ بتثليث الميم ــ عند السلطان كاده بتبيين سيئاته

(٥) الحرث : الكسب ، وحرثة القرآن : المتاجرون الله به .

وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ ٱلْقُرْآنِ » فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَٱسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَٱسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَٱتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ، وَٱسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ ١ .

ٱلْعَمَلَ ٱلْعَمَلَ٢ ، ثُمَّ ٱلنِّهَايَةَ ٱلنِّهَايَةَ . وَٱلاسْتِقَامَةَ ٱلاسْتِقَامَةَ ، ثُمَّ ٱلصَّبْرَ ٱلصَّبْرَ ، وَٱلْوَرَعَ ٱلْوَرَعَ . إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ٣ ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ ، وَٱخْرُجُوا إِلَى ٱللهِ بِمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ٤ .

---

(١) اي اتهموا كل راي لكم يخالف القرآن بالخطأ ، وظنوا بكل هوى لكم يخالفه الغش

(٢) النصب في العمل والمعطوفات عليه على الاغراء وحقيقته فعل مقدر أي الزموا ، وكرر الاسم لينوب احد اللفظين عن الفعل المقدر ، والاولى ان يكون اللفظ الاول هو القائم مقام الفعل لانه في رتبته .

(٣) يعنى بالعلم نفسه عليه السلام .

(٤) الخروج من الحق اداؤه لصاحبه ، وحق الله في فرائضه ووظائفه : الاخلاص بها لوجهه سبحانـه .

أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَنْكُم١ .

أَلا وَإِنَّ ٱلْقَدَرَ ٱلسَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَٱلْقَضَاءَ ٱلْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ . وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ ٱللهِ وَحُجَّتِه٢ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : « إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُون ٣ » وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا ٱللهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ٱلصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ . ثُمَّ لاَ تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلاَ تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلاَ تُخَالِفُوا عَنْهَا . فَإِنَّ أَهْلَ ٱلْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِم عِنْدَ ٱللهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ٤ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ ٱلْأَخْلاَقِ وَتَصْرِيفَهَا٥ . وَٱجْعَلُوا ٱللِّسَانَ وَاحِداً ، وَلْيَخْزُنِ ٱلرَّجُلُ

---

(١) الشهيد : الشاهد ، والحجيج : المخاصم وقد اختلف الشارحون في معنى قوله هذا وفسره كل واحد بتفسير لا يحتمل المقام نقلها فليراجعها من شاء

(٢) تورد ــ كتنزل ــ : أي ورد شيئا بعد شي وعدة اللــه ، وعده للذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا ، وحجته قولهم : (ربنا الله)

(٣) فصلت : ٣١

(٤) لا تمرقوا منها : لا تخرجوا منها ، ولا تخالفوا : لا تعدلوا

(٥) تهزيع الاخلاق : تحطيمها ، وتصريف الاخلاق : تقليبها ينهي عــن النفاق والتلون وهو معنى الامر بجعل اللسان واحدا .

لِسَانَهُ ، فَإِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَٱللهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوىٰ تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ ، وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ . وَإِنَّ قَلْبَ ٱلْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، لأَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلاَمٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ . وَإِنَّ ٱلْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لاَ يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ . وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ » فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى ٱللهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ ٱلرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمُ ٱللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ .

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ ٱلْعَامَ مَا ٱسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ ٱلْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ(١) . وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ ٱلنَّاسُ لاَ يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ،

---

(١) اي المؤمن في كل الاحوال والازمان على طريقة واحدة لا يحيد عنها

وَلٰكِنَّ ٱلْحَلاَلَ مَا أَحَلَّ ٱللهُ وَٱلْحَرَامَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ . فَقَدْ جَرَّبْتُمُ ٱلأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا[1] ، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتِ ٱلأَمْثَالُ لَكُمْ ، وَدُعِيتُمْ إِلى ٱلأَمْرِ ٱلْوَاضِحِ ، فَلاَ يَصَمُّ عَنْ ذٰلِكَ إِلاَّ أَصَمُّ ، وَلاَ يَعْمَىٰ عَنْ ذٰلِكَ إِلاَّ أَعْمىٰ وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِالْبَلاَءِ وَٱلتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ ٱلْعِظَةِ[2] . وَأَتَاهُ ٱلتَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ[3] حَتى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ[4] .

وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ رَجُلاَنِ : مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ ، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ وَلاَ ضِيَاءُ حُجَّةٍ .

وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَبْلُ ٱللهِ ٱلْمَتِينُ وَسَبَبُهُ ٱلأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ

---

(١) ضرستموها : جربتموها .

(٢) البلاء : الامتحان

(٣) حيث انه لم ينتفع بالبلاء والتجارب ، ولم تؤثر فيه الموعظة صار التقصير دائما امامة حيث ما توجه واني ذهب .

(٤) اي انه لتقصيره ونقصانه صار يتخيل فيما انكره وجهله انـه عارف بحقيقته ويطرأ عليه خيال آخر فينكر ما كان يعرفه ويحكم بصحته

ذَهَبَ ٱلْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ وَٱلْمُتَنَاسُونَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ : « يَا ٱبْنَ آدَمَ ٱعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ ٱلشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ(١) » .

أَلاَ وَإِنَّ ٱلظُّلْمَ ثَلاَثَةٌ : فَظُلْمٌ لاَ يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لاَ يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لاَ يُطْلَبُ . فَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لاَ يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : « إِنَّ ٱللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ(٢) . وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لاَ يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً . ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى وَلاَ ضَرْباً بِالسِّيَاطِ ، وَلٰكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ . فَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّلَوُّنَ فِي دِينِ ٱللهِ ،

---

(١) الجواد القاصد : السهل السير لا سريع فيتعب بسرعته ، ولا بطيء يفوت الغرض ببطئه .

(٢) الهنات ــ بفتح الهاء ــ جمع هنة ــ بفتحتين ــ وهي الخصلة من الخصال .

فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ ٱلْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ[1] . وَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَلاَ مِمَّنْ بَقِيَ .

يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَٱشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ ، وَٱلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ .

قال ابن أبي الحديد والشيخ كمال الدين البحراني في شرحيهما على (نهج البلاغة) إن هذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويع بعد قتل عثمان [2] ولو لم يكونا قد اطلعا عليها في غير (نهج البلاغة) لما ذكرا ذلك لأن الرضي لم يشر اليه .

وروى الزمخشري بعض هذه الخطبة في الجزء الأول من (ربيع الأبرار) ص٢١٩ (مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) في باب الجوابات المسكتة ورشقات اللسان ، والسكوت وقلة الاسترسال من قوله عليه السلام :(وليخزن

---

(١) اي ان الاجتماع على الحق المكروه اليكم كالحرب مثلا ، خير لكم من الافتراق في الباطل المحبوب عندكم كترك الجهاد .

(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٢ ص ٥١٢ وشرح النهج لابن ميثم ج ٣ ص ٣٥٨

الرجل لسانه) إلى (ماذا له وماذا عليه) ولكنه رواها هكذا (اختزن رجل لسانه) ورواية الرضي (وليخزن الرجـــل) و (إن قلب الكافر) ورواية الرضي (قلب المنافق) وليس في رواية الزمخشري كلمـة (تنفعه) وفي ذلك ما يدل أن له مصدراً غير « النهج » .

وروى الزمخشري أيضاً في نفس الباب من هذه الخطبة قوله عليه السلام: (ولقد قال رسول الله ﷺ ...) الخ .

وأما قوله عليه السلام : (ألا وإن الظلم ثلاثة) فإنه مروي قبل « نهـج البلاغة » في الكتب الآتية :

١ – (اصول الكافي) ج٢/٤٤٣ بلفظ « الذنوب ثلاثة » .

٢ – (المحاسن) للبرقي ص٦ في (كتاب الأشكال والقرائن) .

٣ – (الأمالي) للصدوق ص١٥٣ رواه عن الإمام الباقر عليه السلام .

٤ – تفسير العياشي ج٢ ص٢٦٢ .

١٧٥ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ آخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ ٱلْقُرْآنِ١ ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ . فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَا

(١) يجعجعان : يحبسان نفوسهما وآرائهما عند القران .

ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِه . وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَٱلاِعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَٱلْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا[1] وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا ، وَٱلثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا[2] حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ ٱلْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لاَ يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ ٱلْحُكْمِ .

كلامه هذا كان مع الخوارج ، رواه الطبري في « التاريخ » ج٥ ص٤٨ في حوادث سنة ٣٧ عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو سلمة الزهري وكانت امه بنت أنس بن مالك ، أن علياً قال لأهل النهر : يا هؤلاء إن أنفسكم قد سولت لكم فراق هذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره ، وأنبأتكم أن سألكموها مكيدة ودهناً فأبيتم عليّ إباء المخالفين ، وعدلتم عني عدول النكداء العاصين ، حتى صرفت رأيي إلى رأيكم ، وأنتم والله معاشر أخفاء الهام ، سفهاء الاحلام ، فلم آت لا أبا لكم حراماً والله ما خبلتكم عن اموركم ، ولا أخفيت شيئاً من هذا الأمر عنكم ولا أوطأتكم عشوة ، ولا دنيت لكم الضراء وإن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهراً فأجمع رأي ملئكم ... الخ ما رواه الرضي مع اختلاف في بعض الألفاظ .

١٧٦ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، ولاَ يَحْوِيهِ

---

(١) الداب : العادة وسوء رأيهما منصوب لانه مفعول سبق والفاعل استثناؤهما .

(٢) اي نحن على ثقة من امرنا وان خالفا سبيل الحق اي عدلا عنه .

مَكَانٌ ، وَلاَ يَصِفُهُ لِسَانٌ ، وَلاَ يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ ٱلْمَاءِ١ ، وَلاَ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ ، وَلاَ سَوَافِي ٱلرِّيحِ فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَلاَ دَبِيبُ ٱلنَّمْلِ عَلَى ٱلصَّفَا ، وَلاَ مَقِيلُ ٱلذَّرِّ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْمَاءِ٢ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ ٱلْأَوْرَاقِ وَخَفِيَّ طَرْفِ ٱلْأَحْدَاقِ٣ . وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللّٰهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ ، وَلاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ٤ . شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ٥ ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلْمُجْتَبَى مِنْ خَلاَئِقِهِ ، وَٱلْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ٦ وَٱلْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ . وَٱلْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالاَتِهِ . وَٱلْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ ٱلْهُدَى٧ .

---

(١) لا يعزب : لا يخفى .

(٢) سوافي الريح : ما تحمله من ذرات التراب ، ودبيب النمل : حركته عليه بغاية الخفاء ، والصفا ــ مقصور ــ الحجر الاملس الضخم ، والذر : صغار النمل ، ومقيله : موضع استراحته ومبيته .

(٣) الاحداق : جمع حدقة وهي العين ، وطرف الحدقة : حركة جفنها

(٤) عدل به : جعل له مثيلا وعديلا ، وتكوينه : خلقه للخلق .

(٥) دخلته : باطنه .

(٦) المجتبى : المصطفى ، والعيمة ــ بالكسر ــ المختار من المال .

(٧) اشراط الهدى : اعلامه .

وَٱلْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ ٱلْعَمَى(١) .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلدُّنْيَا تَغُرُّ ٱلْمُؤَمِّلَ لَهَا وَٱلْمُخْلِدَ إِلَيْهَا ، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا. وَٱيْمُ ٱللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ ٱجْتَرَحُوهَا(٢) ، لِأَنَّ ٱللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَوْ أَنَّ ٱلنَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ ٱلنِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ ٱلنِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ(٣) ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ . وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ(٤) . وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا ٱلْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا ٱللهُ عَمَّا سَلَفَ .

---

(١) الغربيب : الاسود شديد السواد . الاخلاد الركون ، ولا تنفس : لا تعن بمعنى تحرص ، ونافس فيها : اعدها من النفائس .

(٢) غض العيش : نضارته واجترحوها : اكتسبوها .

(٣) الوله : الحيرة عند الخوف والوجد ، والشارد : الذاهب

(٤) في فترة : أي في جاهلية لغلبة الضلال والجهل .

نص ابن أبي الحديد على أن هذه الخطبة خطب بها عليه السلام بعد قتل عثمان في أول خلافته عليه السلام ، قال : وقد تقدم ذكر بعضها[1] ، وهذا التعيين يدلنا على أنه اطلع عليها في غير (نهج البلاغة) .

وقد روى ابن شاكر الليثي في (عيون الحكم والمواعظ) الفصل الأول من هذه الخطبة الى قوله عليه السلام (وثقلت موازينه)[2] .

وروى الصدوق في « الخصال » ج٢/١٦٣ من هـــذه الخطبة قوله عليه السلام : « فما زالت نعمة . . » الخ .

وروى الزمخشري في الجزء الاول من (ربيع الابرار) ص١٦٢ مخطوطة الأوقاف في باب تبدل الأحوال من قوله عليه السلام : (وأيم الله ما كان قوم قط في غض نعمه) الى (وأصلح لهم كل فاسد) وروى مكان (غض نعمة) (خفض نعمة) وفي هذا ما يفيد أنه أخذها عن غير (نهج البلاغة) .

وفسر ابن الاثير في « النهاية » غريب هذه الخطبة ففي الجزء الثالث ص ٢٨٢ مادة (عقل) قال : وفي حديث علي (المختص بعقائـل كراماته) جمع عقيلة وهي في الأصل المرأة الكريمة النفيسة ثم استعمل في الكريم النفيس من كل شيء من الذوات والمعاني .

١٧٧ – وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِعْلِبٌ ٱلْيَمَانِيُّ[3] ، فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ؟

(١) شرح نهج البلاغة : م ٢ ص ٥٢٤ .

(٢) انظر « بحار الانوار » : ج ٧٧ ص ٣٠٧ .

(٣) في مجمع البحرين للطريحي (ذعلب) قال : ذعلب – بكسر الذال وفتح اللام – اسم رجل من أصحاب امير المؤمنين عليه السلام ذو لسان فصيح بليغ في الخطب شجاع القلب ، وهو الذي قال لامير المؤمنين رأيت ربك . . .

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى(١) ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ تَرَاهُ ؟ فَقَالَ :

لَا تَرَاهُ ٱلْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ ٱلْعِيَانِ ، وَلَٰكِنْ تُدْرِكُهُ ٱلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ ٱلْإِيمَانِ ، قَرِيبٌ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ(٢) ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ(٣) ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ(٤) ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ ، تَعْنُو ٱلْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ(٤) ، وَتَجِبُ ٱلْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ .

---

(١) قال ابن ابي الحديد : قوله : فأعبد ما لا ارى ؟ مقام رفيع جدا لا يصلح أن يقوله غيره عليه السلام .

(٢) لانه تعالى شأنه : ليس بجسم وانما قربه من الاشياء علمه بها .

(٣) لا تطلق عليه البينونة لانه سبحانه وتعالى ليس بجسم وبعده منها عبارة عن عدم اجتماعه معها .

(٤) الروية : الفكرة ، وبلا همة : بلا اهتمام بالامر بحيث لو لم يفعل لجرّ نقصا وأوجب هما وحزنا وهو سبحانه منزه عن ذلك ، والجارحة: العضو ، واللطيف : الدقيق وهو تبارك وتعالى لطيف لا بهذا الاعتبار ، الجفاء : الغلظة والخشونة ، والحاسة : حاسة البصر وهي العين وتعنو : تذل وتجب : تخفق .

كلامه عليه السلام مع ذعلب مروي في غير واحد من الاصول المعتبرة عند الامامية قبل صدور « نهج البلاغة » بطرق عديدة ، ووجوه مختلفة من حيث الزيادة والنقصان ، علماً بأن ما نقله الرضي هنا هو مختار مـا روى هناك ، فمن رواته الكليني في « اصول الكافي) ج١ ص١٣٨ ، في باب جوامع التوحيد ، وفي باب إبطال الرؤيا ج١ ص٩٨ ، ورواه الصدوق في «التوحيد» بصور مختلفة في ص٩٦ و٣٢٠ و٣٢٤ و «الأمالي » ص٢٠٥ في المجلس الخامس والخمسين ، ورواه المفيد في « الارشاد » ص١٣١ وفي« الاختصاص » ص٢٣٦ ورواه من علماء أهل السنة سبط ابن الجوزي الحنفي في (التذكرة) ص ١٥٧ عن عطية العوفي عن ابن عباس عنه عليه السلام .

١٧٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

في ذم اصحابه

أَحْمَدُ ٱللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَى ٱبْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا ٱلْفِرْقَةُ ٱلَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِـعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ . وَإِنِ ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ . وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ١ ، لَا أَبَاً لِغَيْرِكُمْ ٢ .

(١) اهملتم : خليتم وتركتهم ، ، وخرتم : ضعفتم ، وتروى « جرتم » ــ بالجيم ــ اي عدلتم ، واجئتم : الجئتم ، قال تعالى : (فأجاءها المخاض ، مريم : ٢٢) والمشاقة ــ هنا ــ الحرب ونكصتم : احجمتم .

(٢) لا ابا لغيركم : دعاء عليهم بفقد الاب ، فتلطف عليه السلام فوجهه الى غيرهم .

مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَٱلْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟ . ٱلْمَوْتَ أَوِ ٱلذُّل لَكُمْ١ . فَوَٱللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلَيَأْتِيَنِّي - لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ ٢ . لِلَّهِ أَنْتُمْ٣ . أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ؟ وَلاَ حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ ٤ ؟ أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو ٱلْجُفَاةَ ٱلطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلاَ عَطَاءٍ٥ . وَأَنَا أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ ٱلْإِسْلاَمِ ٦ وَبَقِيَّةُ ٱلنَّاسِ - إِلَى ٱلْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ ٱلْعَطَاءِ فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ . إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ ،

---

(١) دعا عليهم بالموت ثم استدرك فدعا عليهم بما هو اشد وهو الذل وكأن المتنبي اخذ هذا المعنى فقال .

ضل من يغبط الذليل بعيش　　　رب عيش أخف منه الحمام

(٢) قال : مبغض ، وغير كثير أي في قلة من الاعوان ، والواو في وانا وبكم للحال .

(٣) اللام في لله للتعجب ولم تأت لام التعجب في غير هذا اللفظ كما ان تاء القسم لم تأت بغير اسم الله تبارك وتعالى

(٤) الحمية : الانفة ، وتشحذكم : هنا بمعنى تثيركم .

(٥) الجفاة جمع جاف وهو السليظ ، والطغام - بفتح الطاء المهملة - الاراذل والاوباش والمعونة ما يعطى كل واحد من الجند زائدا على العطاء المفروض ، والارزاق المعينة .

(٦) التريكة بيضة النعام تتركها في مجثمها والمراد خلف الاسلام ، وبقية السلف .

وَلاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ[1] وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ ٱلْمَوْتُ . قَدْ دَارَسْتُكُمْ ٱلْكِتَابَ [2] ، وَفَاتَحْتُكُمُ ٱلْحِجَاجَ ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ ، لَوْ كَانَ ٱلْأَعْمَى يَلْحَظُ ، أَوِ ٱلنَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ . وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ، وَمُؤَدِّبُهُمْ ٱبْنُ ٱلنَّابِغَةِ[3] .

خطب عليه السلام بهذه الخطبة لما استنهض أصحابه لنجدة محمد بن أبي بكر رضي الله عنه بمصر فلم يستجيبوا له ، وقد رواها قبل الرضي إبراهيم ابن هلال الثقفي في كتاب (الغارات) بسنده عن المدائني بسنده عن حبيب ابن عبد الله قال : والله إني لعند علي جالس إذ جاءه عبد الله بن قعين ، وكعب بن عبد الله من قبل محمد بن أبي بكر يستصرخه قبل الوقعة ، فقام علي فنادى في الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر رسول الله فصلى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فهذا صريخ محمد بن أبي بكر ، وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار اليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والاه ، وولي من عادى الله ، فلا يكونن أهل

---

(١) اي انكم في خلافي على كل حال مني سواء ترضيكم او تسخطكم .

(٢) دارستكم الكتاب : اي تلوته عليكم تلاوة تعليم وتفهيم ، وفاتحتكم الحجاج اي حاججتكم ، وعرفتكم ما انكرتم : بينت لكم ما تجهلونه ، وساغ الشراب : سهل مدخله في الحلق ، ومج الشراب رماه من فمه غير مستسيغ لـه .

(٣) واقرب بهم اي ما اقربهم قال تعالى : (اسمع بهم وابصر ، مريم: ٣٨) وابن النابغة عمرو بن العاص .

الضلال إلى باطلهم ، والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعـــاً على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم ، فكأنكم بهـــم وقد بدأوكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا اليهم بالمواساة والنصر .

عباد الله ، إن مصر أعظم من الشام ، وخير أهلاً ، فلا تغلبوا على مصر ، فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم ، وكبت لعدوكم ، اخرجوا الى هـذه الجزعة – قال : والجزعة بين الحيرة والكوفة – لنتوافى هناك كلنا غداً إن شاء الله .

قال : فلما كان الغد خرج يمشي فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع فلما كان العشي بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر وهو كئيب حزين فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر ، وقدر من فعل ... الخطبة بأخصر من رواية الرضي رحمه الله .

وروى ابن جرير الطبري في « التاريخ » ج ٦ ص٦٠ في حوادث سنة ٣٨ مثله .

وفسر ابن الاثير من غريب هذه الخطبة قوله عليـــه السلام (تريكة الاسلام) في مادة (ترك) ج١ ص١٨٨ قال : ومنه حديث علي رضي الله عنه (وأنتم تريكة الاسلام وبقية الناس) .

١٧٩ – ومن كلام له عليه السلام

وقد أرسل رجلا من اصحابه يعلم له علم احوال قوم من جند الكوفة قد هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلام فلما عاد الرجل اليه قال له :

«أأَمِنُوا فقَطَنُوا أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا ؟ »١ .

فقال الرجل : بل ظعنوا يا امير المؤمنين ، فقال عليه السلام :

بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ، أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ٢ ، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ٣ ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى٤ ، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى ، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ٥ .

القوم المذكورون هنا هم الخريت بن راشد الناجي وأصحابه من بني ناجية وقد أشرنا إلى قصتهم عند كلامنا على مصادر قوله عليه السلام (قبح الله مصقلة) في الخطبة رقم (٤٤) وقد روى ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب (الغارات) ما ملخصه : أن الخريت هذا قد شهد مع علي عليه السلام صفين فجاء الى علي بعد التحكيم في ثلاثين من أصحابه يمشي بينهم حتى قام

---

(١) آمنوا : اطمأنوا . وقطنوا أقاموا ، وظعنوا رحلوا

(٢) أشرعت : سددت وصوبت نحوهم ، والهامات الرؤوس .

(٣) استفلهم : دعاهم للتفلل وهو الانهزام عن الجماعة .

(٤) حسبهم : كافيهم ، والارتكاس : الانقلاب والانتكاس .

(٥) صدهم : اعراضهم . والجماح : الجموح وهو ان يغلب الفرس راكبه . والمراد تعاصيهم في التيه اي الضلال .

بين يديه ، فقال : والله لا أطيع أمرك ولا اصلي خلفك ، وإني غداً لمفارق لك ، فقال له : ثكلتك امك إذاً تنقض عهدك ، وتعصي ربك، ولا تضر إلا نفسك ، أخبرني لِمَ تفعل ذلك ، قال : لأنك حكّمت في الكتاب، وضعفت عن الحق إذا جد الجد ، وركنت الى القوم الذين ظلموا ، فأنا عليك راد وعليهم ناقم ، ولكم جميعاً مباين ، فقال له عليه السلام :ويحك هلم ادارسك اناظرك في السنن ، وافاتحك اموراً من الحق أنا أعلم بها منك ، فلعلك تعرف ما أنت الآن له منكر ، وتبصر ما أنت عنه عم وبه جاهل ، فقال الخريت : فإني غاد عليك غداً ، فقال له عليه السلام : أغد ولا يستهوينك الشيطان ، ولا يقتحمن بك رأى السوء ، ولا يستخفنك الجهلاء الذين لا يعلمون ، فوالله إن استرشدتني ، واستفحصتني ، وقبلت مني لأهدينك سبيل الرشاد ، فخرج الخريت من عنده منصرفاً إلى أهله ، فاجتمع اليه من قومه ، فقال لهم : إني رأيت أن افارق هذا الرجل ، وقد فارقته على أن أرجع اليه من غد ، ولا أرى إلا المفارقة ، فقال له أكثر أصحابه : لا تفعل حتى تأتيه ، فإن أتاك بأمر تعرفه قبلت منه ، وإن كانت الاخرى فما أقدرك على فراقه ، فقال لهم : نعم ما رأيتم ، وكان هناك رجل من الأزد من أصحاب أمير المؤمنين يقال له عبد الله بن قعين ، قد سمع ما دار بينهم فدخل عليهم ونصحهم وحذرهم الخلاف فسمعه مدرك بن الريان الناجي وكان من كبرائهم فجزاه خيراً ، فاطمأن الى قولة ولم يخبر أمير المؤمنين إلا في اليوم الثاني ، فأمره بالرجوع اليهم ليعلم ما فعلوا ، فذهب إلى منازلهم ودار عليها فإذا ليس فيها داع ولا مجيب فعاد إلى أمير المؤمنين فلما رآه قال : أقطنوا فأقاموا ؟ أم جبنوا فظعنوا ... إلى قوله عليه السلام : « ومخلّ عنهم » بزيادة ألفاظ لم تذكر في « نهج البلاغة » (١) .

وكذلك رواية الطبري في « التاريخ » ج٦ ص٦٥ في حوادث سنة ٣٨ .

---

(١) انظر (شرح نهج البلاغة) لابن ابي الحديد م : ١ ص ٢٦٥

١٨٠ - ومن خطبة له عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال : خطبنا هذه الخطبة بالكوفة امير المؤمنين عليه السلام وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي ، وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف ، وفي رجليه نعلان من ليف ، وكان جبينه ثفنة(١) بعير . فقال عليه السلام :

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ٢ ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً ، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً . وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ ،

---

(١) المدرعة : الجبة ، ولا تكون الا من صوف ، والثفنة ــ بفتح فكسر ــ ما يلاقي الارض من البعير عند البروك فيكون به غلظ من ذلك وكذلك كان جبينه المبارك من كثرة السجود وكذلك كان حفيده الامام زين العابدين عليه السلام ، قال دعبل (وحمزة السجاد ذي الثفنات) .

(٢) مصائر الامور جمع مصير وهو المرجع ، ونوامي جمع نام بمعنى زائد .

مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ[1] ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً ، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً[2] ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً ، وَلاَذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً . لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً[3] . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلاَ زَمَانٌ . وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلاَ نُقْصَانٌ[4] بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلاَمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلاَ عَمَدٍ[5] ، قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلاَ مُبْطِئَاتٍ[6] . وَلَوْلاَ إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ

(١) الطول ـ بالفتح ـ الفضل .

(٢) أناب : أقبل ، وخنع : خضع .

(٣) يكون شريكه في العز بل اقدم منه عزا ، ولما كان سر الولادة حفظ النوع لهلاكه كان لله تعالى أن يلد لكان فانيا يبقى نوعه في اشخاص أولاده فيكون موروثا هالكا .

(٤) يتعاوره : يتداوله ويختلف عليه .

(٥) موطدات : ممهدات مثبتات في مداراتها على ثقل اجرامها .

(٦) التلكؤ : التوقف والتباطىء .

وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ لِمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ ، وَلاَ مَسْكَناً لِمَلاَئِكَتِهِ ، وَلاَ مَصْعَداً لِلْكَلِمِ ٱلطَّيِّبِ وَٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاَماً يَسْتَدِلُّ بِهَا ٱلْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجِ ٱلْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ٱدْلِهْمَامُ سُجُفِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ١ . وَلاَ ٱسْتَطَاعَتْ جَلاَبِيبُ سَوَادِ ٱلْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ ٱلْقَمَرِ٢ . فَسُبْحَانَ مَنْ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ وَلاَ لَيْلٍ سَاجٍ فِي بِقَاعِ ٱلْأَرَضِينَ ٱلْمُتَطَأْطِئَاتِ ، وَلاَ فِي يَفَاعِ ٱلسُّفْعِ ٱلْمُتَجَاوِرَاتِ٣ . وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ ٱلرَّعْدُ فِي أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ ، وَمَا تَلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ ٱلْغَمَامِ٤ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ

(١) الادلهمام : شدة الظلمة ، وسجف ـ بفتح الجيم ـ جمع سجف ـ بسكون الجيم ـ وهو الستر .

(٢) الجلابيب جمع جلباب وهو الثوب الضافي الذي يجعل فوق الثياب ، والتلألؤ : اللمعان .

(٣) الغسق : الظلمة ، والداجي : المظلم ، والساجي : الساكن والمتطاطئات : المنخفضات ، واليفاع : الارض ، والسفع المتجاورات ههنا : الجبال والسفع جمع سفعة : وهي السوداء المشربة بحمرة .

(٤) التجلجل : صوت الرعد ، وتلاشت : اضمحلت من لشيء اذا اتضع بعد رفعة اي انه يلمع فيضيء اقطارا مخصوصة ثم يتلاشى عنها .

مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ ٱلْأَنْوَاءِ وَٱنْهِطَالُ ٱلسَّمَاءِ١ وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ ٱلْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ ٱلذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا٢ ، وَمَا يَكْفِي ٱلْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ ٱلْأُنْثَىٰ فِي بَطْنِهَا .

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ ،أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ . لاَ يُدْرَكُ بِوَهْمٍ . وَلاَ يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ . وَلاَ يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلاَ يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلاَ يُبْصَرُ بِعَيْنٍ ، وَلاَ يُحَدُّ بِأَيْنٍ ، وَلاَ يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَلا يَخْلُقُ بِعِلاَجٍ ، وَلاَ يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلاَ يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسىٰ تَكْلِيماً ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً . بِلاَ جَوَارِحَ وَلاَ أَدَوَاتٍ ، وَلاَ نُطْقٍ وَلاَ لَهَوَاتٍ٣ .

---

(١) العواصف جمع عاصفة وهي الريح الشديدة ، والانواء : منازل القمر ، واضافة العواصف اليها من باب اضافة الشيء لمصاحبه عادة ، والانهطال : الانصباب .

(٢) الذرة : النملة الصغيرة ، ومجرها موضع سحبها وجرها .

(٣) النائل : العطاء ، والاين المكان ، والازواج : الامثال القرناء ، ولا يخلق بعلاج : اي لا يحتاج في ايجاد ما يخلقه الى معالجة ومزاولة بل يقول له (كن فيكون) ، ولا يدرك ما يدركه بالحواس وهي المشاعر الخمسة : السمع والبصر والشامة والذائقة واللامسة، واللهوات جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم .

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا ٱلْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ ١ فَصِفْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ ٱلْقُدْسِ مُرْجَحِنِّينَ ٢ مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ. فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو ٱلْهَيْئَاتِ وَٱلْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي أَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ ٣ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعَاشَ. وَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى ٱلْبَقَاءِ سُلَّماً، أَوْ إِلَى دَفْعِ ٱلْمَوْتِ سَبِيلاً، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ٱبْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱلَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ مَعَ ٱلنُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ ٱلزُّلْفَةِ. فَلَمَّا ٱسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ ٤،

---

(١) المتكلف: المتعرض لما لا يعنيه.

(٢) مرجحنين جمع مرجحن ـ كمشعر ـ المائل اثقله يمينا وشمالا كناية عن خضوعهم لله جل جلاله، والواله: المتحير والمتخوف.

(٣) أسبغ: اوسع، والرياش اللباس الفاخر.

(٤) الطعمة ـ ههنا ـ رزقه المقسوم له

وَٱسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُّ ٱلْفَنَاءِ بِنِبَالِ ٱلْمَوْتِ . وَأَصْبَحَتِ ٱلدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَٱلْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْقُرُونِ ٱلسَّالِفَةِ لَعِبْرَةً . أَيْنَ ٱلْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْعَمَالِقَةِ . أَيْنَ ٱلْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ ٱلْفَرَاعِنَةِ . أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ ٱلرَّسِّ١ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا ٱلنَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا سُنَنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . وَأَحْيَوْا سُنَنَ ٱلْجَبَّارِينَ . وَأَيْنَ ٱلَّذِينَ سَارُوا بِٱلْجُيُوشِ وَهَزَمُوا ٱلأُلُوفَ . وَعَسْكَرُوا ٱلْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا ٱلْمَدَائِنَ .

(مِنْهَا) قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا٢ . وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ

---

(١) مدائن الرس : اثنتا عشرة مدينة في بلاد آذربيجان ، وكانوا يعبدون من دون الله شجرة صنوبر اسمها (شاه درخت) نابتة على شفير عين تسمى (دوشاب) فبعث الله اليهم نبيا نهاهم عن عبادة تلك الشجرة ودعاهم الى عبادة الله تعالى فحفروا له حفرة عميقة القوه بها حيا وجلسوا يسمعون انينه وشكواه الى الله سبحانه حتى مات فعاقبهم الله عز وجل بارسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت ابدانهم وقفذت عليهم الارض مواد من الكبريت متقدة فذابت اجسادهم وهلكوا جميعا وانقلبت مدائنهم وفي أصحاب الرس اخبار واختلاف في تعيين مكانهم تطلب من مظانها من كتب التفسير والتاريخ .

(٢) الجنة : الدرع او ما يستتر به مطلقا ولفظ الجنة مستعار في الاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة ، والعمل بأوامر الله تعالى ، ووجه الاستعارة أنه بذلك العمل يأمن من اصابة سهام الهوى كما يأمن لابس الجنة من أذى السهام .

أَدَبِهَا مِنَ ٱلْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَٱلْمَعْرِفَةِ بِهَا وَٱلتَّفَرُّغِ لَهَا ، وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ ٱلَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ ٱلَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا ٱغْتَرَبَ ٱلْإِسْلَامُ ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ ،وَأَلْصَقَ ٱلْأَرْضَ بِجِرَانِهِ١. بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) :

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ٢ ٱلْمَوَاعِظَ ٱلَّتِي وَعَظَ ٱلْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ . وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ ٱلْأَوْصِيَاءُ إِلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ . وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا . وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا . لِلّٰهِ أَنْتُمْ ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ ٱلطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمُ ٱلسَّبِيلَ٣ ؟ .

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً ، وَأَقْبَلَ

---

(١) جران البعير مقدم عنقه ، والعسيب : طرف ذنبه والقى كناية عن التعب والاعياء ، والضمير في ضرب للاسلام .

(٢) بثثت : نشرت .

(٣) حدوتكم : سقتكم يريد حثثتكم ، وتستوسقوا : اي تنتظموا وتجتمعوا ، ويطأ بكم الطريق : يحملكم على الجادة المستقيمة .

مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً ، وَأَزْمَعَ ٱلتَّرْحَالَ عِبَادُ ٱللهِ ٱلْأَخْيَارُ ، وَبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ ٱلدُّنْيَا لاَ يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ لاَ يَفْنَى . مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَنْ لاَ يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً ؟ يُسِيغُونَ ٱلْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ ٱلرَّنَقَ١. قَدْ وَٱللهِ لَقُوا ٱللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ . أَيْنَ إِخْوَانِيَ ٱلَّذِينَ رَكِبُوا ٱلطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى ٱلْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ٢ ؟ وَأَيْنَ ٱبْنُ ٱلتَّيِّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو ٱلشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى ٱلْفَجَرَةِ٣ . (قَالَ:ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ٱلْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ ٱلْبُكَاءَ ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ :

أَوِّهِ عَلَى إِخْوَانِيَ ٱلَّذِينَ تَلَوُا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ٤ ،

---

(١) الرنق ــ بفتح النون وكسرها وسكونها ــ الكدر .

(٢) عمار هو عمار بن ياسر وابن التيهان ــ بتشديد الياء ــ هو ابو الهيثم مالك بن التيهان ، وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت من اكابر الصحابة قتلوا بين يدي امير المؤمنين عليه السلام بصفين .

(٣) نظراؤهم : امثالهم ، وتعاقدوا على المنية : جعلوا بينهم عقدا وتروى « تعاهدوا » وابرد برؤسهم : حملت رؤسهم مع البريد .

(٤) أوه ــ مفتوحة الهمزة ، ساكنة الواو ، مكسورة الهاء ــ : كلمة شكوى .

وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيُوا ٱلسُّنَّةَ وَأَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ . دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ (ثُمَّ نَادَي بِأَعْلَى صَوْتِهِ) : ٱلْجِهَادَ ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ ، أَلاَ وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا فَمَنْ أَرَادَ ٱلرَّوَاحَ إِلَى ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ .

قَالَ نَوْفٌ : وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ فِي عَشَرَةِ آلاَفٍ ، وَلِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ ٱللهُ فِي عَشَرَةِ آلاَفٍ ، وَلِأَبِي أَيُّوبَ ٱلْأَنْصَارِيِّ فِي عَشَرَةِ آلاَفٍ ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ وَهُوَ يُرِيدُ ٱلرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ ، فَمَا دَارَتِ ٱلْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ ٱلْمَلْعُونُ ٱبْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ ٱللهُ ، فَتَرَاجَعَتِ ٱلْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيهَا تَخْتَطِفُهَا ٱلذِّئَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ .

هذه الخطبة هي آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين قائماً [1] روى منها الزمخشري في باب التفاضل والتفاوت من « ربيع الأبرار » ومهد لها كتمهيد الرضي لها إلى قوله : فأطال البكاء ، ثم نقل الفصل الأخير منها ابتداء من قوله عليه السلام (أوه على إخواني الذين قرأوا القرآن فأحكموه) .

---

(١) شرح نهج البلاغة للحديدي م ٢ ص ٥٤

وروى ابن شاكـــر الليثي في « عيون الحكم والمواعظ » من قوله عليه السلام « لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركاً » الى قوله عليه السلام «فلا إله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام وأظلم بظلمته كل نور »(١) .

وفسر ابن الأثير غريب هذه الخطبة في الجزء الثاني من « النهايـة » ففي ص ١٤٥قال في حديث علي (لم يمنع ضوءها إدهمام سجف الليل المظلم) الادهمام مصدر أدهم أي إسود ، والادهيام مصدر إدهام كالاحمرار والاحميرار في احمرّ وإحمار اهـ. لاحظ أن رواية الرضي (ادلهمام) لتعلم أنه لم ينقل ذلـــك عن « نهج البلاغة » .

وفي الجزء الثاني أيضاً ص١٩٨ مادة (رجحن) قال في حديث علي (في حجرات القدس مرجحنين) أرجحن الشيء إذا مال من ثقله وتحرك .

ولم يذكر أحد من هؤلاء أنه أخذعن « نهج البلاغة »ويؤيد ذلك الاختلاف البسيط في بعض الحروف والكلمات .

ونوف البكالي تقدم ذكره في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٩ .

وجعدة بن هبيرة المخزومي ابن اخت أمير المؤمنين عليه السلام امه ام هاني بنت أبي طالب ، وكان شجاعاً فارساً فقيهاً ولي خراسان لأمير المؤمنين عليه السلام وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله ﷺ يوم الفتح مع امه ام هاني وهو القائل :

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلا
ومن هاشم امي لخير قبيل
فمن ذا الذي يبأى عليّ بخـــاله
كخالي علي ذي الندى وعقيل (٢)

---

(١) انظر « بحار الانوار » ج ٧٧ ص ٣١٠ .

(٢) انظر الجزء الاول من (الاصابة) والجزء الاول من (اسد الغابة) في حرف الجيم بترجمته و (شرح النهج) لابن ابي الحديد م ٢ ص ٥٢٩ .
ويبأى : يزهو ويفخر .

ويظهر من الأخبار عدالته ووثاقته لأن أمير المؤمنين عليه السلام استنابه للصلاة بالناس أيام انشغال الحسنين عليهما السلام بتمريضه أيام مصيبته [1].

١٨١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ٢ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ٣ ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ . وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ٤ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا ٥ ، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا . وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ

(١) راجع سفينة البحار مادة (جعدة)

(٢) وصفه سبحانه بأنه معروف بالادلة ، لا من طريق الرؤية ، والمنصبة - بالفتح - التعب .

(٣) استعبد الذين يدعون في الدنيا أنهم أربابا بعزه وقهره .

(٤) وبعث الى الجن والانس الخ ... مأخوذ من الكتاب العزيز (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، الانعام : ١٣٠)

(٥) غطاء الدنيا : عيوبها المستورة ، وامثالها كالامثال الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه ... الآية، يونس : ٢٤) والهجوم : الدخول بغتة ، والمصاح - جمع مصحة - بفتح الصاد وكسرها - تعاقب الصحة والمرض على البدن .

مِنْهُمْ وَٱلْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا ٱسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ١ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً .

(مِنْهَا) فَٱلْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ٢ ، حُجَّةُ ٱللهِ عَلَى خَلْقِهِ . أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ ، وَٱرْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ ٣ . أَتَمَّ نُورَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى ٱلْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ ٱلْهُدَى بِهِ ، فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلاَّ وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً ، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ .

---

(١) اي احمده كما استحمد اليهم : فعل ما يوجب عليهم حمده .

(٢) جعل القرآن آمرا زاجرا حيث ان الله تبارك وتعالى أمر به وزجر فاسند الامر والزجر اليه كما يقال : سيف قاتل ، وانما القاتل الضارب به ، وصامت من حيث انه حروف : ناطق من حيث يتضمن الامر والنهي واطلاق لفظ الناطق عليه من باب المجاز .

(٣) الضمير في أخذ لله تعالى وفي ميثاقه للقران ، هو ميثاقه ايجادهم للعمل بالكتاب وجعل نفوسهم رهنا على الوفاء بذلك لا تخلص الا به .

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَى ٱلشُّكْرِ ، وَٱفْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ ٱلذِّكْرَ ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوىٰ وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ(١) . فَاتَّقُوا ٱللّٰهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ(٢) وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ . وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ . قَدْ وَكَّلَ بِذٰلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً لاَ يُسْقِطُونَ حَقّاً ، وَلاَ يُثْبِتُونَ بَاطِلاً .

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ ٱللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ ٱلْفِتَنِ وَنُوراً مِنَ ٱلظُّلَمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا ٱشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ ٱلْكَرَامَةِ عِنْدَهُ . فِي دَارٍ ٱصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُوَّارُهَا مَلاَئِكَتُهُ ،

---

(١) لفظة حاجته مجاز لانه تعالى غني غير محتاج والمراد غاية ما يريد سبحانه منكم .

(٢) بعينه أي لا يخفى عليه شيء منكم ولفظ العين مجاز في العلم

وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ ، فَبَادِرُوا ٱلْمَعَادَ . وَسَابِقُوا ٱلْآجَالَ . فَإِنَّ ٱلنَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ ٱلْأَمَلُ ، وَيَرْهَقَهُمُ ٱلْأَجَلُ[1] ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ ٱلتَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ ٱلرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ[2] . وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالارْتِحَالِ ، وَأُمِرْتُمْ[3] فِيهَا بِالزَّادِ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهٰذَا ٱلْجِلْدِ ٱلرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى ٱلنَّارِ ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ ٱلدُّنْيَا . أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ ٱلشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَٱلْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ ، وَٱلرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ [4] فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ

---

(١) يرهقهم : يفاجئهم

(٢) اي انكم في حالة يمكنكم فيها العمل وهي الحالة التي ندم المهملون قبلكم على فواتها وسألوا الرجعة اليها اشارة لقوله تعالى (حتى اذا حضر احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ... الآية ، المؤمنون : ١٠٠)

(٣) بنو سبيل : اي ارباب طريق مسافرون ، واوذنتم : اعلمتم .

(٤) الرمضاء : الارض الشديدة الحرارة ، والرمض ـ بالتحريك ـ شدة وقع الشمس على الارض .

وَقَرِينَ شَيْطَانٍ ١ ؟ أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى ٱلنَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ٢ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ؟

أَيُّهَا ٱلْيَفَنُ ٱلْكَبِيرُ ٱلَّذِي قَدْ لَهَزَهُ ٱلْقَتِيرُ٣ ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا ٱلْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ ٱلنَّارِ بِعِظَامِ ٱلْأَعْنَاقِ ! وَنَشِبَتِ ٱلْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ ٱلسَّوَاعِدِ٤ . فَاللَّهَ ٱللَّهَ مَعْشَرَ ٱلْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي ٱلصِّحَّةِ قَبْلَ ٱلسُّقْمِ . وَفِي ٱلْفُسْحَةِ قَبْلَ ٱلضِّيقِ ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلَقَ رَهَائِنُهَا . أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَٱسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ،

(١) ضجيع حجر يومي الى قوله تعالى : (وقودها الناس والحجارة ، البقرة : ٢٤) ويومي بقوله : قرين شيطان الى قوله سبحانه : (قال قرينه ربنا ما أطغيته ، ق : ٢٧)

(٢) حطم بعضها بعضا : كسره أو أكله والحطمة اسم من أسماء النار، ومنه سمي الرجل كثير الاكل حطمة .

(٣) اليفن الكبير : الشيخ الكبير ، ولهزه : خالطه ، والقتير : الشيب

(٤) التحمت بها : التفت عليها ، والتسقت بها ، ونشبت : علقت ، والجوامع جمع جامعة وهي الغل تجمع اليدين الى العنق ، والسواعد جمع ساعد وهو الذراع .

وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ وَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا١ فَقَدْ قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ « إِنْ تَنْصُرُوا ٱللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ٢ » وَقَالَ تَعَالَى « مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ »٣ فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ٤ ، ٱسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ، وَٱسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ . أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ٥ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً . فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللهِ فِي دَارِهِ . رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً٦ « ذٰلِكَ

---

(١) أي خذوا من راحتها فاتعبوها في عمل ما ينفع انفسكم في الآخرة والضمير في بها للاجساد وفي عنها للانفس .

(٢) سورة محمد : ٧

(٣) الحديد : ١١

(٤) القل : الاقلال .

(٥) يبلوكم : يختبركم .

(٦) حسيس النار صوتها ، واللغوب : الاعياء ، والنصب : التعب

فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ »[1] أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ .

هذه الخطبة من خطبه الجليلة روى منها الزمخشري في (ربيع الابرار) ج١ ص٥٣ (مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد) في باب النار وأنواعها من قوله عليه السلام : واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار) .. الخ وفسر غريبها ابن الأثير في مواضع من (النهاية في غريب الحديث) منها في الجزء الخامس ص٢٩٩ قال في كلام علي رضي الله عنه : « أيها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير) : اليفن – بالتحريك – الشيخ الكبير ، والقتير : الشيب . وروى منها السيد البحراني في (البرهان) ج١ ص٩ عن غير (نهج البلاغة » .

وقال ابن أبي الحديد بعد فراغه من شرح هذه الخطبة : « قلت : وقد شغف الناس في المواعظ بكلام كاتب محدث يعرف بابن أبي الشحناء العسقلاني وأنا أورد ههنا خطبة من مواعظه هي أحسن ما وجدته له ليعلم الفرق بين الكلام الأصيل والمولد » ثم نقل تلك الخطبة وأنا أنقل لك فقرات منها : « أيها الناس ، فكوا أنفسكم من حلقات الآمال المتعبة ؛ وخففوا ظهوركم من الآصال المستحقبة ... ولا تميلوا ظعونكم الى زبارج الدنيا المحببة ... أين الامم السالفة المتشعبة والجبابرة الماضية المتغلبة ، والملوك المعظمة المرجبة ...طرقت والله خيامهم غير منتهبة ... وهكذا » .

ثم قال ابن أبي الحديد بعد ذلك : « هذه أحسن خطبة خطبها هذا

---

(١) الجمعة : ٤ .

الكاتب وهي كما ترى ظاهرة التكلف ، بينة التوليد ، تخطب على نفسها وانما ذكرت هذا لأن كثيراً من أرباب الهوى يقولون: إن كثيراً من (نهج‌البلاغة) كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا بعضه الى الرضي ، وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية عيونهم ، فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بينات الطريق ضلالاً ، وقلة معرفة بأساليب الكلام» ... وقد تقدم بقية كلامه هذا فيما سبق من هذا الكتاب [1] .

١٨٢ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قَالَهُ لِلْبُرْجِ بْنِ مِسْهَرٍ الطَّائِيِّ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ : «لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ» ، وَكَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ

أُسْكُتْ قَبَّحَكَ اللهُ يَا أَثْرَمُ ، فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ ، خَفِيّاً صَوْتُكَ ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ[2] .

---

(١) انظر الجزء الاول : ص ١٨٣ تحت عنوان (رأي ابن ابي الحديد في نهج البلاغة) .

(٢) قبحك الله : نحاك وابعدك عن الخير ، او كسر شوكتك ، يقال: قبحت الجوزة : كسرتها ، والاثرم : منزوع الثنية ، والضئيل : الدقيق النحيف ، كناية عن الضعف ، ونعر الباطل صاح والمراد اهل الباطل ، نجم : ظهر بلا قدم ولا شرف على حين غفلة كما ينبت قرن الماعز .

البرج بن مسهر – بكسر الميم وفتح الهاء – شاعر مشهور من شعراء الخوارج والكلام الذي نقله الرضي هنا رواه أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ أي قبل صدور (نهج البلاغة) بخمس سنوات في كتاب (الصناعتين) ص٢٨٥ وفيه (فغر) بالفاء مكان (نعر) بالنون .

١٨٣ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَا تُدْرِكُهُ ٱلشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ ٱلْمَشَاهِدُ[١] ، وَلَا تَرَاهُ ٱلنَّوَاظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ ٱلسَّوَاتِرُ ، ٱلدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ[٢] . ٱلَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَٱرْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ ٱلْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ ٱلْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا ٱضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ ٱلْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ .

---

(١) لا تدركه الشواهد: اي لا يدرك من طريق المشاهدة واصل الشاهد بالحقوق مأخوذ من المشاهدة ولهذا يقال : عرفت الامر من شاهد الحال ، وقال ابن ابي الحديد : الشواهد : الحواس ، والمشاهد : المجالس والنوادي .

(٢) اشتباههم : شبه بعضهم لبعض .

وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ ، وَدَائِمٌ لاَ بِأَمَدٍ(١) ، وَقَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ . تَتَلَقَّاهُ ٱلْأَذْهَانُ لاَ بِمُشَاعَرَةٍ . وَتَشْهَدُ لَهُ ٱلمَرَائِي لاَ بِمُحَاضَرَةٍ(٢) . لَمْ تُحِطْ بِهِ ٱلْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا ، وَبِهَا ٱمْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا(٣) لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ ٱمْتَدَّتْ بِهِ ٱلنِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً ، وَلاَ بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ ٱلغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً . بَلْ كَبُرَ شَأْناً ، وَعَظُمَ سُلْطَاناً. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلصَّفِيُّ ، وَأَمِينُهُ ٱلرَّضِيُّ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ ٱلْحُجَجِ(٤) ، وَظُهُورِ ٱلْفَلَجِ وَإِيضَاحِ ٱلْمَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ دَالاًّ عَلَيْهَا . وَأَقَامَ أَعْلاَمَ ٱلإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ ٱلضِّيَاءِ . وَجَعَلَ أَمْرَاسَ

---

(١) الامد : الغاية

(٢) المشاعرة : انفعال احدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها ، والمرائي جمع مرأي وهو الشيء الذي يدرك بالبصر .

(٣) الاوهام ـ هنا ـ : العقول والمعنى أنه بعدما تجلى للاوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته فحاكمها الى نفسها فرجعت عن البحث معترفة بالعجز عن الوصول اليه .

(٤) اي ليلزم العباد بالحجج البينة على ما دعاهم اليه من الحق ، والفلج ، النصر .

ٱلْإِسْلَامِ مَتِينَةً[1] وَعُرَى ٱلْإِيمَانِ وَثِيقَةً .

(مِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ أَصْنَافٍ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ) : وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ ٱلنِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى ٱلطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ، وَلَٰكِنِ ٱلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ ، وَٱلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ[2] . أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ[3] . ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ ، وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكْرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا ، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا . تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وُرُودِهَا لِصَدَرِهَا[4] ، مَكْفُولَةٌ

---

(١) الامراس جمع مرس ـ بفتحتين ـ وهو الحبل .

(٢) مدخولة : معيبة .

(٣) فلق : شق ، والبشر جمع بشرة وهي ظاهر جلد الانسان .

(٤) وصبّت : أي انصبت على رزقها انصبابا ، والصدر : الرجوع بعد الورود .

بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا١ لاَ يُغْفِلُهَا ٱلْمَنَّانُ ، وَلاَ يَحْرِمُهَا ٱلدَّيَّانُ . وَلَوْ فِي ٱلصَّفَا ٱلْيَابِسِ وَٱلْحَجَرِ ٱلْجَامِسِ٢ وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي ٱلْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا ٣ وَمَا فِي ٱلرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً . فَتَعَالَى ٱلَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ ٱلدَّلاَلَةُ إِلاَّ عَلَى أَنَّ فَاطِرَ ٱلنَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ ٱلنَّخْلَةِ ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَامِضِ ٱخْتِلاَفِ كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا ٱلْجَلِيلُ وَٱللَّطِيفُ وَٱلثَّقِيلُ وَٱلْخَفِيفُ وَٱلْقَوِيُّ وَٱلضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلاَّ سَوَاءٌ ، وَكَذٰلِكَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْهَوَاءُ وَٱلرِّيَاحُ وَٱلْمَاءُ . فَٱنْظُرْ إِلَى ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلنَّبَاتِ وَٱلشَّجَرِ وَٱلْمَاءِ وَٱلْحَجَرِ

---

(١) بوفقها ــ بالكسر ــ اي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها .
(٢) الجامس : اليابس .
(٣) الشراسيف : اطراف الاضلاع المشرفة على البطن .

وَٱخْتِلاَفِ هٰذَا ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ ٱلْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ ٱلْجِبَالِ ، وَطُولِ هٰذِهِ ٱلْقِلاَلِ[1] وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ ٱللُّغَاتِ ، وَٱلْأَلْسُنِ ٱلْمُخْتَلِفَاتِ . فَالْوَيْلُ لِمَنْ جَحَدَ ٱلْمُقَدِّرَ وَأَنْكَرَ ٱلْمُدَبِّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلاَ لاخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ . وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ٱدَّعُوا ، وَلاَ تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا . وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي ٱلْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ . وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ[2] . وَجَعَلَ لَهَا ٱلسَّمْعَ ٱلْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ ٱلسَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ[3] يَرْهَبُهَا ٱلزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ

(١) القلال : جمع قلة وهي راس الجبل .

(٢) اي جعلهما مضيئين كما تضيء السراج ، ويقال : حدقة قمراء اي مضيئة .

(٣) تقرض ــ بكسر الراء ــ تقطع ، والمنجل ــ كمنبر ــ آلة من حديد معروفة قيل اراد عليه السلام رجليها لاعوجاجها ولان لهما اسنان كأسنان المنجل .

ذَبَّهَا(١) . وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ ٱلْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا(٢) ، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا . وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً .

فَتَبَارَكَ ٱللهُ ٱلَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ، وَيَعْنُو لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً ، وَيُعْطِي لَهُ ٱلْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً . فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ . أَحْصَىٰ عَدَدَ ٱلرِّيشِ مِنْهَا وَٱلنَّفَسِ ، وَأَرْسَىٰ قَوَائِمَهَا عَلَى ٱلنَّدَىٰ وَٱلْيَبَسِ . وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَىٰ أَجْنَاسَهَا . فَهٰذَا غُرَابٌ وَهٰذَا عُقَابٌ ، وَهٰذَا حَمَامٌ ، وَهٰذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا وَعَدَّدَ قِسَمَهَا ، فَبَلَّ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا .

---

(١) ذبها : دفعها .

(٢) النزوات : الوثبات .

روى هذه الخطبة الطبرسي في « الاحتجاج » ج١/٣٠٥ بأخصر من رواية الرضي باختلاف نشير اليه لتقطع أنه لم ينقلها عن « نهج البلاغــــة » فروى « أفلا ينظرون » ورواية « النهج » « ألا ينظرون » و«في ورودها لصدورها» وفي « النهج » (لصدرها) وفيه (من خلقتها) وفي « النهج » (من خلقها) وفيه (على خلقها قادر) وفي « النهج » (في خلقها قادر) وفيه (والريــح والماء) وفي « النهج » (والرياح) وفيه (وتفجر هذه البحار والأنهار) وفي « النهج » (وتفجر هذه البحار) وفيه (فالويل لمن أنكر المقدر أو جحد المدبر) و « النهج » (لمن جحد المقدر ، وأنكر المدبر) وفيه (ولو أجمعوا بجمعهم) وفي « النهج » (ولو أجلبوا) وفيه (ويعفر له خداً ووجهاً) وفي « النهج » (ويعنو له) وهكذا .

وقد روي الزمخشري في باب دواب البر والبحر وما وضع الله فيها من العجائب من « ربيع الأبرار » (مخطوطة مكتبة الحرم بمكة المكرمــة) من قوله عليه السلام : (ألا ينظرون) الى (ولم يعنه على خلقها قادر) .

ونقل أول هذه الخطبة باختلاف وزيادة على رواية الرضي السيــد أبو طالب يحيى بن الحسين بن هرون الحسني المتوفى عام ٤٢٤ في أماليه :ص١٩٢

١٨٤ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التوحيد

وتجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ ، وَلاَ حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ ، وَلاَ إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلاَ صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ

وَتَوَهَّمَهُ[1] . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لاَ بِاضْطِرَابِ آلَةٍ ، مُقَدِّرٌ لاَ بِجَوْلِ فِكْرَةٍ ، غَنِيٌّ لاَ بِاسْتِفَادَةٍ . لاَ تَصْحَبُهُ ٱلْأَوْقَاتُ ، وَلاَ تَرْفِدُهُ ٱلْأَدَوَاتُ[2] سَبَقَ ٱلْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ، وَٱلْعَدَمَ وُجُودُهُ ، وَٱلِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ ٱلْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لاَ مَشْعَرَ لَهُ[3] . وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ ٱلْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لاَ ضِدَّ لَهُ . وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لاَ قَرِينَ لَهُ . ضَادَّ ٱلنُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَٱلْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ ، وَٱلْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ، وَٱلْحَرُورَ بِالصَّرَدِ[4] . مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا . مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا . مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا لاَ يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، وَلاَ يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ ٱلْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ ٱلْآلَةُ إِلَى نَظَائِرِهَا . مَنَعَتْهَا مُنْذُ ٱلْقِدَمِيَّةَ ، وَحَمَتْهَا قَدُ ٱلْأَزَلِيَّةِ ، وَجَنَّبَتْهَا

---

(١) لا صمده اي ما نزهه .
(٢) ترفده : تعينـــه .
(٣) المشاعر : الحواس
(٤) الصرد ــ محركا ــ البرد ، وهي كلمة فارسية معربة اصلها سرد

لَوْلاَ ٱلتَّكْمِلَةَ[1] . بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا ٱمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ ٱلْعُيُونِ . لاَ يَجْرِي عَلَيْهِ ٱلسُّكُونُ وَٱلْحَرَكَةُ . وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ . إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ[2] ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلاَمْتَنَعَ مِنَ ٱلأَزَلِ مَعْنَاهُ . وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ . وَلاَلْتَمَسَ ٱلتَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ ٱلنُّقْصَانُ . وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ ٱلْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ . وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ ٱلامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ ٱلَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ ، وَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ ٱلأُفُولُ[3] . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً[4] .

---

(١) لولا قامت مقام الفاعل للافعال قبلها ، والمعنى : ان الادوات والالات والمراد اربابها منعتها منذ القدم لان لفظة منذ وضعت لابتداء الزمان والقديم لا ابتداء له وحمتها اي قد حالت بينها وبين الازلية لان قد وضعت للتقريب من الحال وهذا القرب مانع من الازلية وكذلك لولا جنبتها وحمتها من التكملة اي الكمال لان لولا وضعت لامتناع الشيء بوجود غيره فتقول : ما اكرمه لولا انه فقير وبذلك يمتنع الكمال المطلق .

(٢) اي لاختلفت ذاته باختلاف الاعراض عليها .

(٣) من أفل النجم اذا غاب .

(٤) اي تحد بدايته بيوم ولادته .

جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ ٱلْأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَةِ ٱلنِّسَاءِ . لاَ تَنَالُهُ ٱلْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ، وَلاَ تَتَوَهَّمُهُ ٱلْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ . وَلاَ تُدْرِكُهُ ٱلْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَلاَ تَلْمِسُهُ ٱلْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لاَ يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلاَ يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ . وَلاَ تُبْلِيهِ ٱللَّيَالِي وَٱلْأَيَّامُ ، وَلاَ يُغَيِّرُهُ ٱلضِّيَاءُ وَٱلظَّلاَمُ . وَلاَ يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَجْزَاءِ(١) ، وَلاَ بِالْجَوَارِحِ وَٱلْأَعْضَاءِ . وَلاَ بِعَرَضٍ مِنَ ٱلْأَعْرَاضِ ، وَلاَ بِالْغَيْرِيَّةِ وَٱلْأَبْعَاضِ . وَلاَ يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلاَ نِهَايَةٌ ، وَلاَ ٱنْقِطَاعٌ وَلاَ غَايَةٌ . وَلاَ أَنَّ ٱلْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ(٢) ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ . لَيْسَ فِي ٱلْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ(٣) ، وَلاَ عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ ، وَيَسْمَعُ لاَ بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ . يَقُولُ وَلاَ يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلاَ يَتَحَفَّظُ(٤) ، وَيُرِيدُ وَلاَ يُضْمِرُ . يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ

---

(١) اي لا يقال ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا

(٢) تقله : تحمله ، وتهويه تضعه .

(٣) الولوج : الدخول

(٤) اي يحرز غيره ، وليس بمتحرز .

غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ . يَقولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ «كُنْ فَيَكُونُ». لاَ بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلاَ بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ . وَإِنَّمَا كَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ . وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً ، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً .

لاَ يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ ٱلصِّفَاتُ ٱلْمُحْدَثَاتُ ، وَلاَ يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ١ ، وَلاَ لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِيَ ٱلصَّانِعُ وَٱلْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأَ ٱلْمُبْتَدِئُ وَٱلْبَدِيعُ . خَلَقَ ٱلْخَلاَئِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَأَنْشَأَ ٱلْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ ٱشْتِغَالٍ ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ . وَحَصَّنَهَا مِنَ ٱلْأَوَدِ وَٱلاعْوِجَاجِ٢ . وَمَنَعَهَا مِنَ ٱلتَّهَافُتِ وَٱلانْفِرَاجِ٣ . أَرْسَى أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ

(١) اي فرق
(٢) عطف تفسير على الاود
(٣) التهافت : التساقط قطعة قطعة ، والانفراج : الانشقاق .

أَسْدَادَهَا ، وَٱسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا١ . فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ٢ ، وَلاَ ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ ٱلظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ ٱلْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَٱلْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلاَلِهِ وَعِزَّتِهِ . لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ ، وَلاَ يَفُوتُهُ ٱلسَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ ، وَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ . خَضَعَتِ ٱلْأَشْيَاءُ لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لاَ تَسْتَطِيعُ ٱلْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ، وَلاَ كُفْؤَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ ، وَلاَ نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ . هُوَ ٱلْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا

وَلَيْسَ فَنَاءُ ٱلدُّنْيَا بَعْدَ ٱبْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَٱخْتِرَاعِهَا . وَكَيْفَ لَوِ ٱجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا . وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا ، وَأَصْنَافِ

---

(١) الاسداد جمع سدّ والمراد به ههنا الجبل ، وخدّ : شق

(٢) لم يهن : لم يضعف .

أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا ١ ، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا٢ عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا ، وَلاَ عَرَفَتْ كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَىٰ إِيجَادِهَا . وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذٰلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً٣ عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقِرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا . مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا .

وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ ٱلدُّنْيَا وَحْدَهُ لاَ شَيْءَ مَعَهُ . كَمَا كَانَ قَبْلَ ٱبْتِدَائِهَا كَذٰلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا . بِلاَ وَقْتٍ وَلاَ مَكَانٍ ، وَلاَ حِينٍ وَلاَ زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْآجَالُ وَٱلْأَوْقَاتُ ، وَزَالَتِ ٱلسُّنُونَ وَٱلسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إِلاَّ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ ٱلأُمُورِ . بِلاَ قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ٱبْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ ٱمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا . وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى ٱلامْتِنَاعِ

---

(١) المراح ــ بالضم ــ اسم مفعول من أراح الابل اذا ردها الى مأواها ، والسائم الراعي يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه ، والاسناخ جمع سنخ وهو الاصل .

(٢) المتبلدة : الاغبياء ، والاكياس : العقلاء

(٣) الخاسىء : الذليل ، والحسير : المعيا

دَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْها إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ[١] . وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلاَ خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلاَ لِلاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ ، وَلاَ لِلاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ[٢] . وَلاَ لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلاَ لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ ، وَلاَ لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا . ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لاَ لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلاَ لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ . وَلاَ لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لاَ يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا . لٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ ٱلْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلاَ ٱسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلاَ لانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ ٱسْتِئْنَاسٍ ، وَلاَ مِنْ حَالِ جَهْلٍ

(١) لم يتكاده : لم يشق عليه ، يؤده : يثقله ، وبرا : خلق

(٢) الند — بالكسر — المثل ، والمكاثرة : المغالبة بالكثرة ، والمثاور المواثب المهاجم .

وَعَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ ، وَلاَ مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ . وَلاَ مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

قال السيد المرتضى رضي الله عنه : اعلم إن اصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه ، وأنها تتضمن من ذلك ما لا مزيد عليه ، ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه إنما هو تصنيف لتلك الجمل ، وشرح لتلك الاصول ، وروي عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك لا يكاد يحاط به كثرة ، ومن أحب الوقوف عليه ، وطلب من مظانه أصاب منه الكثير الغزير ، الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ، ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئاً مما روي عنه في هذا الباب فمن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يصف الله تعالى : «بمضادته بين الأشياء علم لا ضد له ، وبمقارنته بين الامور علم أن لا قرين له ، ضاد النور بالظلمة ...» الخ[1] وذكر فقرات مما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك.

ورواها الطبرسي في (الاحتجاج) ج١ ص٢٩٩ باختلاف بعض الحروف تعرف منه أنها نقلت من غير « النهج » .

وروى الكليني في (الكافي) ج١ ص١٣٨ بعض ما رواه الرضي هنا من قوله عليه السلام : « فاعل لا باضطراب آلة » الى قوله عليه سلام الله : « متدانياتها » . ويبدو من روايته أن هذه الخطبة والخطبة المارة برقم ١٧٧ من خطبة واحدة في مقام واحد ومناسبة خاصة .

---

(١) امالي المرتضى : ١/١٠٣

ورواية الطبرسي في « الاحتجاج » : ج١ ص ٢١٩ من قوله عليه السلام (لا يشمل بحد) الى آخر الخطبة كرواية الرضي إلا في بعض الحروف والكلمات ، وساشير اليها لتعلم انفراده بمصدر لها . فرواية الرضي لهذه الجملة هكذا (لا يجري عليه السكون والحركة) ورواية الطبرسي (لا تجري عليه الحركة والسكون) ورواية الرضي (وهو الباطن لها بعلمه) وتنقص رواية الطبرسي لفظة (هو) وفي « النهج » (ولا يعجزه) وفي «الاحتجاج» بنقصان حرف العطف ، وفيه (ذلت مستكينة) وفي « الاحتجاج » (ظلت) وفيه (وأصناف أسناخها) وفي « الاحتجاج » (أشباحها) وفي « الاحتجاج » (وأنه يعود سبحانه) بينما في « النهج » (وأن الله سبحانه) وفيه (دام بقاؤها) وفي « الاحتجاج » (لدام بقاؤها) وفي « النهج » (ما خلقه وبراه) وفي « الاحتجاج » (ما براه وخلقه) وفيه (من ضد مثاور) وفي « الاحتجاج »(مساور) وفي « النهج » (سرعة إفنائها)وفي«الاحتجاج» (نزعة افنائها) فتأمل .

ومما هو جدير بالذكر أن من هذه الخطبة إلى آخر باب الخطب تختلف نسخة ابن أبي الحديد والقطب الكيدري والشيخ ميثم البحراني عن سائر نسخ « نهج البلاغة » في ترتيب الخطب وهذا لا يهم بعد الاتفاق على أن كل واحدة من هذه النسخ تشتمل على ما اشتملت عليه الأخرى ،وقد أشرنا إلى ذلك فيما سلف من هذا الكتاب تحت عنوان (مشكلة الاضافات) وذكرنا أن السبب في ذلك من سهو النساخ [1] ، كما أشار الى ذلك الشيخ كمال الدين ميثم البحراني فانه قال في أول شرحه لخطبة همام . وذكر أنه وافق شراح « النهج » كابن أبي الحديد والكيدري لغلبة الظن باعتمادهم على النسخة الصحيحة [2] أما أنا

(١) انظر الجزء الاول ص ١٩٨ ط ثانية

(٢) انظر « شرح نهج البلاغة » للشيخ ميثم البحراني ج ٣ ص ٤١٣

فقد اعتمدت في الترتيب على نسخة مطبعة الاستقامة بتعليق الشيخ محمد عبده لكثرة تداولها بين الناس . واتفقت في الارقام مع العلامة الجليل السيد جواد المصطفوي في (الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة) فانه أضبط [١].

١٨٥ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ . ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّه٢ . ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي٣ . ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ٤ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ٥ . ذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ٦ . مَا

---

(١) انظر ق : ٢ من (الكاشف) من ص ٤ الى ص ٦٤

(٢) لفساد المكاسب واختلاطها ، وغلبت الحرام على الحلال .

(٣) لان المعطي يومئذ اما من مال حرام او يقصد به الرياء والسمعة او لغير ذلك من موانع القبول ، اما المعطى فانه يأخذ مضطرا فينفقه في وجهه

(٤) النعمة ــ بفتح النون ــ غضارة العيش

(٥) الاحراج : التضييق .

(٦) القتب : الاكاف ، والغارب : ما بين العنق والسنام .

أَطْوَلَ هٰذَا ٱلْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هٰذَا ٱلرَّجَاءَ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَلْقُوا هٰذِهِ ٱلْأَزِمَّةَ ٱلَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا ٱلْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ[1] ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ . وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ[2] . وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا[3] ، وَخَلُّوا قَصْدَ ٱلسَّبِيلِ لَهَا . فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ٱلْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ ٱلْمُسْلِمِ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ ٱلسِّرَاجِ فِي ٱلظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا . فَاسْمَعُوا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا

هذه الخطبة رواها أبو الحسن المدائني في كتاب « صفين » قال : خطب علي عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان فذكر طرفاً من الملاحم ، قال:

« إذا كثرت فيكم الأخلاط ، واستولت الأنباط ، ودنا خراب العراق ، وذاك إذا بنيت مدينة ذات أثل وأنهار ، فاذا غلت فيها الأسعار ، وشيد فيها البنيان ، وحكم فيها الفساق ، واشتد فيها البلاء ، وتفاخر الغوغاء ، دنا

(١) الاثقال : المآثم ، والقاء الازمة كناية عن ترك القبيح

(٢) تصدعو : اي تتفرقوا ، وفور نار الفتنة : احتدامها

(٣) اميطوا : تنحوا ، والسنن الطريق .

خسف البيداء ، وطاب الهرب والجلاء ، وستكون قبل الجلاء امور يشيب منها الصغير ، ويعطب الكبير ، ويخرس الفصيح ، ويبهت اللبيب ، يعاجلون في السيف صلتاً وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون ، فيالها من مصيبة حينئذ من البلاء العقيم ، والبكاء الطويل ، والويل والعويل ، وشدة الصريخ ، ذلك أمر الله وهو كائن وفناء مريح ، فيابن خـــيرة الآباء متى تنتظر البشير بنصر قريب ، من رب رحيم ، ألا فويل للمتكبرين ، عنـــد حصاد الحاصدين ، وقتل الفاسقين ، عصاة ذي العرش العظيم .

ألا بأبي وامي هم من عدة(١) ...» الخطبة ، مع اختلاف بعض الالفاظ وزيادة على رواية الرضي .

وفي آخر ما نقل: قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة الى جانبه : أشهد انه كاذب على الله وعلى رسوله ، قال الكوفي : وما يدريك ؟

قال : فوالله ما نزل عن المنبر حتى فلج الرجل فحمل الى مـنزله في شق محمل فمات من ليلته (٢) .

ونقل الزمخشري في باب المال والكسب من « ربيع الابرار » جـزءً من هذه الخطبة .

---

(١) الضمير في هم يعود الى خيرة الاباء كما لا يخفى وهم الائمة سلام الله عليهم وابن خيرة الاباء هو المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه .

(٢) شرح النهج للحديدي م ٢ ص ٤٩ ، وقد اشار ابن ابن الحديد الى هذه الخطبة ايضا في المجلد الثاني : ص ٢١٤ واشار الى ان ما نقلـه الرضي هنا ملتقط من كلام طويل .

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الكلام في مدركها	١٧٨
كلمة لمروان بن محمد في علي عليه السلام (ح)	١٧٨
لم يقل احد سلوني الا افتضح سوى علي عليه السلام	١٧٩
نادرة لبعض الوعاظ في ذلك	١٧٩
من خطبة له عليه السلام في وصف الانبياء عليهم السلام	١٨٢
مصادر الخطبة	١٨٥
من خطبة له عليه السلام في حال الناس عند البعثة	١٨٦
خطبة اخرى في ذكر النبي صلى الله عليه وآله	١٨٧
خطبة له في أخذ الله للظالم وتوبيخ أصحابه	١٨٨
تفرقوا أيد سبأ (ح)	١٨٩
القول في مصادرها	١٩٢
من كلام له عليه السلام في بني امية	١٩٢
من كلام له عليه السلام فيوصف الدنيا	١٩٤
من خطبة له في دليل السنة وفيها ذكر آل البيت (ع)	١٩٧
أبو أيوب الانصاري (ح)	١٩٨
من خطبة له عليه السلام تشتمل على بعض الملاحم	١٩٩
من كلام له عليه السلام في وصفيوم القيامةووصف فتنة مقبلة	٢٠٢
من خطبة له عليه السلام في التزهيد ووصف الناس في بعض الأزمان	٢٠٣
نعيم بن حماد (ح)	٢٠٦
من خطبة له عليه السلام في وصف الناس قبل البعثة وبعدها	٢٠٧
من خطبةلهعليه السلامفينفس الموضوع وذكر اهل البيت (ع)	٢٠٩
من خطبة له في شرف الاسلام ووصف النبي صلى الله عليه وآله	٢١٣
سؤال ابن ابي الحديد لشيخه النقيب عن تبجيل الامام للنبي عليهما السلام	٢١٧

الموضوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

الموضوع	الصفحة
من كلام له عليه السلام قاله لاصحابه في ساعة الحرب	٢٧٢
الخميس اسم للجيش (ح)	٢٧٦
من كلام له عليه السلام مع الخوارج لما انكروا عليه التحكيم	٢٧٧
من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء	٢٨١
من كلام له عليه السلام مع الخوارج	٢٣٨
من كلام له عليه السلام بالبصرة يومي به الى الملاحم	٢٨٥
خطبته عليه السلام في المكاييل والموازين	٢٨٨
كلامه عليه السلام مع أبي ذر لما سير الى الربذة	٢٩٠
في وداع أبي ذر	٢٩١
خطبة له عليه السلام وعظية وبيان حال الامام	٢٩٣
مصادر الخطبة	٢٩٥
خطبة له عليه السلام وعظية	٢٩٦
مصادرها	٢٩٨
من خطبة له عليه السلام في وصف القرآن الكريم وحكمة خوف الموت	٢٩٨
من كلام له عليه السلام في مشورته على عمر بعدم الخروج بنفسه لحرب الروم	٣٠١
من كلام له عليه السلام في تقريع المغيرة بن الاخنس والسبب لذلك	٣٠٣
من كلام له عليه السلام في أن يبعثه لم تكــن فلته	٣٠٥
كلامه عليه السلام في طلحة والزبير	٣٠٧
من خطبه عليه السلام يومي بها الى الملاحم	٣١٠
كلام له عليه السلام في وقت الشورى	٣١٢
من كلامه عليه السلام في النهي عن عيب الناس	٣١٣
كلامه عليه السلام في ان بين الحق والباطل اربع اصابع	٣١٤
كلامه عليه السلام في وضع المعروف في غير موضعه	٣١٦

ملاحظة : وقعت اخطاء مطبعية طفيفة تركنا اصلاحها للقارىء النبيه